أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wasi AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٨٤٤) ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ / فبراير ٢٠١٧م

50 عاماً من العطاء

المسؤولية الاجتماعية والعمل العام

- التسامح كآلية لحل المشكلات
- الشديق صاحب الجوائب
- عقد الاستصناع
- متحف الفن الإسلامي في قطر
- المدرسة الصولتية

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

الافتتاحية

التكافل والتكامل

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

إن الله عقد بيننا أخوة الإيمان، وجعل بعضنا لبعض كالبنيان، وشرع لنا التشاور والتناصر، والتكافل، فقد عدد سبحانه في كتابه الكريم أوصاف المؤمنين ونعتهم بنعوت كريمة.. وصفهم بأنهم إخوة متراحمون متحابون، وأن بعضهم أولياء بعض، متحلون بالمودة، وقلوبهم مؤلفة.. وهذه هي التعاليم الحكيمة، والإرشادات القويمة والنصائح العظيمة، التي أرشد بها الرسول ﷺ أمته.

فالله خلق الخلق بتدبيره، فكان من لطيف ما دبر، وبديع ما قدر أن خلقهم محتاجين، وفطرهم عاجزين.. فالإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، وإنما خص الله تعالى الإنسان بكثرة الحاجة، وظهور العجز، ليمنعه ذل الحاجة، ومهانة العجز من طغيان الغنى، فائتلاف البشر بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون.. إذ الألفة تجمع الشمل، وتمنع الذل، والمؤاخاة بالمودة هي من أسباب الألفة، لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصا ومصافاة.

إن الاجتماع الإنساني ضرورة؛ فالإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع، وهو عمران العالم الذي تتكون منه المجتمعات، فالناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها، وهذا الاجتماع إذا حصل فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم من العدوان والظلم، ولابد من شيء آخر يدفع هذا العدوان، وهو النظام والدولة والمجتمع، وإن من حكمة الله في خلقه انتظام معاشهم، وتيسير مصالحهم، وأن يتم بقاؤهم، لأن المجتمع لا يتم وجوده وبقاؤه إلا بتعاون أبنائه على مصالحهم، ما يتطلب من القيادات والمنظمات الدعوية والفكرية والسياسية والثقافية أن تخَلِّص المجتمع من التصادم وتجمع الكلمة، فالمجتمع هو الأصل في توجيه الخطاب من حيث العموم، أو الصلاحيات والمسؤوليات والأولويات.

فإن قادة المجتمع والمنظمات والجمعيات المدنية تنقل المجتمع إلى حالة جديدة من الفاعلية الحضارية والاجتماعية، وإن معيار نجاح عمل الحكومات والمؤسسات والجماعات والأفراد مقترن بمقدار نجاحها في التأثير في المجتمع ومساعدته على النهوض والتغيير.

والمجتمع الحضاري هو من يتعاون وتتكافل فيه الدولة ومنظماتها المدنية، بحيث يظهر للوجود المجتمع الذي ينتقل من موقع المستهلك القائم على إبداعات الآخرين إلى موقع الإنتاج والمشاركة الإيجابية، كما أن من ملامح المجتمع الحضاري أنه يعمل على وحدة المجتمع وتآلفه، ونبذ الخلافات ليكون كالجسد الواحد؛ آماله وآلامه واحدة.. والتجربة التاريخية الحضارية الإنسانية للأمة الغنية التي ساهمت فيها جميع الأجناس والألوان والأقوام جاءت مشتركا إنسانيا، بعيدا عن العنصرية والجنسية والقومية والتعصب، فكانت تجربة غنية لكل النماذج البشرية.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٨٤ | ربيع الآخر ١٤٣٥ هـ
العام الواحد والخمسون
فبراير ٢٠١٤ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

واقع منظمات المجتمع المدني في دولنا، هو أحد المؤشرات المهمة للتعرف على حيوية المجتمع، وموضع البلدان من سلم النهوض والتقدم.

١٢

عود على بدء: عن النهضة

٤٨

وظيفة الزكاة في المجتمع

٦٤

مكتبة السقاط.. وقف خيري في خدمة البحث العلمي

٧٢

التدرج الهرمي للعنف الأسري

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم. – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٣)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	الافتتاحية/ التكافل والتكامل	فيصل يوسف العلي
٦	فكر/ التسامح كآلية لحل المشكلات	د. أمان قحيف
٩	رثاء/ شيخ المؤرخين الجزائريين أبوالقاسم سعد الله	ياسين كتاني
١٠	حوار/ د. سعيد إسماعيل	محمد ثابت توفيق
١٢	فكر/ عود على بدء: عن النهضة	د. هبة رءوف عزت
١٧	شخصيات/ الشدياق صاحب الجوائب	علاء عبدالفتاح
٢٠	ملف العدد/ المسؤولية الاجتماعية والعمل العام	حسين المحمد
٢٢	ملف العدد/ الإسلام والمسؤولية الفردية	عطية الويشي
٢٥	ملف العدد/ «الجمعيات الأهلية».. محاصرة برؤى ضيقة	هاني عبدالله
٢٨	ملف العدد/ برامج وجمعيات حقوق الأطفال	د. آندي حجازي
٣٢	ملف العدد/ عرقلة المجتمع المدني	السنوسي محمد
٣٥	دعوة/ الاعتصام بالإسلام	هناء ثابت
٣٦	استطلاع «دعوة الحق».. مجلة الثقافة والفكر المغربي	رئيس التحرير
٣٨	دراسات/ عقد الوكالة	د. صالح سالم النهام
٤١	دراسات/ عقد الاستصناع	د. حسن أبوغدة
٤٤	دراسات/ التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق (٢-٢)	د. سامي السويلم
٤٨	دراسات/ وظيفة الزكاة في المجتمع	د. عبدالله رمضاني
٥١	رثاء/ الدكتور حسنين محمود.. الأصولي الفقيه في ذمة الله	التحرير
٥٢	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٨)	عبدالله أيت الأعشير
٥٤	لغة وأدب/ عش.. بالتفاؤل	التحرير
٥٥	لغة وأدب/ أم العرب	جاك صبري شماس
٥٦	لغة وأدب/ وأعرض عن الجاهلين	محمد السعيد الشيخ
٥٨	لغة وأدب/ بسمة	محمد عباس
٥٩	خواطر/ أنا والشتاء	آيات الحسن
٦٠	تربية/ الحياة مدرسة	إحسان الدبش
٦٣	إدارة/ نظم المعلومات.. والرقابة الشرعية في الشركات	د. سلطان السهو
٦٤	استطلاع/ مكتبة السقاط.. وقف خيري في خدمة البحث العلمي	بشرى شاكر
٦٦	أسرة/ الخروج من الورطة التربوية	عبدالرحمن ضاحي
٦٨	أسرة/ أسرتك سر سعادتك	د. خالد النجار
٧٠	أسرة/ الخادمات وأسرار البيوت	منير أديب
٧٢	أسرة/ التدرج الهرمي للعنف الأسري	كمال عبدالمنعم
٧٤	طب/ أغذية الخمول والكسل	منى الموجي
٧٧	ثقافة/ التقليد المهلك	رشيد الحسن
٨٠	استطلاع/ متحف الفن الإسلامي في قطر	عبادة نوح وخالد خلاوي
٨٢	منارات/ المدرسة الصولتية	د. محمد سعيد صمدي
٨٧	تاريخ/ التفتيش والتصنيف ونقد الأصول	د. أحمد الشال
٩٠	فتاوى الوعي	د. محمود الكبش
٩٢	تاريخ الأمم والملوك للطبري	خالد خلاوي
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	تركي النصر
٩٨	مسك الختام/ مكونات الإمام العادل	عثمان إسماعيل

كلمة العدد

المجتمع المدني

المجتمع المدني يعتبر شكلا من أشكال الحياة الاجتماعية، ورافدا مهما لمؤسسات الدولة، ووعاء يضم مجموعة متنوعة من الجهات الفاعلة غير الربحية، والمعنية بتوفير الخدمات والسلع التي تتطلبها المصلحة العامة.

والمؤسسات الأهلية تهتم بتقديم خدمات مباشرة أو غير مباشرة لإشباع احتياجات المجتمع، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية للشعوب، حيث تقوم على الجهود التطوعية للمهتمين بالخدمة العامة.

يقول هربرت بلومر عن المجتمع المدني: «هو الذي يخلق، يبلور، ويحقق التغيير الاجتماعي»، لما له من أثر كبير في نجاح الدول المتقدمة، وانتشال العالم من الأزمات الاقتصادية.

وتولي هذه المؤسسات أهمية بالغة للعمل في إطار السياسة الاجتماعية العامة، بعيدا عن التقلبات السياسية والصراعات المذهبية والطائفية، لأنها في النهاية رافد مجتمعي مهم يخدم الناس عامة من دون تمييز.

كذلك تقوم مؤسسات النفع العام في مجتمعاتنا الإسلامية بالحفاظ على الهوية الإسلامية، وهي امتداد تاريخي للبلدان والدول الإسلامية، نظرا لقدرتها على إيجاد حلول فعلية للمشاكل المتعلقة باحتياجات الشعوب.

ولعل ما يميز المؤسسات الأهلية قدرتها على الانطلاق في خدماتها، والتجديد والابتكار وإجراء التجارب لتطور العمل بها، كذلك السرعة في تقديم الخدمات والتقليل قدر الإمكان من الإجراءات الإدارية الطويلة.

إن المؤسسات الأهلية ضرورة لكل المجتمعات، وظاهرة صحية في تطور حياة الشعوب، فهي حق لكل مواطن في المشاركة والتخطيط لاحتياجاتهم والمساهمة في التنمية المستدامة لبلدانهم.

التحرير

الاشتراكات
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التسامح كآلية لحل المشكلات ورفع التناقضات

أ.د. أمان محمد قحيف
مفكر إسلامي

اقتضت طلاقة قدرة الله تبارك وتعالى أن يتحرك التاريخ الإنساني، في قضاياه الكبرى، وفق مراد الله- عز وجل- لا وفق مراد الإنسان ورغباته وتطلعاته، ولأن العقل البشري عاجز بطبيعته وتكوينه عن الوقوف على حكمة الله- تبارك وتعالى- في كل شيء، فقد لا يتعجب المرء من شيء قدر تعجبه من أحداث الدنيا ومسيرة التاريخ، وكم هي عجيبة تقلبات الحياة وتحولاتها، إذا نظرنا إليها من خلال زوايا رؤيتنا البشرية المحدودة، بقدراتنا الذهنية وإدراكاتنا العقلية، وليس من المنتظر أو المتوقع أن تأتي تلكم التقلبات والتحولات وفق المنطق الإنساني والتفكير البشري، القائم على أسس المعرفة الإنسانية وحساباتها، بشكل دائم ومستمر.. وإلا ما كانت تقلبات أو تحولات، بل تكون- عندئذ- تطورات طبيعية، ومسيرة حياتية، وحركة آلية للتاريخ، انبثقت من تفاعلات اجتماعية مدروسة، وسلوكات إنسانية معلومة ومفهومة، ومتحقق من ديمومتها وصيرورتها وأهدافها وغاياتها.

يبدو أن الواقع يؤكد أنه كثيرا ما تفاجئنا الأحداث بما لا نتوقعه، وتداهمنا الظروف بما لم نحسب حسابه، أو نستشرف قدومه بحال من الأحوال.

والحق أن دراسة مسار الحضارات وتاريخ الأمم تكشف لنا النقاب عن وقوع العديد والعديد من التحولات الطارئة، والتقلبات المفاجئة في حركية المجتمعات وتفاعلاتها، حتى ليخال المرء أن المفاجآت التاريخية هي من سنن الله تبارك وتعالى التي لا تجد لها تبديلا ولا تجد لها تحويلا: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ٤٣﴾ (فاطر: ٤٣)،

وكثيرا ما يظن صاحب الحق أن أحداث التاريخ قد سارت أو تحركت وفق مراد خصومه أو منافسيه، فيتألم لذلك أشد التألم، ويحزن لذلك أشد الحزن، وربما يلعن الظروف والأحداث التي جاءت- بحسب ظنه- مخالفة لرؤيته وتصوراته وتطلعاته وحقوقه ومستحقاته، وربما يجزم بأنها تعاطفت مع خصومه أو منافسيه!

ولنا أن ندرك أن أحداث الدنيا وتحركات التاريخ لن تأتي دائما وفق هوانا، أو متطابقة مع تطلعاتنا.. بالتالي فهي غير مضمونة المسار، وغير معروفة التوجه، وإلا ما سميت تقلبات وتحولات مفاجئة وغير منطقية بحسب التفكير الإنساني، بينما الواقع أن لها قانونها الذي يرجع في الأصل إلى إرادة الله، التي قد تغيب عنا حكمته في تلك الأحداث لبعض الوقت.. الذي قد يطول وقد يقصر.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ما أفضل كيفية يمكن للمرء أن يتعامل بها مع مثل تلك المواقف والأحداث؟ هل يجب أن يتمسك برأيه ورؤيته ويصر على أنهما الأصح والأصوب طوال الوقت؟

وبالتالي يتشدد لوجهة نظره وموقفه،

زاعما أنه على صواب والآخرين على خطأ؟

أم يجب أن يتحلى بالتسامح، ويقدر الظرف الذي يمر به الآخر، والصعوبات التي تواجهه، والضغوط التي تمارس عليه من هنا وهناك، وبالتالي يلتمس له العذر؟

قد يكون من المتوافق عليه أن من حق كل طرف أن يحافظ على حقوقه، ويتمسك بالدفاع عنها، والذب عن حماها، ما استطاع إلى ذلك من سبيل، بالطرق الشرعية والمشروعة التي لا تدينه، ولا تجعله يتجاوز الحد المسموح به دينيا وقانونيا وأخلاقيا.

إن الدفاع عن الحق أمر مكفول للجميع، لا مرية في ذلك ولا شك، لأن الدفاع عن الحق هو السبيل الوحيد لاستعادته والمحافظة عليه، لذلك قيل: لا يضيع حق وراءه مطالب..

غير أن هذا الدفاع له سبله وضوابطه التي لا يجب تجاوزها بأي حال من الأحوال، أو أية صورة من الصور؛ لأن الخروج عن تلكم الضوابط أو تجاوزها يؤدي إلى ضياع هذا الحق، أو على الأقل يعطي للآخرين مبررا لرفضه أو الاجتراء عليه، مستغلين في ذلك حياد صاحب الحق عن المنهج القويم في المطالبة بحقه.. عند محاولته استرداد ما هو له.

وإذا كان من حق المرء أن يدافع عن حقه ومطالبه، فإن الأمر يقتضي الوعي بالمدى الذي يمكن أن يصل إليه هذا الدفاع؛ كي لا تتطور الأمور والأحداث إلى مراحل أو أشكال يكون من شأنها إحداث ضرر أكبر- من حيث القيمة والمقدار - من الحق المطلوب إرجاعه، أو الهدف المطلوب الوصول إليه.

وأيا ما كان الأمر.. فإن ثمة آلية قد وضعها الدين الإسلامي الحنيف للوصول إلى درجة من التوافق المجتمعي، وجعلها أداة لرفع التناقضات وفض الاشتباكات بين المجتمعات والأفراد والأمم..

ولقد جعل الإسلام تلك الآلية من قيمه العليا ومبادئه الأخلاقية السامية.. إنها «العفو والصفح والتسامح».

لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في أكثر من موضع، نذكر منها أن الله- عز وجل- امتدح المتسامحين، واعتبرهم من المخلصين لدينهم وعقيدتهم، حيث قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾(آل عمران: ١٣٤).. فأهل العفو والتسامح في الإسلام هم من أهل الإحسان الذين يحبهم الله عز وجل، ومن أحبه الله تعالى أكرم نزله وأحسن مثواه، وأنزله منازل أهل البر والتقوى.. وورد في القرآن الكريم أيضا قول ربنا- سبحانه وتعالى- في حض المؤمنين على العفو والتسامح: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ (البقرة: ١٠٩).

وحتى أولئك الذين خانوا ولم يدركوا جوهر العقيدة، وقصروا في أداء ما عليهم من واجبات، تجد القرآن الكريم يوصي النبي ﷺ ومن بعده المسلمين جميعا بالصفح عنهم، وعدم الإصرار على معاقبتهم أو الانتقام منهم، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (المائدة: ١٣)، ثم إن الله تبارك وتعالى يكرر الأمر لنبيه ﷺ بالعفو في موضع آخر، حيث يقول له ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف: ١٩٩).

ويزاد على ذلك أن الله عز وجل أكد على الأخذ بمبدأ العفو والصفح عمن أساء لنا، وربط بين التسامح والعفو من جهة، وبين مغفرته سبحانه وتعالى لذنوب عباده وسيئاتهم من جهة أخرى، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (النور: ٢٢).

هي دعوة إذن إلى اجتناب الانتقام، وتقليد سلوك الآخرين في التطاول على الناس أو الإساءة إليهم.. ويتم هذا الأمر باجتناب السير وفق منهجهم، أو التعامل وفق طريقتهم، وللمسلم أن يلجأ إلى العفو والتسامح - حتى وإن كان صاحب حق- سيما إذا كان هذا التسامح لن يؤثر على دينه وقيمه الإسلامية الرفيعة.. أما إن كان هذا العفو سيؤدي إلى ضياع بعض الحقوق الدنيوية والمكاسب الحياتية، فإن الأمر يعد- من الوجهة الشرعية- هينا يمكن التغاضي عنه، سيما إذا أدركنا أن الدنيا برمتها لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، ولو كانت تساوي ذلك ما سقى الكافر منها شربة ماء.. كما علمنا ذلك رسول الله ﷺ.

وقال ربنا سبحانه وتعالى في حض المؤمنين على العفو والتسامح، منبها إلى أن صاحب الحق الذي يعفو ويصفح لن يتركه الله تبارك وتعالى ولن يتخلى عنه؛ لأن الله- عز وجل- من أسمائه «العدل»، لذلك فهو سبحانه وتعالى له تصاريفه في كونه، التي قد تخفى علينا ولا ندركها؛ لأنها تتحرك وفق القانون الإلهي الرباني، لا وفق قانون البشر المحدود بإمكاناتهم العقلية، قال تعالى فيما يشير إلى هذا المعنى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ (البقرة: ١٠٩).

وإذا كان القرآن الكريم قد حض المسلمين على العفو والصفح والتسامح فإنه أكد في الوقت ذاته- وفي أكثر من موضع- أن الله تبارك وتعالى يحب الرحمة والمغفرة، ومن أسمائه الحسنى «العفو» و«الغفور»، يقول ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ (النساء: ٤٣) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ (النساء: ٩٩)، وتلك مسألة من شأنها الأخذ بيد المسلمين جميعا إلى الاتجاه صوب ممارسة العفو والصفح والتسامح مع الآخر، حتى وإن تطاول وتجاوز حده.

وإلا عن ماذا سيكون الصفح؟ وعن أي شيء سيكون العفو؟

وهكذا تقوم فلسفة التسامح في الإسلام على ممارسة اللين مع من أساءوا، وممارسة العفو عمن أخطأوا، وذلك لأن في التسامح دلالة على سعة الأفق ورحابة الصدر، وفي العفو قدرة على ضبط الانفعالات الانتقامية.. وتلك مسائل وضعها الإسلام ضمن منظومته القيمية والأخلاقية.

من هنا نستطيع أن نقرر أن الإسلام حض المسلمين في كل زمان ومكان على اعتماد التسامح كمنهج وأسلوب ناجع في حل المشكلات، ورفع التناقضات بين الجميع، وتلك هي شيمة كل الرسالات السماوية الكبرى، حيث يقف المرء في العهدين القديم والجديد على العديد من النصوص التي تؤكد على ضرورة الأخذ بمنهج العفو والصفح والتسامح، وتبرز عظمة توجيهات السماء.. غير أن عشاق التشدد وأصحاب الميول الإقصائية هم من ذهبوا إلى زعم أن الأديان لا تحض على التسامح والتآخي الإنساني، وزعموا أن بعضها يعمل على إقصاء بعضها الآخر، وما قالوا بذلك وما زعموه إلا ليجدوا تربة مناسبة لنشر فكرهم المادي وتياراتهم الإلحادية.. ومعلوم أن تلك الأمور لا تسود ولا تنتشر إلا في ظل غياب الدين الصحيح، والتدين الوسطي المعتدل.

وثمة أهمية لأن نشير في هذا السياق إلى بعض العوامل التي من شأنها دفع الإنسان إلى ممارسة التسامح على مستوى الفكر والممارسة، أو القول والعمل:

أولا: الحرص على مرضاة الله تبارك وتعالى، فالله عز وجل قد حض على التسامح وحبب الناس فيه، بل أمرهم به من خلال العديد من الآيات القرآنية التي أشرنا إليها.. ونشير إلى أن الأحاديث النبوية أكثر من أن تحصى في هذا السياق، وسيرة رسول الله ﷺ نموذج يحتذى في العفو والصفح والتسامح مع الآخرين، والمعلوم أننا أمرنا بالتأسي به ﷺ في كل شيء، فهو القدوة الحسنة، والمثل الطيب في السلوكات للمسلمين جميعا، بل ولغير المسلمين من ذوي العقول الناضجة والبصائر المستنيرة.. قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب: ٢١).

ثانيا: الثقة في أن تحول الدهر وتبدل الزمن لا يحدث إلا وفق مراد الله تعالى، فلا يقع في كون الله إلا ما يريد، مع الثقة بأن لله تعالى في كل قضاء حكمة.

إن إدراك المسلم لهذا المعنى يجعله يتسامح ويعفو، من دون إحساس بأنه قد سلب حقه أو نهب مستحقه.. فتصاريف الله في الكون تخضع لمشيئته ومراده سبحانه وتعالى، وليس بالضرورة أن يتوافق ذلك مع مرادات البشر ورغباتهم أو مشيئتهم.. وصدق قول من قال: أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد.

ثالثا: الوعي بأن اللحظة الراهنة ليست آخر اللحظات، والفرصة المتاحة الآن ليست نهاية التاريخ، مع إدراك أن الزمن لن يتوقف على حادث معين، أو أن قوانين الوجود ستختل إذا تسامحنا! أو أن الكرة الأرضية ستكف عن الدوران إذا تجاوزنا عن خطأ الآخرين.

ويجب أن يرتبط ذلك بالوعي بأن التعويض ممكن، إذا توفرت أسبابه وعوامله، التي من أبرزها الإخلاص والاجتهاد، الأمر الذي من شأنه تخفيف حدة الألم عن النفس الإنسانية إذا ضاعت عليها فرصة، أو أخفقت في تحقيق أهدافها ونجح غيرها في ذلك.

رابعا: التعلم من التاريخ، وقراءته بدقة ووعي وتأمل وتدبر؛ امتثالا لقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ (الحشر: ٢)، وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم: ٥).

خامسا: الثقة بأن نتائج التسامح أفضل بكثير من النتائج التي تترتب على التشدد والتزمت وعدم المرونة.. إذ لم يثبت التاريخ- عبر كل مراحله الطوال- أن تغييب التسامح والصفح أتى بنتيجة إيجابية، بل كل المواقف التاريخية والحياتية تثبت عكس ذلك تماما.

سادسا: إدراك أهمية الحوار؛ فالتسامح هو وليد التفاهم، الذي يؤدي بدوره إلى إيجاد حوار حضاري بين طرفي كل نزاع، والحوار هو آلة العقل الأولى في حل المشكلات، وتقريب وجهات النظر، إذا ما قام على الموضوعية والحيادية، وتخلص من آفاته المتمثلة في الجدل البيزنطي، والتماحكات اللفظية.

سابعا: الوعي بأن التسامح فعل إنساني صرف، فالإنسان أو التيار الفكري الذي ينتهج التسامح منهجا وطريقا في تعامله مع القضايا والأحداث هو تيار إنساني بامتياز؛ لأن التسامح صفة العقول الراقية والأذهان الناضجة، أما العقول الضيقة العاجزة عن الانفتاح فهي عقول أقل قدرة على ممارسة التسامح مع الآخرين، لأن العفو والصفح يمثلان الترجمة الحقيقية والفعلية لقبول الآخر، والاقتناع بحقه في الحياة والوجود بجانب الأنا أو الذات.. وإذا اقتنع المرء بحق الآخر في الوجود فسيقتنع بالضرورة بحقه في أن يصيب ويخطأ.. وما دام الخطأ واردا فإن العقل الرشيد يقول بضرورة ممارسة التسامح، وهذا بالضبط ما أراده الإسلام.

أخيرا: توفر الجو العام الذي يحض على التسامح، ويعرف للمتسامحين حقهم ونبل أخلاقهم.

شيخ المؤرخين الجزائريين أبوالقاسم سعدالله (رحمه الله)

ياسين محمد كتاني
باحث دراسات إسلامية

رحل عن دنيانا أخيرًا مؤرخ الجزائر العلامة أبوالقاسم سعدالله، وترك فراغا كبيرا في مجال التأريخ في العالمين العربي والإسلامي.

هو العلامة المؤرخ أبوالقاسم سعدالله، لقب بشيخ المؤرخين الجزائريين، من مواليد (١٩٣٠/٧/١م) بضواحي مدينة (قمار) من ولاية الوادي في الجنوب الجزائري.

باحث ومؤرخ، تلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين وهو من رجالات الفكر البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني، وقد تنقل الشيخ خلال مشواره العلمي بمراحل متعددة منها:

١- حفظ الشيخ سعدالله القرآن الكريم وهو في سن مبكرة.

٢- تلقى مبادئ علوم اللغة، والفقه والدين بمسقط رأسه مدينة (قمار).

٣- هاجر إلى تونس سنة (١٩٤٧م) ودرس بجامع الزيتونة حتى سنة (١٩٥٤م)، واحتل المرتبة الثانية في دفعته.

٤- بدأ الكتابة في جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين) سنة (١٩٥٤م)، وكان يطلق عليه لقب (الناقد الصغير).

٥- حصل على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في القاهرة عام (١٩٦٢م).

٦- حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية، من جامعة (مينيسوتا) الأمريكية، عام ١٩٦٥م.

للشيخ- رحمه الله- سجل علمي حافل بالإنجازات من وظائف ومؤلفات، وترجمات، وله حضور كبير في الساحة العربية والدولية، حيث اشتهر بمواقفه العلمية والفكرية المعتدلة، وبدفاعه عن الثوابت والقيم الوطنية.

ويعد «سعدالله» من أكبر المؤرخين العرب، ومن رجالات الفكر البارزين، وأعلام الإصلاح الاجتماعي والديني.

تخصص الفقيد- رحمه الله- في:

١. تاريخ الجزائر الحديث.

٢. تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر.

٣. تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر.

٤. تاريخ النهضة الإسلامية الحديثة والدولة العثمانية منذ (١٣٠٠م).

وهو يتقن بالإضافة إلى اللغة العربية، اللغتين الفرنسية والإنجليزية، كما درس الفارسية والألمانية. وقد قام- رحمه الله- بالتدريس في عدد من الجامعات الجزائرية والأجنبية.

و لمؤرخنا- رحمه الله تعالى- العديد من المؤلفات العلمية النافعة في شتى العلوم، ومن أهمها:

١. موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي، جاءت في (٩ مجلدات)، وهي من أشهر مؤلفاته وأكبرها.

٢. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، جاءت في (٥ أجزاء)، وهي من أنفس ما كتب الشيخ رحمه الله.

٣. الحركة الوطنية الجزائرية، جاء في (٤ أجزاء).

بقي العلامة سعدالله- رحمه الله- على هذا الحال بين التأليف والتدريس، إلى أن توفاه الله تعالى يوم الخميس الموافق: (٢٠١٣/١٢/١٤م) عن عمر ناهز (٨٣) عاما، أمضاها في خدمة بلده وتاريخها، وتاريخ العالم.

د. سعيد إسماعيل في حوار خاص «للوعي الإسلامي»:

ملايين التلاميذ العرب لا يعرفون شيئا عن لغتهم

حوار: محمد ثابت توفيق

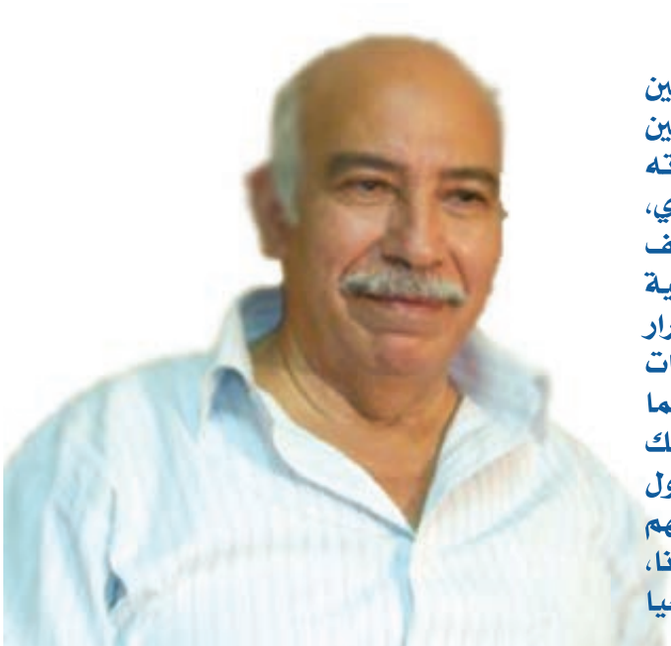

يُطلق عليه إعلاميون «شيخ التربويين الإسلاميين».. إنه واحد من الخبراء التربويين الجادين في عالمنا العربي، تشهد له مؤلفاته وأفكاره، ومسيرة عقود في بث الفكر التربوي، وفي هذا الحوار مع «الوعي الإسلامي» يكشف د.سعيد إسماعيل علي، أستاذ التربية بكلية التربية بجامعة عين شمس المصرية، عن أسرار مسيرته التعليمية، وما لاقاه من صعوبات حددت مسيرة حياته العلمية والفكرية، كما يقيم دور الصعوبات في مسيرته، وكذلك أهميتها في حياة الشباب والأمة، كما يتناول أسباب واقعنا الحضاري اليوم، وكيف أسهم التعليم في هذا الواقع، وكيف يمكن أن يقودنا، خاصة مع تضافره مع المعرفة والتكنولوجيا لنتبوأ موقعنا الحضاري من جديد.

● في البداية نريد أن نلقي الضوء على طرف من نشأتكم وتكوينكم والصعاب التي لاقيتموها في سبيل الالتحاق بالتعليم.. قبل مواصلة رحلتكم الشاقة مع العلم.. لعل كثيرا من شبابنا يأخذون العظة والعبرة منها.

. ولدتُ عام ١٩٣٧م بضاحية المرج- الريفية آنذاك- من العاصمة المصرية القاهرة، وكان أبي يعمل خياطا بلديا، في حين كانت أمي سيدة أميّة، ولما كان أبي لم ينل قسطا من التعليم على الإطلاق، فقد اجتمع كونهما، رحمة الله تعالى عليهما، أميّين، وكان التعليم الأولي هو السائد في مصر آنذاك، حيث يتعلم الصغار القراءة والكتابة وبعض العلوم، ولا يُبنى على هذا اللون من التعليم، أي إنه لا يستكمل، وكدتُ- للحقيقة- أكتفي به، لولا أن علمت أن أحد أقاربنا من الصغار سيلتحق بالمرحلة الابتدائية مع كونه غير سوي الإدراك، فأخذتني الغيرة الشديدة، وقلتُ في نفسي: إنني الأولى بإكمال التعليم، وكانت أمامي إشكالية كبرى آنذاك، إذ إنه ليس هناك في الأسرة كلها من يعرف أهمية مسيرة التعليم المعتادة، ولا دورها في الحياة، وفي نهاية رحلة التفكير هذه توصلتُ إلى أنه ليس من حل سوى أن أسرق شهادة ميلادي من والدي.. بعدها استعنت بأحد الكبار ورجوته أن يحضر لي استمارة مدرسة الآداب الابتدائية في حي حدائق الزيتون، وكانت الأقرب إلينا، وبالفعل تقدمتُ وقبلتُ في المدرسة، وكانت بالنسبة إلي آنذاك كالفضاء الخارجي لتلاميذ اليوم، وكان تقدمي إليها في العام الدراسي ١٩٤٧-١٩٤٨م، وكانت المشكلة الأولى والكبيرة- آنذاك- قد انتقلت من رفض الوالد الذي قبل الأمر، حتى حين، إلى الزملاء من التلاميذ، فقد كانوا يتضاحكون على بساطة ملابسي، ورقة حالي بوجه عام، بل كوني ريفيا لا أعرف تصرفاتهم المنتمية إلى المدينة، ولكن هذه المشكلة صارت حافزي إلى التقدم، بل التفوق الدراسي لإثبات أن بيئتي التي لم تكن تروق لكثير منهم سَتُخرج من هو أفضل..

كان المدرسون يشرحون آنذاك في الفصول، وهي الإشكالية الكبرى اليوم، فلم أحتج إلى دروس خصوصية، وفي نهاية العام جاء ترتيبي الأول على فصول المرحلة الابتدائية كلها، ولا أخجل من القول بأن أبي تضايق لما رأى الشهادة، إذ كان مقتنعا بأني ينبغي أن أرث مهنته، ومن تلك اللحظة حتى تخرجي من كلية الآداب لم يعرف أبي في أي عام أدرس، إلا لما جاء أهل بلدتنا لتهنئته، فلما تعجب منهم أخبروه بأني نلت الشهادة الكبرى، كما كانت تسمى آنذاك..

من يومها تعلمتُ أن أسير، بإرادة الله تعالى، بنفسي وبتوفيقه لي بحسن استثمار قدراتي، وبالتالي صرتُ في الحياة لا أنحني لأحد، مدركا أن الفضل في البداية والنهاية لله تعالى لا لسواه.. وليت شبابنا اليوم يدركون أهمية هذا الدرس جيدا..

● وهل استطعت الحفاظ على مسيرة التفوق هذه أمام تحديات

الفقر وصعوبة الدراسة الجامعية في تلك الفترة المبكرة من حياتك؟

كان حب التفوق حافزا لي لمزيد من التفوق.. وكنتُ قد حصلتُ في الثانوية على ٦٧٪، وهو مجموع ضخم آنذاك، فاخترتُ الالتحاق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب، لكن مستواي لم يكن مناسبا في اللغة الإنجليزية، وكانت مدارس اللغات غير تابعة للدولة، فلم يكن التعليم أمّم بعد، وكانت الإنجليزية في مدارس الدولة شبه إضافية، من هنا قررتُ ترك قسم اللغة الإنجليزية رغم أهميته- آنذاك- التي لم تكن تقل عن الطب والصيدلة.. وانتقلت إلى قسم الفلسفة لحبي لعلم النفس الذي كان ملحقا بالقسم نفسه، ولكني بعد التخرج بتفوق وجدتني غير قادر على إكمال رحلة التعليم العالي، لأن كلية الآداب آنذاك لم تكن تعين معيدين، من هنا فور علمي بوجود كلية وحيدة للتربية في مصر هُرعتُ إليها لأنال دبلومتها وأكمل مسيرة التدرج فيها حتى اليوم.. وكنتُ قد نلتُ درجة الأستاذية منها عام ١٩٧٩م.

● برأيك هل تفتقد الأمة العربية الإسلامية اليوم استنهاض روح التحدي لتبدأ رحلة الصعود من جديد؟

. برأي أحد فلاسفة التاريخ ويدعى توينبي إن نظرية التحدي والاستجابة تخص الشعوب والأمم كما تخص الأفراد، فكلما كانت المخاطر والمتاعب أمام قيام أو استرداد الحضارة- كما في حالتنا- هائلة، كان استنهاض الهمة أكبر، وفرص النهوض والتقدم أوفر، ومن هنا أتمنى أن يقدر الشباب مرة ثانية هذا الأمر جيدا.. فلا يستنعمون الحياة لوجود الأب والأم اللذين يوفران كل كبيرة وصغيرة، فلا يمضي الأبناء، مهما كبروا، في مسيرة الحياة إلا وهم متكاسلون، إلا من رحم ربي، وليدركوا أن في تكاسلهم هذا خذلانا منهم للأمة كلها..

● أنت أحد رواد التربية والتعليم في الوطن العربي.. ما دور التعليم حتى اليوم في بقاء الأمة العربية

الإيمان العقلاني والأخذ بالمعرفة والتكنولوجيا سبيلنا لإعادة أمتنا لموقعها الحضاري المفقود

الإسلامية على ما هي عليه، ومن قبل قصور التربية ممثلة في وجوه متعددة من أسر ومؤسسات في القيام بدوره؟

. نعم هناك قصور في التعليم العربي اليوم.. ولننظر إلى الانتشار المخيف للغة الإنجليزية في الدول العربية والإسلامية، ومساحة التعليم المجاني التي تتقلص، بل دخول الحكومات العربية في مجال التعليم بالإنجليزية، عبر ما يُسمى في مصر بـ«المدارس التجريبية»، وأثمر هذا كله عن ملايين التلاميذ والطلاب لا يعرفون شيئا لا عن دينهم ولا لغتهم، من هنا يجيء التحدي لجيل لا يعرف شيئا عن عمالقة الشعر القديم: البحتري، أبوتمام، المتنبي، امرؤ القيس.. وأقصى ما يعرفه المثقف منهم أسماء صحافيين مع الثقافة الغربية بلا حدود، فإذا ما اعترفنا بأن لدينا طرفا من المتدينين من مدرسين ومدرسات، للأسف يسيئون تقديم صورة ديننا إلى صغارنا، علمنا خطورة وضعنا التعليمي الحالي على واقع الأمة كلها..

● عفوا يا دكتور.. لكن الأمر له علاقة بسنين طويلة وتراكم مجهودات لتقويض لغتنا العربية..

. هذا صحيح، للأسف الشديد، وأرى أنه بالتحديد عند استقلال كثير من الدول العربية الإسلامية كانت فرصة مواتية للقفز في نوعية التعليم المقدم لأبناء أوطاننا.. لكن للأسف نجح المحتل قبل خروجه في أن يدخل لدينا نفوذا من نوع أشد، عبر الجامعات التابعة له، ونرى هذا في مصر ولبنان تحديدا، ومنذ العشرينيات من القرن الماضي، ومن هنا تخرج الآلاف ممن نضبت ثقافتنا لديهم.

● ولكن هل أنت مع القائلين بوجود مؤامرة غربية مستمرة على ثقافتنا منذ سنوات بعيدة حتى اليوم؟

. لا أحب منطق القبول بالمؤامرة والصراع على الإطلاق، لكن ما أؤمن به أن العرب والمسلمين لم ينتبهوا للأمر الرباني في الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وقد ضرب الله تعالى المثل برباط الخيل.. والمقصود، كما أفهمه، هو كل ما يؤدي إلى القوة من علم وتكنولوجيا، لأن العالم اليوم مبني على صراع قوى، وأهم وسائل هذه القوة هي المعرفة، وعدوك يتهيبك مادمت قويا في المعرفة وتطبيقاتها، ومن هنا أعود إلى التعليم من جديد، فقد كنتُ في اليابان رئيسا لندوة هناك، فقالوا لي: إن الهوية اليابانية هي الأصل لديهم، ولذا يعرف التلميذ الإنجليزية، لكن اليابانية أولا لديهم، حفاظا على الهوية اليابانية التي تنمو معه حتى الدكتوراه، وهي الأهم في تكوينه، وبالتالي تعليمه وتعلمه المعرفة والتكنولوجيا.. ترى أين نحن من هذا؟

● لكن أليس أمر إعداد الغرب عائدا إلى سنوات أبعد، حتى قبل تطور العلم والتكنولوجيا؟

. هذا صحيح، فالحروب الصليبية بدأت منذ وقت مبكر.. منذ القرن الحادي عشر الميلادي، كما أنه- تاريخيا- لدينا التفكك منذ ملوك الطوائف في الأندلس، وكان هذا إنذارا بتفكك النسيج الحضاري للأسف، فإذا ما أضفنا القصور في الأخذ بأسباب العلم والتكنولوجيا، فيما بعد، علمنا أن سنن الله في الحضارات أنها دورات، كل فترة تعيش مدة ثم تغيب، وفي الغالب لن يستمر التفوق الحضاري الغربي.. لكن متى سيتم هذا؟ إنه في علم الله تعالى.. لكني أتوقع أن تشرق شمس حضارتنا عندما نأخذ بسنن التطور الحضاري، وحرية التعبير والتفكير المعرفي وتطبيقاته التكنولوجية.

عود على بدء: عن النهضة

د. هبة رءوف عزت
أكاديمية متخصصة في الفكر الإسلامي

الجهد المطلوب لنهضة الأمة ضخم، تتجدد التحديات وتدور الأحداث، ليستمر تفكيك مساحة الوعي الإسلامي لأسباب تتراوح بين الانشغال باستهلاك الأفكار والسلع، أو هجرة الكوادر والعقول، أو تنافس الفرقاء وتفكك النسيج الاجتماعي، ووطأة تحولات المنظومة الاقتصادية التي ربطت نفسها منذ الاستعمار بآلة الرأسمالية الدولية، ومنطقها ودوائرها.

وَضْعُنا من مطلع القرن التاسع عشر كان أشبه بلحظة ما قبل النهضة الصناعية في أوروبا، وظهرت جهود التجديد التي توجه بعضها للغرب مستلهما وبعضها للتراث مستصحبا، ومرت العقود دون تحقق المنشود، والمرحلة اليوم في ظل المستجدات ومجريات الأحداث العربية تحتاج لرؤية ثاقبة، وصناعات ثقيلة للفكر، وعناية فائقة بإعادة صياغة خرائط العقل، وتحصيل لموارد القوة بأنواعها، ومن المهم أن ندرك أنه في بعض المجالات التركيز على «المشروعات الفكرية الصغيرة» في مجال بناء القدرات للنهضة لا يقل أهمية عن المشروعات الكبرى، ومن الفرائض الغائبة جهد صغير قد يوفر اللبنة الناقصة في صرح شبه مكتمل.. أو ترس ناقص في آلة تستعد للدوران.

وهناك رؤيتان لنهضة الأمم: أن تفكر بشكل واسع وضخم Think Big، أو أن تطبق نظرية كل صغير جميل Small Is Beautiful، والجمع بينهما واجب، والاختيار بينهما في المسارات المختلفة يحتاج بصيرة، ولا يعني الاتساع في الرؤية الزحام في المهمة، فقد يصوغ تصور العالم فرد، ويتولى ملف التشبيك مع القارات ثلة، وقد يكون في الأمة على بعض الثغور.. فرد بأمة، فهناك استراتيجية النمل واستراتيجية الأفيال، الأفيال لها عالمها ولها خبراؤها، ونحتاجها للتغيير السياسي والاقتصادي السليم، لكن علينا أن نفهم أن النمل أقدر على مواجهة العواصف من الأفيال، وتغيير الحال من عصر إلى عصر. ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾(سبأ:١٤).

لكن عنصر الخطر في المشهد هو الجراد والفئران، الجراد الذي تحكمه عقلية الإتيان على الأخضر واليابس والطيران بُعَيدها بعيدا، و الفئران التي تكتفي بالقفز من السفينة وهي تغرق بعد أن تكون قد قرضت خشبها وحولته لألواح متناثرة.

وتحتاج أمتنا لصياغة عقل النهضة قبل العمل على مشروع النهضة، فالعقل السياسي والاقتصادي قد يفكر في قياس العائد وحساب النتائج، وهذا حق مشروع وصواب، لكنه لا يبني صرح النهضة، بل يشيده العقل النهضوي الحضاري، حيث يفكر في إلقاء البذور وحماية التربة والاحتفاء بالثمر وقت الحصاد، ونهضة كالتي نحلم بها تحتاج عقلية التجارة كما تحتاج عقلية الزراعة.. والمدنية والحضارة لابد أن تقف على ساقين. لكن المقاصد قبل التفصيل، والقبلة قبل التكبير.

من أين نبدأ؟

إجابتي دوما عن سؤال النهضة أن الإصلاح عملية معقدة، لكن تبدأ من الناس، صحيح أن «الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» لكن يظل التغيير في يد الناس، فالركلة الأولى لكرة الإصلاح تأتي من الناس، وليس هذا عزوفا عن دهاليز السياسة وأضابيرها، فلها أهلها ولها طلابها، لكنه وعي بأن السياسة ميزان قوة وعلاقة «ردع متبادل».. وتدافع.

فإذا أهدر الناس إمكاناتهم وطاقاتهم، وقبلوا قتل أحلامهم، ولم يردعوا «النخبة/الملأ» عن الاستبداد والفساد، حتى تحت شعار نهضة، فإن المحصلة هي حاكم مستبد ونخبة فاسدة وخذلان للمشروع وللأمة. وليس من قبيل المصادفة أن

الناس تحصل على حقوقها في كل مرة تطالب بها وتدافع عنها، فما ضاع حق وراءه مطالب، لكن في مرات كثيرة تهدر النخبة تلك المكتسبات، فتكون المحصلة هي الارتباك والإخفاق ثم البوار.

وسيكون السؤال التالي: فمن أين نبدأ وما الخطوات؟.

ولطالما وَجَدْتُ فكرة خطوات الإصلاح التنظيمية المرتبة (وكأننا نصعد سلما أو نسير على أرض من المربعات المخططة) فكرة طريفة جدا، ومضللة للغاية، فمن قال إن التغيير نتاج خطط مسبقة وخطوات مرسومة.. وفقط؟

لم أجد في التاريخ أمة حصلت نهضتها بخريطة طريق معلومة ومحددة سلفا، لكن الأمم تحقق النهضة بروح تسري فيها، فتحول اللون الأصفر الرابض على مساحات القلب إلى لون أخضر، ويبدأ الناس في المبادرة بالفعل غير المتوقع وغير المنتظر، فتبزغ الرؤية وتتشكل، ويقترن الفكر والواقع في مشروع تلك اللحظة التاريخية الفارقة. ولا ينفي هذا إعداد الملفات لمرحلة مَا بعد اللحظة الفارقة، لكن كيف تأتي؟ هو سؤال يحكمه التاريخ والقدر، والتكليف في القرآن هو: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾.. (الأنفال:٦٠)، والتحقق: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ..﴾(الأنفال:١٧).

التغيير يحدث حين يبدأ الناس في تحدي الواقع بدون خطة تسمح بإجهاض مقاومتهم، ولأن الأمر غير متوقع؛ ولأنه خارج السيناريوهات التي ترسمها القوة المهيمنة، تفلح الجهود الصغيرة في فتح ثغرات في الجدار، وشق مساحة في السقف، وهدم ركن ركين في صرح ظن الناس قبلها أنه لا يهزم ولا يقهر؛ فإذا خر تبينوا أن لو كان لهم طاقة أمل وجرأة فعل لانهدم منذ دهر. هكذا تهاوت بنية الجاهلية مع بعثة محمد ﷺ، وهكذا تهاوت كل بنى الطواغيت عبر التاريخ.

النهضة تراكم أفعال وليس قلب طاولة على الناس

وقد بدا لي في التجوال بين الكتب والنظريات والترحال في البلدان والمساحات أن خريطة التغيير أشبه بطاولة البلياردو، وليس بلعبة القوس والسهم، فنحن نظن أحيانا أننا لو شحذنا القوة وسددنا على نقطة تصيب في مقتل لانتهى الأمر. وتقديري أن الأمر ليس كذلك البتة!.

نبي الله موسى لم يملك من مقومات البطش ما امتلكه فرعون وهامان وجنودهما، لكنه امتلك قوة الحق وطاقة السعي، وغاية تمكين الناس، ويكفي المرء أن يدفع أول كرة أمامه على طاولة البلياردو لتحرك الكرات الأخرى، ليس في اتجاه واحد بل في عدة اتجاهات، وقد تسقط في المكان المنشود كرة غير التي نتحسبها، ومن لون لا نتوقعه، فالكرات على الطاولة ألوان، والتنوع سنة، وحركة التاريخ أشبه بحركة الكرات في اتجاهات تثمر في النهاية عن تغيير خريطة القوة ومشهد الطاولة.. لكن لفكرة الضربة القاضية في حلبة ملاكمة للأسف سلطان على العقول.. والأفئدة.

الواقع لا يتغير كما في لعبة الرماية بطلقة تصيب هدفا، بل بمناورة أشبه بمصارعة الثيران التي يملك فيها الثور قوة أكبر من قوة اللاعب المتقافز هنا وهناك، ولو واجهه لصرعه الوحش، لكن إنهاك الوحش وطول النفس ومهارة التصويب لغرس سهم وراء الآخر والمراهنة على الجروح الصغيرة والنجاحات المتكررة ما تلبث أن تؤدي لنزيف يفقده قوته وتصبح الضربة الأخيرة أشبه بالقشة التي تقصم ظهر البعير، بسيطة وسهلة وأحيانا أقرب مما يظن المشاهد بعد أن كاد ييأس ويغادر مقعد المتفرج.

السنن.. واليقين

لدينا في مواقف كثيرة من الرعونة ما يغلب التعقل، ومن التخاذل ما يغلب العزيمة، ومن الحرص على الدنيا ما يغلب الدفاع عن الكرامة، ومن التنازع على السلطة والنفوذ ما يغلب التعاون على البر والتضحية في سبيل المبدأ، ونقرأ في كتاب الله قوله ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾(هود:٧٨).. ما تحتاجه أمة هو قليل من الرشد.. وقليل من الرجولة.. وبعض من المروءة.

والنهضة حركة تاريخ، لكنها تراكم فعل يومي للناس، يتراكم ويفرز قياداته: «منكم» ليصلحوا «الأمر».. وليست تغييرا يقلب الطاولة بما عليها.

ولا يغني هذا عن الخطط والمراحل المرسومة، لكن الخرائط تصلح للحظة «ما بعد النهضة».. تلك اللحظة التاريخية من «صحوة» أمة، ويقيني أن التقاتل على جثة لا يجدي كثيرا، «اضربوه ببعضها» فإن عادت له الروح فليذهب حيث يشاء، فالحي يتوجه حيثما أراد ودعوته للمكارم ممكنة، أما الميت فإنه لا يسمع النداء.

لذلك فالحديث عن النمل حديث موصول، النمل يتحمل أضعاف وزنه، يحاول ويناور، يدخل الجحور ويختبئ ثم يعود منتشرا، يملك الجرأة أن يقرص الفيل فيؤرق نومه، ويتابع الأخبار السياسية ويعرف متى يمر سليمان وجنوده وأين، ويطلق التحذير ليدخل الباقون منازلهم حتى تمر الكارثة

القادمة بسلام، وحين يأكل النمل العصا الذي يتكئ عليه الجسد المترهل الميت الذي يحسبه الناس مهيمنا وباطشا يدرك العالمون أن لو كانوا أكثر وعيا لما لبثوا في العذاب المهين.. وأن النمل كان أكثر وعيا وأقدر على صياغة التاريخ بالفعل الدؤوب الصغير دون حاجة للقدرة الخارقة للجن.

كان سليمان يعرف لغة النمل، وكان يعرف أمانة الملك، وكان يسخر الجن، لكن المشكلة أن الأمة اليوم لا تعرف لغة النمل.

حين تتوغل الوحوش فتبتلع المساحات التي يتحرك فيها النمل وتبدأ في حملات إبادة، هل نحسب أن النمل سيندثر، التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع تدلنا على أن ذلك لا يحدث، وأن النمل يختبئ لكنه لا يموت، يتمهل لكنه لا يكل ولا يمل، وأنه يطور استراتيجيات جديدة، ليعيد تأسيس مجتمعاته الخفية غير المنظورة، ثم يعود في لحظة تاريخية مواتية ليتحرك في المساحات المحظورة ويتحدى التقييد والمحاصرة، ويستعصي على التجاهل والتهميش والإزاحة من الوجود.

يدرك النمل أن استعادة المساحات مسألة وقت، فالنمل لا يعرف اليأس، بل يجيد ممارسة الصبر، والمرابطة، ويعرف أن الأحوال مثل الفصول.. تتغير، وأن الأيام.. دول، وأن الدول.. أيام.

والنمل أنواع، نمل صغير لا يكاد المرء يراه، ولكن قرصته مؤلمة جدا، ونمل أحمر ونمل أبيض ونمل يزحف ونمل يطير.. وكل ميسر لما خلق له.

التقدم لا يكون بالمقاومة المباشرة فقط بل بخطوات تكتيكية

استراتيجية النمل ليست استراتيجية ثورية تراهن على استخدام القوة الصلبة أو تبحث عن تغيير مفاجئ وراديكالي، بل هي استراتيجية تعتمد الاحتفاء بالعمل في صمت.. فهي لا تؤمن بالضجيج، وهي استراتيجية تؤمن بتقسيم الأدوار والتعاون المنظم والاشتراك في القيادة والإدارة اللامركزية، والتعاون في اتخاذ القرار، وشيوع المسؤولية لتستشعرها كل نملة، ولم تقل نملة يوما: لا أستطيع، تظل تحاول وتحاول وتحاول، حتى يتم إنجاز المهمة.

ضجيج الآلات الكبرى قد يشعرنا بتفاهة النمل، وقد نظن أن الآلة لابد لها من عصا لو وضعناها فيها ستوقفها، النمل قد يقرر أكل سير الماكينة أو أن يتسلى بتناول وجبة من الغلاف العازل لسلك كهرباء، واترك النمل قليلا ستجده قادرا على وقف الآلة الكبيرة بأفعال صغيرة.

طول النفس، والإخلاص في العمل مهما كان صغيرا، والحرص على الاستمرار.. هو الرهان، ونقطة الماء تحفر مجرى النهر

من المقاومة.. للنهضة

علمنا رسول الله ﷺ الذي أعطى الأمة دروسا في التمدن، ووضع قواعد للأخلاق حتى في زمن الحرب والقتال، ورأى المواجهة المسلحة لحظة على مستمر تاريخي ممتد، أصله التعارف والتدافع، فالغاية هي تحقيق العدل ودفع الظلم، فإن جنحوا للسلم فإن فكرة «الثأر التاريخي» ليس لها مجال، وإن عادوا.. عدنا، وطنيا وإقليميا ودوليا.

الأمم لا تحصل تقدمها ولا تبني حضارتها بفعل المقاومة وحده، إذ ينبغي أن تكون المقاومة خطوة تكتيكية في سياق استراتيجية نهضة كاملة، لأن هذا الإطار الأوسع هو الذي يحدد لنا متى نهجم ومتى يحق لنا أن نعتصم بالصبر وطول النفس، ومتى نوظف أدوات القوة المسلحة، وما هي اللحظة التي ينبغي فيها أن نضغط بأدوات السياسة والتفاوض، وهكذا.

لكن المقاومة ذاتها صارت مشهدا ضمن مشاهد «ثقافة المنظر» الإعلامي، غلبت عليها أدوات العصر وفرقعات الصورة والدعاية، ففقدنا البوصلة، وأدمنت الجماهير التي تشاهد الشاشة الفرقعات والمصادمات، تذرف الدموع حين تشاهد صور الدم، وتتهم بالعمالة والخيانة من يسعى للوصول إلى حل طويل الأجل يكفل –في ظل المعطيات والظروف– بالمواصلة والوعي الاستراتيجي. المقاومة تغري بصور البطولة.. تغري بالمواصلة واستعذاب التضحية، فقد يجيد البعض فنون الموت أكثر مما يجيدون معايشة ومكابدة الحياة والصبر على البناء.

إن مقاومة بلا رؤية للنهضة على المستوى الداخلي هي بدورها عرضة لنفس الخطر، أن تسقط في أسر الصورة

والمشهد بدون أن تبني رؤية للمستقبل، فيغدو حضور القنوات الفضائية في تغطية المشهد أهم من إنفاق الوقت في الاتفاق على منهج تغيير. بعد عامين انتشرت الإضرابات العمالية، بل وإضرابات الموظفين.. ومازالت، فالمقاومة لها أثر ولا شك، لكن أين المشروع الذي ينظم هذا كله في حركة تغيير تعيد للأمة نهضتها التي نبحث عنها منذ عقود طويلة. والتغيير سلسلة حلقاتها متشابكة.

عن المقاومة والنهضة نحتاج أن نتحدث، وأن نتجادل ونجتهد ونجدد، إذ يبدو أن المسألة أبسط مما نتخيل، ولكن علينا واجب ثقيل هو أن نستحضر كلا من المقاومة والنهضة في الواقع اليومي للناس.. وفي الأفعال الصغيرة كما في الكبيرة.

كي لا ننسى الدعوة

يفلت منا خيط الدعوة حين نشد حبال السياسة، ننجرف أحيانا في اليومي، وتبتلعنا عجلة التدافع والصراع..فتحتل الأخلاق والتزكية والدعوة أولوية متأخرة لأن لحظة الـ«تمكين» تغري.. وتستلب.

الآية الكريمة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾(النحل:١٢٥). توضح لنا أن الحكمة تسبق الموعظة، وأن الإحسان شرط الجدل، وأن الله أعلم بالعباد.

تصدر البعض للدعوة فصدوا الناس عن سبيل الله، وجوه مكفهرة، ومقولات حادة، وشعور بالتعالي على الناس، وتنزيه النفس واتهام الآخرين، يضيقون الواسع ويصعبون السهل ويجيدون تحويل القضايا الفرعية إلى قضايا كبرى، ورفع اللمم إلى مرتبة الكفر.

الغاية الكبرى من الدعوة هي استمالة القلوب واستنقاذ الناس من العذاب وشمولهم بالرحمة... فكيف يمكن أن تتحقق هذه المقاصد على حين تجرفنا نزاعات السياسة ومصالح الاقتصاد؟

أسلوبنا في الدعوة بل في طريقتنا في الحياة وطباعنا وسبل معيشتنا وأخلاقنا اليومية وقيمنا، غايتها حمل الأمانة وتحملنا الشهادة على العالمين.. والسياسة سبيل للنهضة وليس مساحة النهضة كلها.

والحكمة لازمة، وتقصيرنا شديد، وأغلبنا عنيد، والرشيد في هذا المجال.. غريب وحيد.

نحتاج ألا تشغلنا مسارات السياسة عن صناعة المستقبل والتفكير في استراتيجيات تغيير العالم، ولم تكن دعوة الإسلام دعوة فقط لمقاومة الجاهلية، بل دعوة تأسيس وصياغة لنموذج رباني المنهج، إنساني الصبغة، رسالي المقصد، فكيف حاصرتنا الأزمات وانحبسنا في أمكنتنا وفرضت علينا السياسة هذا السقف المنخفض من التصور وتلك المسافة المحدودة من الرؤية؟

الحل هو رسم خرائط المساحات وتقسيم المهام وتنسيق الحركة وتمييز الوسائل وتوزيع الأعباء وصيانة الرؤية الكلية ومنطقها الأعلى والأسمى.

أمكنة النهضة ومساحات الوجود

أحد مفاتيح النهضة المنسية هو فهم تحولات المكان كي لا تتوه مشاريعنا في متاهات اليومي، فتمر الحياة دون أن نملك التحقق والعيش بشكل يليق بنا.. كبشر.

في العديد من المدن العربية اليوم تحول المكان من وعاء للنسيج الاجتماعي إلى مساحات تنتج التفكيك والتنازع وإنتاج الفوارق، مدن يتم فيها فصل الفقراء عن الأغنياء فصلا عنصريا، ومدن تم اجتياحها من جحافل المغول الجدد القادمون من وراء النهرين، لكي يغسلوا أموالهم أو يبيعوا أعراضهم، ومدن باعت ثلث مساحاتها للفرنجة حتى أغلقوا عليهم حارات كاملة في الأحياء القديمة لأرض المرابطين واحتفلوا بالعودة والاستيطان.

كتبنا كثيرا عن واقع العرب والمسلمين، وعن إسهامات التيارات المختلفة وإخفاقاتها حتى الآن في صناعة النهضة، وعن رؤيتها عند التيارات الإسلامية بدءا من القرن التاسع عشر.

كل التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية لها هدف هو التغيير، بعضها يريد أن يغير واقعه، والبعض الآخر الذي يحمل رؤية كونية أو رسالة أيديولوجية يريد أن يغير بها واقعه.. والعالم.

لكن كيف نضع تصورا للنهضة يغيرنا.. ويغير العالم؟

والحق أن السؤال الأولى بالرد قبلها هو.. ما تصورنا للعالم؟

تصور المسلمون العالم في صيغة المعسكر، معسكر الكفر ومعسكر الإيمان، دار إسلام ودار حرب، ثم نمت فكرة دار العهد، ثم تحولت الرؤية إلى تصور مركب لأمة دعوة.. وأمة إجابة، وتشابك الدور، في ظل عولمة تفشت فيها الجاهلية في دور المسلمين، اختلط الصالح بالسيئ في الممارسة الاجتماعية والسياسية والشخصية، وفي كيفية إحداث التغيير.

ثم برز في عصرنا تصور رواد التجديد، بدءا من الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، مرورا برواد الحركات الإصلاحية الاجتماعية، ثم خرائط أفكار أمثال مالك بن نبي، وعلي عزت بيجوفيتش، وروجيه جارودي، وعلي شريعتي، وعبدالوهاب

المسيري، وطه عبدالرحمن، وغيرهم قائمة طويلة، وانبعثت جهود أثمرت تأسيس مدارس فكرية في الجامعات، وجامعات إسلامية في الأقطار، تتبنى المنظور المقارن، وتمثل منصات للاجتهاد الجماعي في العلوم المختلفة.

هناك أيضا مهمة تغيير عالم المسلمين بتغيير الفقه، فقد تطورت المذاهب الإسلامية في مسارها المعاصر لتواجه عالما جديدا، وانتفض علماء الشريعة ليشحذوا أدوات الفهم والاجتهاد، وتأسست المجامع الفقهية في عالم الإسلام وفي الغرب، ونشأ فقه حول الاقتصاد الإسلامي ليتعامل مع المتغيرات، وفقه الأقليات ليؤسس لتغيير العالم بصياغة رؤى لمقاومة الهيمنة، وللتعايش بين المسلمين وغير المسلمين على أساس من العدل والدفاع عن الحقوق (حلف فضول عالمي معاصر).

تلك كلها تجليات كبرى لعقول تريد تغيير العالم، بتغيير الخرائط المختلفة، وتجديد الرؤى والجهود.

بيد أن هناك في عصر العولمة وسائل تجدد مناهج تغيير العالم وتجعلها في متناول يد الفرد العادي، فهل لدينا رؤى لها وكيفية استخدامها دون أن تؤدي لتجريف الأخلاق وغياب المسؤولية عن الكلمة وأمانتها، وتحري الدقة في نقل الأخبار والتعفف عن الخوض في أعراض الخصوم؟.

فكيف ننقل الإسلام من عقيدة.. لمنهج حياة، فيغدو للإسلام أصوات تدافع عنه وإن لم تؤمن بعقيدته، كانت في عصر الرسول ﷺ.. ومازالت. وهو استثمار في «المعمورة الفاضلة» التي تحدث عنها الفارابي، والتي قد تغدو أيضا داعمة للمدينة الفاضلة والأمة الفاضلة.

وعلى هذا الدرب قائد هو المصطفى ﷺ الذي كانت سيرته مسيرة لتغيير العالم، بدون شروط موضوعية، وبدون حسابات القوة، لكنه آمن، ودعا، وصبر، حتى أتم الله عليه النعمة.. وأكمل له الدين.. رحمة للعالمين.

فإن نجحنا نحن في تطوير فقهنا عن التصورات المكانية للذات والآخر التي حكمت العقل والنظر الفقهي طويلا، وأدركنا العلاقة المركبة بين بناء النهضة وتغيير العالم، وإذا كان الصراع بين القوى واختلال توازنات العدالة مسألة تاريخية معروفة مرتبطة بالظاهرة الإنسانية فإن صيغ العلاقة وسيناريوهات إدارتها ومسارات وأشكال مقاومة الظلم تتنوع وتتغير.. وتجاهل ذلك لمصلحة تفكير بسيط يعكف على الذات ويتعامل بردود الأفعال مع التحديات اليومية يعني ببساطة السير بخطى واثقة ثابتة نحو الهزيمة.

في ظل هذه المعادلات لم يعد ممكنا أن نكون «مادة» لصراع الحضارات.. بل لابد من أن نكون فاعلا على الساحة الدولية له وزنه واعتباره.

كثيرا ما يسألني طلابي في العلوم السياسية أسئلة شاملة وكبرى ويندهشون حين أقول لهم إنني لا أملك إجابات متكاملة على قضايا كثيرة تناولها النقاش، وأبين لهم أن خريطة العقل المسلم يجب في المرحلة القادمة أن تكون خريطة العالم، وأن رسم هذه الخريطة مهمة ثقيلة تحتاج اجتهاد جماعي يفوق طاقة فرد مهما بلغت درجة تخصصه، وأن المجتهد الفرد المعتد برأيه المنفرد الذي يظن أنه يمكن أن يحيط بالأمر من جميع وجوهه –أي أمر جاد ويمس حياة الناس– لا أرضا قطع ولا حضارة استبقى.

ولست ممن يقولون عند الأزمات إن التغيير يجب أن يكون شاملا كاملا، لأنني أعلم أن الاجتماع البشري مبني على التغير لكنه فيه سنن الاستمرارية، ويجب أن يتناغما معا بإيقاع متواز، لكنني أدرك جيدا أن العالم المفتوح الذي نعيش فيه يحتاج منا مزيدا من التفاعل والتواصل.

لقد تجولت في مساحات من العالم لم أجد للعروبة والإسلام فيها تواجدا فاعلا، رغم أنها مهمومة بقضايانا، شغلنا الجاري عن التعاون والتعارف، وهو الذي من أجله خلقنا الله شعوبا وقبائل، لكننا للأسف أضعنا الشهادة على الناس التي هي أصل الشهود، وقصرنا الشهادة على أن نقتل في سبيل الله.

ويبقى أن نتذكر دوما أن كل الخيارات لها ثمن.. السكون له ثمن والفعل له ثمن، والركود له ثمن، والنهضة لها ثمن، ويد القدرة تتحرك لتغير مجرى التاريخ حين يتحرك الناس بما أمكنهم ليغيروا ما بأنفسهم، ويستنفذون وسعهم، ثم يغير الله متى شاء.. بسنن لا تتخلف وقدرة لا تنازع.

عاشق المخطوطات العربية

الشدياق

صاحب الجوائب

إعداد : علاء عبد الفتح

أحمد فارس الشدياق(١)، واحد من أبرز أعلام الثقافات المبنية على الطباعة والتحولات التي أحدثتها، ولد في قرية صغيرة من قرى لبنان تسمى «عشقوت» سنة ١٨٠٥ وهو من عائلة مارونية طالما خرج منها نساخ ورجال دين ومعلمون لأبناء الطبقة الإقطاعية.. نشأ في بيئة أدبية، فقد كان لأبيه مكتبة حفلت بالكتب في مختلف الموضوعات، واطلع عليها فارس في صباه، وأعجب بما فيها من كتب الأدب والشعر.. وكانت هذه المكتبة كلها مخطوطة.. وانتقلت أسرته إلى قرية «الحدث» القريبة من بيروت سنة ١٨٠٩، ثم دخل مدرسة «عين ورقة» التي تعلم فيها بطرس البستاني، ورشيد الدحداح، فكان ثالث ثلاثة من رواد النهضة الأدبية في القرن التاسع عشر.. تلقوا العلم في هذه المدرسة المارونية التي كانت تعلم العربية والسريانية وعلوم البلاغة والمنطق واللاهوت.

واشتغل فارس الشدياق بنسخ الكتب لنفسه أو لغيره، وصارت له بهذا شهرة، فاستدعاه الأمير حيدر الشهابي أحد الأمراء الشهابيين ومؤلف التاريخ المشهور، وكلفه نسخ تاريخه.

ومنذ البداية حرص الشدياق على مستوى عال من الدقة والجمال فيما ينسخ من كتب، وكان يوصي بضرورة استخدام الأدوات المناسبة للكتابة العربية، كالأقلام القصبية بدلا من السن المعدني، ويذكر أنه في شبابه قد بلغ درجة عالية من تجويد الخط، وعندما كان يرى خطا جميلا كان يقلده.

وتقلبت به الأحوال بين عمل وفراغ، إلى أن حدثت لأخيه وأستاذه أسعد الشدياق حادثة كانت الشرارة الأولى في تغيير مجرى حياته.. فقد تحول أسعد من مذهبه الماروني إلى المذهب الإنجيلي (البروتستانتي)، وقد أثار هذا التحول سخط البطريرك الماروني على أسعد، فأخذ يتهدده ويتوعده ويسومه العذاب، ونفاه إلى «دير قنوبين» سجينا معذبا حتى قضى نحبه في سجنه، وهو في ريعان شبابه. وكان لهذا الحادث أثره الأليم في النفوس، مما جعل الشدياق يكره الحياة في لبنان الذي بلغ من التعصب الطائفي هذا المبلغ. فقصد مصر سنة ١٨٢٥ بدعوة من المرسلين الأميركان الذين نصبوه ليعلمهم العربية، وكأنهم بذلك أرادوا أن يطيبوا خاطره نظير ما لقيه شقيقه أسعد بسبب اعتناق مذهبهم.

كان فارس الشدياق ناسخا، وقارئا وجامعا للمخطوطات؛ فخلال إقامته في مصر، غاص في بحار الأدب العربي القديم، وكان معظمه غير منشور في ذلك الحين، فنسخ بعضه لنفسه. وعندما رحل إلى أوروبا فيما بعد، حرص على زيارة المكتبات الكبرى في باريس ولندن وكمبردج وأكسفورد، كما حرص على قراءة المؤلفات المهمة في مجموعات مخطوطاتها العربية.

وأتاحت له إقامته بمصر أن يتلقى اللغة والأدب والنحو والبلاغة والصرف والشعر على بعض علمائها، وخاصة الشاعر الأديب الشيخ محمد شهاب

(١) هو فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، من طائفة الموارنة. ولقب «الشدياق» كان في الأصل يطلق على الشمامسة «جمع شماس» من رجال الدين، ثم أخذ القوم يتوسعون في استعماله حتى صار من ألقاب الشرف التي تطلق على كبار القوم من المتعلمين والكتاب الذين يرتفعون عن طبقة الأميين.

الدين الذي كان مقربا إلى بيت محمد علي، وقد أعانه هذا على أن يعين محررا في «الوقائع المصرية» ولم يكن عمله في الوقائع مقصورا على تصحيح لغتها كما يذكر بعض مؤرخيه، بل كان يشارك في تحرير القسم العربي بقلمه وبعبارته المرسلة الرصينة، التي كانت جديدة على أهل ذلك الزمان.

الإنتقال إلى اسطنبول

وخلال السنوات الثلاثين الأخيرة من حياته، وعندما كان يعيش في إسطنبول، كان يتردد على مكتبات المخطوطات، ونشر عدة مقالات في صحيفة الجوائب عن المكتبات ومجموعاتها، وندد بالقيود التي تفرض على استخدامها، وبظروف العمل السيئة فيها.

ولكن الاهتمام الرئيسي للشدياق عندما يتعامل مع المخطوطات، خاصة في الفترة الأخيرة من حياته، كان ينصب دائما على إقامة نصوصها، بحيث تعبر بدقة عما أراده مؤلفوها؛ ولذلك نراه يعقد مقارنات مفصلة بين النسخ المخطوطة للكتاب الواحد الذي يتناوله، ويقيم كلا منها. وقد أتاح له ذلك أن يكتشف أن بعض النسخ المخطوطة تعرضت للتصحيف والتحريف أثناء نسخها بسبب جهل الناسخين وإهمالهم. وقد نبه إلى أن النسخ المخطوطة تكون غالبا ناقصة، فقدت جزءا أو أجزاء من النص. كما أن كثيرا من نصوص الأدب العربي قد فقد كلية، نتيجة تلف مخطوطاته الفريدة والنادرة. بل إن كثيرا من المؤلفات التي وصلتنا نادرة، ويصعب الحصول عليها. وهو أمر تبين له عندما حاول أن يحصل على دواوين شعراء العربية العظام عندما كان في القاهرة في شبابه.

وقد كان الشدياق على اقتناع بأن السبيل إلى إحياء الأدب العربي والثقافة العربية هو تجاوز أساليب جديدة لنقل النصوص وحفظها، سواء في ذلك النصوص القديمة أو المؤلفات الحديثة. ومن حسن الحظ أن ظروف حياته وعمله قد أتاحا له أن يعرف أن هذه الأساليب قد أصبحت متاحة، فمنذ ترك موطنه الأصلي في عام ١٨٢٦ ارتبط عمله باستخدام المطبعة واعتمد عليها؛ ففي بداية حياته الوظيفية كانت الطباعة في البلاد العربية والإسلامية بمنطقة الشرق الأوسط بدعة مشكوكا فيها..

وبيت الشدياق قديم جدا في لبنان، يرجع إلى القرن الخامس عشر أي قبل الحملة العثمانية على مصر والشام بقرن كامل. وهو بيت يشبه بيت «الشهابي» من حيث إنجاب المسيحيين والمسلمين على السواء.

وفي سنة ١٨٢٤ دعاه الأميركان الى مالطة لغرضين، أولهما: التعليم في مدارسهم هناك، وثانيا تصحيح ما يصدر من مطبعتهم من كتب عربية، وقد أخذت هنا تتجه ميوله وعواطفه نحو المذهب الإنجيلي الذي اعتنقه شقيقه من قبل في لبنان، وعذب من أجله، ومات عليه، وقد ظل في مالطة أربعة عشر عاما حتى سنة ١٨٤٨. ومن أهم ما ألفه فيها من الكتب كتابه «الواسطة في معرفة مالطة»، وهو أول كتبه في الرحلات.

وقامت للشدياق شهرة أدبية لغوية، وخاصة في أوساط المرسلين، ففي سنة ١٨٤٨ دعته جمعية «ترجمة الأسفار المقدسة» إلى إنجلترا ليسهم في ترجمة هذه الأسفار، أو على الأصح في ضبطها وتنقيحها تحت إشراف المستشرق «الدكتور لي» الذي كان مكلفا بترجمة التوراة العربية، فلبى صاحبنا الدعوة، وبدأ العمل، وأتاحت له هذه المهمة أن يطيل التجوال في إنجلترا وفرنسا وأن يتعرف إلى ريفها وحضرها، وأن يدرس عن كثب أحوالها وأخلاق أهلها، وأن يتعلم الإنجليزية والفرنسية، ويقرأ لبعض أعلامهما.

وأعانه ذلك على أن يؤلف كتابه الثاني في أدب الرحلات، وهو «كشف المخبأ، عن فنون أوروبا»، كما ألف كتابه الرائع «الساق على الساق، فيما هو الفارياق» الذي طبع في باريس سنة ١٨٥٢. وفي سنة ١٨٥٣ كانت مدحته الشعرية للسلطان العثماني عبدالمجيد بمناسبة الحرب بين روسيا وتركيا، وهي قصيدة تزيد على مائة وثلاثين بيتا.

ومن عجب أن هذه المدحة، بل القصيدة الجهادية المحرضة على صبر المسلمين في القتال، كانت قبل أن يشهر الشدياق إسلامه في تونس بأربع سنوات.. وهذا مما يؤكد رأينا أن الرجل كان منشرح الصدر للإسلام في خلال رحلته إلى إنجلترا وفرنسا عقب مغادرته مالطة سنة ١٨٤٨.

وجاءت إلى الشدياق دعوتان استجابة للمدائح الشعرية.. أما الأولى فكانت دعوة السلطان عبدالمجيد إياه لزيارة الآستانة تكريما له على مدحته الرائية المشار إليها، وأما الثانية فكانت من أحمد باي تونس الذي دعاه لزيارته والإقامة معه في تونس لقاء القصيدة التي مدحه بها الشدياق وبعث بها إليه من باريس تقديرا لمبراته وخيراته التي وزعها على فقراء مرسيليا وباريس في أثناء زيارته لهما.. ولبى الشدياق دعوة باي تونس سنة ١٨٥٧ الذي بعث إليه بسفينة خاصة تقله إليه! وقد ذكر جورجي زيدان، ونقل عنه غيره أن الشدياق حرر في جريدة «الرائد التونسي»، ولكن مؤرخ الصحافة العربية فيليب طرازي يصحح هذه الواقعة قائلا: إن هذه الجريدة الحكومية أنشأتها حكومة تونس سنة ١٨٦١ أي بعد زيارة الشدياق لتونس سنة ١٨٥٧، فكيف يكون محررا في جريدة لم تكن قد صدرت بعد؟! وهو تحقيق سليم يصحح ما نشر خطأ بعد ذلك. وفي تونس اعتنق الشدياق الإسلام وتسمى باسم أحمد فارس

الشدياق، بل أضيف إلى اسمه لقب «الشيخ» الذي اشتهر به في العالم العربي الإسلامي كله.

ولم يطل مقام الشيخ أحمد فارس بتونس على الرغم من قربه من الباي وتوليه هناك أعلى المناصب، فلما كررت الآستانة دعوته إليها غادر تونس ملبيا دعوة السلطان، وهناك ألحق بديوان الترجمة وتولى تصحيح بعض المطبوعات.

وفي سنة ١٨٦٠ أنشا الشدياق صحيفة «الجوائب» سياسية أسبوعية، وقد صدر أول أعدادها في شهر يوليو سنة ١٨٦٠ بمدينة الآستانة. وكانت تطبع أول أمرها في المطبعة السلطانية، وهي المطبعة الحكومية، ثم أنشأ لها الشدياق مطبعة خاصة بها تسمى مطبعة الجوائب أيضا، وكان ذلك سنة ١٨٧٠ أي بعد عشر سنوات من إنشاء الصحيفة.

وقد نالت صحيفة «الجوائب» شهرة في العالم الإسلامي لم تنلها صحيفة سواها منذ إنشاء الصحافة العربية، فأقبل السلاطين والملوك ورؤساء الحكومات العربية الإسلامية عليها، كما كان المفكرون يتهافتون على قراءتها، وبلغت من حسن التبويب والإتقان، وبراعة التحرير وجودة الأساليب حدا جعلها أكبر صحف ذلك العهد وأوسعها انتشارا، كما كانت مطبعتها الخاصة المسماة «مطبعة الجوائب» من أشهر المطابع في الآستانة والشرق العربي، وقد أمدت المكتبة العربية بسيل من المطبوعات التي شاركت في إحياء التراث العربي، واشتهرت بين عشاق الكتب بجمال حروفها، وحسن إخراجها، ودقة تصحيحها، حتى كادت مطبوعاتها تداني مطبوعات الأميرية ببولاق من هذه النواحي.

أما مكانة «الجوائب» بين الصحافة العربية والعالمية فيكفي للتدليل عليها أن صحافة الغرب كانت تنقل عنها، وتستشهد بها في معرض الحديث عن سياسة الشرق، كما كانت تلقب صاحبها «فارس الشدياق» بالسياسي الشهير، والصحافي الطائر الصيت. والحق أن صلته الوثيقة بالسلطان العثماني وبرؤساء البلاد العربية والإسلامية جعلت صحيفة «الجوائب» مركزا مهما لسياسة الشرق حقبة من الزمان.

ولم تكتف «الجوائب» بمركزها السياسي وبمنبرها الشرقي الذي كانت تسمع منه أجهر الأصوات، بل أضافت إلى ذلك ميدانها الأدبي ومعرضها الحامي في الجدل والمناظرات. وكثيرا ما قامت فيها المعارك الأدبية بين رجال من أمثال: الشيخ إبراهيم اليازجي، والشيخ سعيد الرتوني، والدكتور لويس صابونجي، والكونت رشيد الدحداح، والشيخ إبراهيم الأحدب، وبطرس البستاني وغيرهم، وكان المرحوم عبدالله فكري الأديب الشاعر المصري ينشر فيها بعض مقالاته وطرائفه.

نسخه للكتب بخط جميل

يبدو أن الشدياق ظل ينسخ الكتب خلال إقامته في مصر بين عامي ١٨٢٨ و ١٨٣٥ ومنها شرح المعلقات للزوزني. كما نسخ كراسة ضمنها مقتطفات من مؤلفات مخطوطة، رأى أنه قد يحتاج إليها فيما بعد، مثل موسوعة الدميري في علم الحيوان: حياة الحيوان الكبرى، التي استخدمها بالفعل فيما بعد عندما كان يترجم كتابا إنجليزيا في التاريخ الطبيعي لينشره. وعلى مدى سنوات عمره الباقية، استمر في نسخ الكتب، وجمع عدة مجلدات مخطوطة بهذه الطريقة، ويقال إنه كان قلقا على مصيرها بعد وفاته. كما كتب بخطه نسخا دقيقة من مؤلفاته، وكثيرا ما كان ينسخ من الكتاب الواحد أكثر من نسخة، وهذه النسخ مازال بعضها موجودا إلى الآن.

إعلان إسلامه

أعلن فارس الشدياق إسلامه في تونس قبيل سنة ١٨٥٧م على يد شيخ الإسلام هناك، وشرح الله صدره للدين الجديد، فتسمى باسم جديد «أحمد فارس الشدياق»، وقد انتقل الإسلام إلى بيته ليسلم ولده «سليم» وتسلم حفيدته: «جل هانم» أو وردة -أو روز، كما كانت تسمى في إنجلترا- وتتزوج من ضابط إنجليزي في الجيش البريطاني بعد أن يعلن إسلامه، وتنجب له أولادا مسلمين أحدهم «سليم» الذي سمي بهذا الاسم تيمنا بجده لأمه: سليم، أكبر أبناء أحمد فارس الشدياق.

لقد كان دور الشدياق كصحافي وناشر صحيفة أشد خطرا في إتاحة الكلمة المطبوعة لجمهور عريض من القراء العرب والمسلمين، فحتى الكتب التي لم تنشر في حلقات كان يعلن عنها في الصحف بكثافة، وكان لها وكلاء يوزعونها في تونس والإسكندرية.

مؤلفاته

- الواسطة في أحوال مالطة.
- كشف المخبأ في أحوال أوروبا.
- الجاسوس على القاموس.
- الساق على الساق فيما هو الفارياق.
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب.
- اللفيف في كل معنى طريف
- سر الليال في القلب والإبدال.
- غنية الطالب.
- الباكورة الشهية في نحو اللغة الإنكليزية.
- سند الراوي في النحو الفرنساوي.
- ترجم التوراة إلى العربية.

ختام حياته

في سنة ١٨٨٦ جاء الشدياق إلى مصر زائرا بعد أن تعطلت جوائبه، وأتيح للمؤرخ جورجي زيدان أن يراه وقد علاه الكبر، وأحدق بحدقتيه قوس الأشياخ، واحدودب ظهره، ولكنه لم يفقد شيئا من الانتباه أو الذكاء، وكان إلى آخر أيامه حلو الحديث طلق العبارة رقيق الجانب، وعاد إلى الآستانة، فكانت تلك العودة آخر أسفاره في الدنيا ليبدأ رحلته إلى الآخرة في سبتمبر سنة ١٨٨٧.

المصادر:

١- سلسلة أعلام العرب - العدد (٥٠) محمد عبدالغني حسن، إصدار الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢- عالم المعرفة، العدد ٢٩٧، ص ١٨٩ جيوفري روبر، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت.

المسؤولية الاجتماعية والعمل العام

حسين أحمد المحمد
باحث في الفكر الإسلامي

تعرف المسؤولية الاجتماعية في المعجم الوسيط بوجه عام بأنها: حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته (يقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل).

ويقدمها Garson and Rud، على أنها نزوع الفرد إلى التفكير المسبق في النتائج المحتملة لأي خطوة مقترحة، وقبول هذه النتائج عن قصد.

وعلى العموم فإن المسؤولية الاجتماعية تتضمن عدة جوانب وأبعاد، تعتبر بمثابة خصائص وصفات للشخص المسؤول اجتماعيا، وتشمل فهم الفرد واهتمامه بقضايا ومشكلات مجتمعه، ومن ثم مشاركته ومساهمته الفعالة في حلها.. وهو بذلك يؤدي واجبه الشخصي والاجتماعي تجاه مجتمعه.

لقد أولى الدين الحنيف منذ ظهوره بالغ الاهتمام بمفهوم المسؤولية الاجتماعية، وأعطاها صفة الشمولية، ونقصد بها تقديم كل ما يسهم في بناء المجتمع من مختلف جوانبه المادية والروحية بناء صحيحا، ويمنع كل ما يلحق الضرر به، ويظهر ذلك جليا في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والتي صاغت أحكام المعاملات على أساس عالي الدقة في التنظيم، والشمولية الرائعة في تطبيق أحكام الشرع، وأزالت كل لبس في التعامل بين الفرد المسلم في مجتمعه والمجتمعات غير الإسلامية، بحيث تكون المسؤولية الاجتماعية والضمير الإيماني هما المحرك والبوصلة التي على أساسها يتحرك الفرد.. مستخدما في ذلك التوجيه والإرشاد والموعظة الدينية؛ للقيام بمصالح الأمة

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾(المائدة: ٢).

وسنورد دراسة المسؤولية الاجتماعية من منظورها الإسلامي؛ لأنها لم تعالج في أي دين سماوي كما عولجت في الدين الإسلامي الحنيف، الذي وضع الضوابط الناظمة للمسؤولية بعمومها، ونورد مثلا واحدا وهو الحديث الشريف الذي ورد في الصحيحين عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (رواه الشيخان).

يتضح مما سبق جليا معنى الشمولية، والتفصيل الدقيق للمسؤولية الاجتماعية، بحيث تغطي كل مفاصل الحياة.

ومعلوم بداهة أن الإسلام دين الفطرة، لذلك كانت تعاليمه تشمل المسلمين وغيرهم، بل أكثر من ذلك فقد جعل عبادات المعاملات فوق العبادات التعبدية من فروض وطاعات. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف: ٢-٣). وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يُسألَ عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه» (رواه الترمذي).

كل ذلك يصب في رافد تعزيز المسؤولية الاجتماعية، وإعطائها صفة الديمومة لصالح النفع العام.

ومن باب المسؤولية الاجتماعية نجده ينظر للعمل العام على أنه بمكان الحادي للركب؛ إذ إنه يصب في مصلحة المجتمع، ويحافظ عليه ويراقبه، ويزيد من موارد الخير فيه، ويسد موارد الفساد في المجتمع..

والعمل العام ذو مفهوم واسع، يبدأ بالفرد والأسرة، وينتهي بجميع بني البشر، بصفتهم المكلفين بإعمار الأرض، وعليه تحدد مسؤولية كل فرد.. أما في الوقت الراهن فحضور المنظمات والهيئات الأممية- سواء التي تندرج تحت مظلات حكومية أو أهلية- حضور واسع وفعال، مما يجعلها تمثل الصورة المشرقة للعمل العام.. خاصة تلك الهيئات والمنظمات العاملة في الحروب والكوارث، وفي المجالات الإغاثية، أو العاملة في مجال البيئة والمحافظة عليها، والتنوع الحيوي على الأرض.

كل ذلك يندرج تحت باب العمل العام الذي أمرنا الله سبحانه به، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٠٥﴾ (التوبة: ١٠٥). وكل ذلك- لا ريب- يعزز من تماسك المجتمع، ويقوي دعائمه، ويخدم الحضارة الإنسانية في مدارج نهوضها نحو غد أفضل.

الإسلام والمسؤولية الفردية في إطار العمل الجماعي

عطية الويشي
باحث ومفكر إسلامي

في ترتيبات المنطق الإيماني للحساب أن الإنسان وإن كان سيبعث وحده ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ (مريم:٩٥)، وسيسأل وحده عما سعى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم:٣٩)، وسيتحمل وحده تبعات ما اكتسب ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ...﴾ (الإسراء:١٥).. لكن هذا الإنسان لا يمكن أن يحيا وحده على أي حال. فهو لم يزل محتاجا إلى غيره، بل ومضطرا إلى التفاعل مع الآخرين، سلبا وإيجابا، أخذا وعطاء، إشارة واستشارة، نفعا وانتفاعا، إعانة واستعانة، إغاثة واستغاثة. ذلك لأن المكون الاجتماعي للظاهرة الإنسية إنما يفرز نوعا من «الحراك والدينامية البشرية بين الذات والعالم، وهو ما يفيد بأن تكريم الله للإنسان باستخلافه في الأرض لم يكن مبعثه إلا لتحمله مسؤولية نفسه وغيره»(١). ومن ثم، فإنه «لا يمكن للإنسان أن يعيش وحده كما يعيش الوحش، فلا بد له أن يعيش مع الناس.. ليعرف بعضهم مراد بعض فيحصل التعاون»(٢). وذلك لأن «الإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته صفة لازمة لطبعة وخلقة قائمتين في جوهره»(٣).

ثم إن المسؤولية الإيمانية في مستوى تال من مستويات التفاعل البشري، تقتضي أن يتقلد كل إنسان في عنقه قدرا معتبرا من الالتزام الأخلاقي والأدبي تجاه الأفراد الآخرين وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه والحكومة والدولة والأمة التي ينتمي إليها، إذ إن «الهوية الفردية لا تكتمل إلا بالاندماج

في وعي جماعي، حينئذ يشعر الإنسان بقيمته كفرد مجرد، وقيمته كفرد في جماعة أو مجتمع، لأن فلسفة الحياة تكمن في أن ينظر الإنسان لغيره كما ينظر لنفسه، واعتبار ذلك من صميم الإيمان»(٤).

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن مجرد الإيمان بالله تعالى إنما يعزز التواضع، ولين الجانب، وخفض الجناح، وبسط الوجه، وسخاء النفس، وجود الطبع لدى الإنسان. وهو يجعله ميالا بدوافعه الإيمانية إلى الناس، راغبا فيهم، مقبلا عليهم، مؤثرا مخالطتهم ومشاركتهم حياتهم، أفراحهم وأتراحهم، همومهم وقضاياهم.. وهو ما يحقق التوازن في نفسية الإنسان وشخصيته بين كونه فردا له حظوظه وحقوقه.. وبين موقعه الاجتماعي على خريطة الاستخلاف باعتباره لبنة في بناء مجتمعي لا يستغنى عنه بأية حال من الأحوال.

الالتزام الأخلاقي

وإن طبيعة الإسلام تفرض على معتنقيه، أفرادا كانوا أو جماعات أو هيئات ومؤسسات، قدرا معينا من الالتزام الأخلاقي والأدبي والمادي تجاه بعضهم بعضا، فلا تستقيم وتيرة الحياة إلا بتوافر هذا القدر، الذي هو بالنسبة إلى المجتمع من الضرورات بمكان كبير. والشواهد على ذلك كثيرة، وهي في مجملها تمثل خلفية ثقافية وأخلاقية تعزز وازع المسؤولية الأخلاقية وثقافة المشاركة الوجدانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على مختلف مستويات التمثيل الاجتماعي للأمة. ونعني هنا بالمشاركة الوجدانية أن يكون المؤمنون في حالة من التعاطف، والانسجام الوجداني، وكأنهم مشتركون في وجدان واحد، فاذا تألم واحد منهم تألم الآخرون، واذا فرح فرح له الآخرون، وهكذا في الحزن والهم والسرور. وفي المشاركة الوجدانية «لا يفقد الفرد المؤمن شخصيته الفردية ضمن المجموع المركب من المؤمنين، وانما يوسع من دائرة روحه الاجتماعية وارتباطه النفسي بإخوته في الله تعالى، وفي القوم، وفي الوطن، وفي الإنسانية»(٥).

فعلى مستوى المسؤولية الفردية، يأتي الوحي معززا وازع تلك المسؤولية، أقوالا وأفعالا وأخلاقا.. فيقول النبي ﷺ مؤكدا الالتزام الفردي في سياق المشاركة الاجتماعية الوجدانية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه»(٦).

روح المسؤولية

وفي سياق تحقيق المواساة الاجتماعية يركز الإسلام على المبادرات الفردية، فيقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه، أو قال: لجاره، ما يحب لنفسه»(٧). ويقول: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»(٨). أي لا يكون إيمانه كاملا من يبيت شبعان وهو يعلم بجوع جاره وحاجته. وكان ﷺ يمتدح الأشعريين لكونهم متواسين فيما بينهم فقال: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»(٩).

ثم تتجلى روح المسؤولية الفردية عن تعزيز المسار الصحيح للنشاط الاقتصادي للمجتمع والدولة فيما رواه الحاكم في المستدرك عن اليسع بن المغيرة، قال: «مر رسول الله ﷺ برجل بالسوق يبيع طعاما بسعر هو أرخص من سعر السوق، فقال: تبيع في سوقنا بسعر هو أرخص من سعرنا؟ قال: نعم. قال: صبرا واحتسابا؟ قال: نعم. قال: أبشر، فإن الجالب إلى سوقنا، كالمجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقنا، كالملحد في كتاب الله»(١٠).

وعلى مستوى الأمن القومي، فإن المسؤولية الفردية عن تأمين المصالح العليا للبلاد إنما تتعاظم في أزمنة تفشي الظلم والجور وظهور الفساد وانعدام الأمن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، حيث تضحى الأمة مغلوبة على أمرها، ويبقى التعويل على أهل المروءات والنخوة فيها...

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ (هود:١١٦).

ولعل التأكيد على ان استشعار المسؤولية الفردية عن التغيير الاجتماعي، والتحرير الوطني الاجتماعي والتعمير المدني... من شأنه أن يعزز بواعث المشاركة الإيجابية في النفس البشرية، ويقوي وازع المبادرة إلى الحركة والتفاعل المثمر البناء «فليس لمسلم أن يعتزل الحياة والناس، ويقول: نفسي نفسي! ويدع نار الفساد تلتهم الأخضر واليابس من حوله، فإن هذه النار إذا تركت وشأنها لم تلبث أن تحرقه هو، وتحرق كل ما يحرص عليه»(١١).

ولهذا، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنفال:٢٥).

الوظائف الاجتماعية

إن هذا ليعني أن مجرد التستر على الجرائم وعدم الأخذ على يد المجرمين أو التساهل معهم والإغضاء عنهم، من شأنه أن يجلب على المجتمع النقمة وأن يوقعه تحت طائلة الهلاك، قال ﷺ: «فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١٢).

وإن المتأمل في الوظائف الاجتماعية للشعائر العبادية، يجد أنها على الرغم من كونها تعكس مدى استجابة الإنسان لأمر ربه، بيد أنها تنطوي على

مضامين فردية اجتماعية من شأنها تعزيز سبل ارتباط الفرد بروح التعاون الإحساني الخلاق مع الآخرين ورعاية حرماتهم والتصدق عليهم وخدمتهم وتقديم العون والمساعدة كلما اقتضت حاجتهم ذلك، رعاية لحق الله المعبود وابتغاء مرضاته!

– فالصلاة مثلا، وإن كانت حالة يعيشها الإنسان بين يدي ربه، لكنها في كل الأحوال تربط هذا الإنسان بصف وجماعة يصلون ويتواصلون خمس مرات في اليوم الواحد ومحال ألا ينبني هذا التواصل على أساس مسؤولية هؤلاء الأفراد عن تفقد أحوال بعضهم بعضا وتعاهد مصالح بعضهم بعضا وتخولهم بالرعاية والتكافل الأدبي والمادي. فالصلاة كعمل مشترك يعكس نوعا من المسؤولية الاجتماعية المشتركة والالتزام المتبادل بين الناس وتعاهد الناس بعضهم بعضا.

– والملكية الفردية في المعاملات «تقتضي من الفرد التزاما ماديا باستعمال ما يحوزه من مال في المحافظة على التضامن الاجتماعي وفي تنميته ، فعلى كل فرد التزام بأن يقوم في المجتمع بأداء وظيفة معينة مستمدة مباشرة من المكان الذي يحتله، فليس ثمة قانون إنساني يحمي حقا مزعوما للمالك، إنما يضمن حرية هذا المالك في أداء ما يقع عليه من وظيفة اجتماعية»(١٣) تأتي مقتضياتها في صورة زكاة وصدقات وأوقاف وتبرعات وفدية وكفارة وغير ذلك، مما يجعل أحد الجوانب المهمة للملكية الفردية تتلخص في مدى تحقيقها لوظيفتها الاجتماعية التضامنية أو تجسيدها للعلاقة التكاملية التكافلية بين الفرد والمجتمع.

– والجهاد، بما فيه من ضمانات توفير الحماية للمستضعفين، وتقرير حرية الاختيار العقدي والفكري، ووقاية المجتمع من شغب العدوان الخارجي، وتأمين حدود الدولة ليتفرغ أهلها لمعاشهم، هو في الأصل مسؤولية فردية عينية يتحلل منها الأفراد في حالة وجود جيش في مستوى المسؤولية الكفائية.

الفروض والواجبات

وفيما ذكرنا من مسؤوليات فردية، فإنه على الرغم من تفاوت درجات وجوبها ولزومها في سلم التكاليف الشرعية من فروض الأعيان إلى الكفايات، بيد أن هذه المسؤوليات وغيرها قد تتحرك من دائرة الفروض والواجبات الكفائية إلى دائرة الفروض العينية، فتتحول تلقائيا من المجال الفردي إلى المجال الجماعي بمقتضى الحال التي يعيشها المجتمع المسلم، وذلك حتى تسترد الأمة عافيتها من داء الفساد وتستوفي شروط النجاة والصلاح والقدرة على تجاوز أزماتها وتحمل مسؤولياتها، فإذا كانت «مسؤولية كل فرد واضحة جلية عن العمل الذي يقوم به، سواء كان هذا العمل من أجل نفسه أو من أجل الغير، إذ هو لا يتحمل تبعة عمل إنسان غيره، لكنه مسؤول عن الطريقة التي أتى بها هذا العمل أو ذاك بعد أن علم وتعلم سبل الخير والشر، إلا أن هذه المسؤولية الفردية لا تمنع الفرد أن يكون مسؤولا عن انحراف مسلك أقرانه، فعليه أن يتدخل بوسائل مشروعة ليمنع الجماعة من التمادي في الأعمال التي تضر المجتمع الإسلامي، وهنا تتحول المسؤولية إلى مسؤولية ذات طابع جماعي، حيث إن هذه الجماعة ما هي إلا مجموعة الضمائر التي تربت في أحضان المدرسة الإسلامية الحقة. فأوجدت المجتمع المتكافل والمتعاون الذي يعمل من أجل الخير والسلام»(١٤).

وهنا تبدو المعالم المشتركة بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الاجتماعية واضحة؛ فإذا كانت الأخلاق الفردية هي بمنزلة نزعة إيثارية، تسعى إلى تأويل الوازع الاجتماعي تأويلا غيريا باعتباره ضميرا جمعيا نزوعا إلى «مذهب الخير الذي يجعل غاية سلوكنا الفردي: نفع الناس ودفع الضر عنهم»(١٥). فإن الأخلاق الجماعية هي: « الأخلاق التي تدعو إلى انسجام قوى النفس، وانسجام المصالح الفردية في المجتمع»(١٦).

هذه كانت معالم المسؤولية الفردية في إطار المسؤولية الاجتماعية التي لا تحابي أحدا على حساب القيم الحاكمة للمجتمع، ولا تمالئ مهما بدا شأنه عاليا أو مهما تعبأ بمال أو تغشى بهالة من متاع الحياة الدنيا.. كلا، إنها مسؤولية لا اعتبار لأحد إزائها إلا بحق وعدل.

الهوامش:

(١) عزالدين السلاوي: أسئلة الذات والعالم والوسطية في الإنسان المسلم (مقال منشور بمجلة دعوة الحق المغربية، الرباط، العدد ٣٣٤، ذو الحجة ١٤١٨هـ) ص١٠٦.

(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ص٦٤١. وانظر: بن قيم الجوزية: الفوائد (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) جـ١، ص٢٣١.

(٣) علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): أدب الدنيا والدين (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م) ص ١٢٩.

(٤) عباس الجراري: الإنسان في الإسلام.. ماهيته وحقيقة وجوده (مطبعة الأمنية، الرباط، منشورات النادي الجراري، ١٤٠٨هـ/١٩٩٧م) ص ٣٧.

(٥) حسن معن: الإعداد الروحي (مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٢م) ص ١٧٣– بتصرف.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، حديث: ٦٤٧٥.

(٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك، حديث رقم ١٣.

(٨) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم: ١١٢.

(٩) أخرجه البخاري عن أبي موسى، حديث رقم ٢٤٨٦.

(١٠) حديث رقم: ٢١٦٧.

(١١) يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ، ط ٤) ص ٥٤.

(١٢) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها – حديث رقم: ٤٤٢٩.

(١٣) Duguit:Système de politique positive (١٨٩٢، p ١٥٦ T. I) et .S

(١٤) محمد ممدوح محمد علي العربي: الأخلاق السياسية في الفكر الإسلامي (دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢هـ) ص ٢٢٠، ٢٢١.

(١٥) جميل صليبا (ت: ١٩٧٦م): المعجم الفلسفي (الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ١٧٨/١.

(١٦) جميل صليبا (ت: ١٩٧٦م): المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ١٦١/١.

«الجمعيات الأهلية».. محاصرة برؤى ضيقة

تحقيق : هاني عبدالله

العمل الخيري الإغاثي والدعوي هو ما اشتهرت به الكويت منذ عقد السبعينيات، فلم تعد الكويت معروفة-كما هو معلوم- بتصديرها للنفط والمواد البترولية فحسب، بل اشتهرت كذلك بتصدير العمل الخيري خارج الكويت، فضلا عن الداخل، فقد جبل الكثير من أهل الكويت، وعرفوا بعمل الخير وجمع التبرعات للفقراء والمحتاجين، سواء داخل الكويت أو خارجها، وفي سبيل ذلك هناك الكثير من جمعيات النفع العام والجمعيات الخيرية التي تقوم بدور الوسيط بين الفقير والغني، حيث تقوم

الشطي: الجمعيات الخيرية هي الواسطة بين المتبرع والمحتاج.. وأنشطتها تجاوزت إغاثة الأفراد إلى الدول

بإعطاء الفقير المساعدات، وتقوم بجمع التبرعات والصدقات من الأغنياء.

لم يقتصر دور الجمعيات الأهلية الخيرية في الآونة الأخيرة داخل حدود الدولة فقط، بل امتد ليصل خارجها، وتصل المساعدات إلى الدول المنكوبة التي بها كوارث، مثل الفيضانات والزلازل والمجاعات، فضلا عن الحروب والأزمات الإنسانية الأخرى.

في سبيل معرفة المزيد عن عمل الجمعيات الخيرية وأهدافها وطموحاتها، والمعوقات التي تواجهها في سبيل تحقيق هذه الأهداف، أجرينا هذا التحقيق مع المختصين والخبراء في العمل الخيري الذين لديهم الخبرة في مجال العمل الخيري الإغاثي والدعوي.. فكان التحقيق التالي:

الإغاثة الفكرية

بداية، قال رئيس مجلس إدارة مبرة الآل والأصحاب خليل الشطي، وهي إحدى جمعيات النفع العام التي تقوم بالعمل الدعوي والتثقيفي والعلمي، ونشر التراث الإسلامي، وخاصة ما يتعلق بأهل بيت النبي ﷺ، قال: إن العمل الخيري بالكويت بدأ منذ السبعينيات، وأهل الكويت جبلوا على عمل الخير، وكانت الجمعيات الخيرية هي الواسطة بين المتبرع والفقير أو المحتاج، حتى إن أنشطتهم تجاوزت حدود دولة الكويت إلى خارجها، وتنوعت أنشطة الجمعيات الخيرية ومجالاتها، حيث تجاوزت مسألة الإغاثة الشخصية أو الأسرية إلى إغاثة الدول في الكوارث والنوائب والمصائب والنوازل، وبالنسبة لمبرة الآل والأصحاب فهي تعمل في نوع آخر من الإغاثة، فهي تقدم الإغاثة الفكرية عوضا عن الإغاثة المادية، والجدير بالذكر أن لجنة التعريف بالإسلام تعمل معنا في مجال تقديم الإغاثة الفكرية في هداية غير المسلمين إلى الإسلام، أما مبرة الآل والأصحاب فهي مؤسسة علمية بحثية تقوم على نشر تراث أهل البيت والصحابة، وتأليف الكتب، وعمل المواد العلمية، بالإضافة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة عند كثير من المسلمين عن آل البيت والأصحاب.

وعن تأثير الجمعيات الخيرية في العمل الدعوي أو غيره، سواء كان داخل الكويت أو خارجها، قال الشطي: إذا أردت أن أذكر تأثيرا واحدا فقط، عوضا عن التأثيرات الأخرى، فيكفي تفاعل المجتمع المدني والحكومي مع هذه الجهات الخيرية، فهناك جهات ومؤسسات

الإغاثة الفكرية تعمل على هداية غير المسلمين وتصحيح المفاهيم الخاطئة ونشر التراث

حكومية كثيرة تقوم بإعانة هذه الجمعيات، وكأن هذه الجمعيات هي مرشد وزارة الشؤون في التعامل مع العمل الخيري داخل الكويت.

وأشار الشطي إلى أن عمل هذه الجمعيات الخيرية والمبرات له تأثيره الكبير والعظيم داخل الكويت، فخلال مؤتمر القمة العربي الإفريقي الذي عقد أخيرًا بالكويت أصر أحد الوفود على زيارة قبر الراحل المرحوم بإذن الله الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط رحمه الله، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى حب هذه الدول للعمل الخيري الكويتي ومدى تأثيره عليها.

دور الحكومات

وتمنى الشطي من وزارة الشؤون المشرفة على عمل الجهات والجمعيات الخيرية أن تقوم بواجبها، كما نص عليه الدستور، وكما نصت عليه القوانين، وأن تعين الوزارة هذه الجمعيات في تقديم رسالتها ومراقبتها، ولا يقتصر دورها على إشهار الجمعية، فعلى مدار سنوات الخبرة التي يحملها رواد العمل الخيري بالكويت أصبح كثير منهم استشاريا للعمل الخيري، وبعضهم خبراء في المؤسسات الدولية والعالمية، ووزارة الشؤون لم تعِ هذا الدور من الجمعيات الخيرَية، ومن الممكن الاستفادة الكبيرة من هؤلاء الخبراء، فبدلا من أن يقتصر دورها فقط على الدور الرقابي ينبغي أن يكون هناك إعانة بشكل أكبر من هذا؛ لتطوير العمل الخيري.

كما شدد الشطي على ضرورة أن تنوع وزارة الشؤون من وسائل جمع التبرعات في الجمعيات الخيرية، وتفتح هذا المجال بشكل أكبر، فالإغاثة بالكويت (داخلية وخارجية) أصبحت مطلوبة وملحة، كما أكد على ضرورة أن يكون

للجمعيات الخيرية مقرات دائمة خاصة بها توفرها الحكومة، بدلا من أن تكون مساكن خاصة في مناطق سكنية بالإيجار.

من جهته قال جمال الفوزان، مدير عام جمعية صندوق إعانة المرضى، إحدى الجمعيات الخيرية التي تعمل في مجال إعانة المرضى: مما لاشك فيه أن هذه الجمعيات الخيرية جمعيات إنسانية في المقام الأول، تقوم على مساعدة الفقراء من جهة، ومن جهة أخرى تقوم بمساعدة الأغنياء في إخراج زكاتهم للمحتاجين من الفقراء، سواء كانوا مرضى أو أصحاء، فهي تعد حلقة وصل بين الغني والفقير، وهذا نوع من التآلف والتوافق الاجتماعي بالكويت، هذا على المستوى الداخلي بالكويت، أما على المستوى الخارجي، فأهل الكويت دائما يعرفون بحبهم لعمل الخير حتى على المستوى الخارجي، فكما يقال: إن أهم صادرات الكويت بعد النفط هو العمل الخيري.

وفيما يخص جمعية صندوق إعانة المرضى قال الفوزان: إن الجمعية تعمل في مجال التثقيف الصحي وإعانة المرضى، وهذا هو النشاط الأساسي لنا، وهذا بالنسبة للعمل داخل الكويت، أما على مستوى الخارجي فنعمل في مجال الكوارث والفيضانات والمساعدة، في إقامة المستشفيات والمراكز الطبية المتنقلة، ومما لاشك فيه أن هذا الدور الذي تؤديه الجمعية يُسهم في زيادة الترابط المجتمعي بين أفراده، وكذلك على المستوى الخارجي يشعر الكثير من الناس أن هناك أناسا يشعرون بمعاناتهم ومآسيهم.

وأضاف: إن جمعيات النفع العام لا يقتصر دورها فقط على المساعدات المادية، بل يمتد إلى غير ذلك من النواحي الإنسانية النفسية... إلى غير ذلك من الأهداف التي أنشئت من أجلها هذه الجمعيات.

وفيما إذا كانت هناك أهداف أخرى أشار الفوزان إلى أننا داخل جمعية صندوق إعانة المرضى نطمح إلى توسيع نطاق المستفيدين من نشاط الجمعيات سواء في الداخل أو الخارج.

وعما إذا كانت هناك بعض المعوقات، أشار الفوزان إلى أن هناك تعاونا من مؤسسات الدولة وهيئاتها، سواء من وزارة الشؤون أو غيرها.

الفائدة المجتمعية

من جهته قال جاسم المسباح، رئيس اللجنة المركزية الرئيسية لمراكز تحفيظ القرآن بجمعية إحياء التراث الإسلامي، رئيس جمعية إحياء التراث (فرع الجابرية)، وهي إحدى الجمعيات التي لها باع طويل في مجال العمل الخيري، سواء الإغاثية، أو بناء المساجد، أو حفر الآبار، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين... إلى غير ذلك من الأنشطة الخيرية الكثيرة.

وعن الفائدة المجتمعية التي تعود على المجتمع جراء النشاط المتنوع للجمعية، سواء داخل الكويت أو خارجها، قال: إن هذه الأعمال الخيرية تسهم في مساعدة إخواننا خارج الكويت، خاصة في مثل هذه الأجواء التي تمر بها الأمة العربية، وعلى سبيل المثال إخواننا في سورية وفي فلسطين، ففي منطقة كيفان بالكويت قامت إحدى اللجان بشراء اثني عشر ألف بطانية، إلى جانب جمع الكثير من الملابس وإرسالها إلى المحتاجين.

والجدير بالذكر أن جمعية إحياء التراث تقوم بدور الوكيل، فمثلا داخل الكويت تكلفة بناء المسجد مرتفعة جدا، لكن خارج الكويت تكون هذه التكلفة أقل، فتستطيع أن تبني مسجدا خارج الكويت بما يقارب خمسة آلاف دينار، بجميع لوازم المسجد من بناء وفرش وميكروفونات إلى غير ذلك.

قلة الموارد

وأضاف المسباح: أحيانا تريد أن تنفع الكثير من الناس، لكن قلة الموارد والإمكانات تجعل النشاط قاصرا بعض الشيء، ولا تستطيع أن تقوم بجميع حاجات الناس، فحاجات الناس أكثر من مدخرات الجمعية، وأكثر من الصدقات والزكوات، فعلى سبيل المثال أنتجنا بعض المواد الفيلمية المسجلة عن تجويد القرآن الكريم، ولكن لقلة ذات اليد لم نستطع أن نقوم بالمزيد من هذا النشاط لقلة الموارد، فإذا كان هناك الكثير من الموارد أمكننا التوسع وخدمة الكثير من الناس.

وأكد المسباح على أن هناك بعض الإجراءات في وزارة الشؤون قد تعيق العمل الخيري في جمعيات النفع العام بعض الشيء، كما أن هناك بعض المعوقات التي تواجهنا في مساعدة إخواننا خارج الكويت، ومنها على سبيل المثال الوضع الإنساني المأساوي لإخواننا في سورية.

اتهامات وافتراءات

وشدد المسباح على أن هناك معوقا شديدا للعمل الخيري الإسلامي بوجه عام، وهو إلقاء بعض التهم جزافا على عمل هذه الجمعيات التي تقوم بالعمل الخيري واتهامها بالإرهاب، وما ذلك إلا لتشويه العمل الخيري وتشويه السمعة الإعلامية لهذه الجمعيات، وأنا على مدار ثلاثين عاما أعمل في العمل الخيري من خلال جمعيات النفع العام، وأعرف كل دينار يدخل ويخرج من خلال عملي، وهناك رقابة وتدقيق مالي على عمل هذه الجمعيات وعلى ميزانيات هذه الجمعيات، ولا يوجد ما يسمى أو نتهم به من دعم الإرهاب، ولكن هذه محاولة من الغرب لإضعاف العمل الخيري الإسلامي، حتى تأخذ الجهات والمؤسسات التنصيرية راحتها وكامل حريتها في عملها.

برامج وجمعيات حقوق الأطفال

د.آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية

حمَل الطفل صينية تمتلئ بكؤوس من العصير، وضعها على طاولة الطعام، ليساعد أمه في تحضير المائدة، ولكن ثقل الصينية وسرعة خطوات الطفل جعلته يتعثر ويقع، فإذا بالكؤوس كلها تنسكب على الأرض، وتتكسر قطعا متناثرة، فما كان من أمه وأبيه غير أن انهالوا عليه ضربا وشتما دون أدنى مراعاة لإمكانات الطفل وعمره، وأن الخطأ بدأ منهما بجعله يحمل شيئا ثقيلا على يديه الصغيرتين.. وبدلا من التهدئة من روع الطفل، والتأكد من سلامته من الزجاج المتناثر، بدأ سيل الضربات والشتائم ينهال عليه بلا ترو أو تفكير!

بالطبع إنك سمعت وقرأت عن قصص أطفال تم تعنيفهم من قبل ذويهم تعنيفا جسديا أو لفظيا! فكم أصبحنا نسمع عن أطفال تم تعذيبهم بطرق بشعة وغير إنسانية، بلا رحمة أو شفقة! وكأنهم ليسوا من البشر لا أحاسيس لديهم! فكم من تلك القصص باتت تنتشر في عالمنا، ويندى لها الجبين! والكثير منها يتم لأسباب تافهة كالتي ذكرنا، أو كأن يكثر الطفل البكاء وإزعاج والديه! والأسوأ أن يكون والد الطفل تحت تأثير المخدرات أو الخمر فينهال عليه ضربا بسبب وبدون سبب!

فكم من الأطفال اليوم يعانون بصمت بين جدران بيوتهم أو مدارسهم، ومن أقرب الناس لهم كوالديهم أو معلميهم! وكم من الأطفال حرموا من حقوقهم في التعليم والصحة والرعاية الجيدة! وكم نسمع ونقرأ عن أطفال يتم استغلالهم بخروجهم للعمل أو الاتجار بهم! وكم من الإحصاءات المرتفعة في ذلك، لا يتسع المجال لذكرها. فبات الكثير من الأطفال يعانون من مشاكل نفسية، وأمراض جسدية، نتيجة الإهمال أو التعذيب أو التعنيف.. دون مراعاة أدنى درجات الرفق بالإنسان، مستغلين براءتهم وتسامحهم وعدم قدرتهم على مواجهة الكبار وما يصدر منهم، فلا يكون بيدهم من حيلة غير الصبر والتوكل على الله تعالى في أن يرزقهم شخصا عطوفا حانيا رؤوفا بضعفهم وقلة حيلتهم.

أشكال التعنيف

حبس الطفل، والاستهزاء به، والسخرية منه أمام إخوته وزملائه وأقربائه، أو سبه، أو إهماله وعدم ملاعبته، أو تخويفه، أو التعالي عليه وتذكيره بأخطائه باستمرار (تعنيف نفسي ولفظي)، وحرقه بالنار، وشكه بآلات حادة، والإكثار من ضربه وإيذائه، أو التحرش الجنسي به (تعنيف جسدي)، كل ذلك له أكبر الأثر في توريث الطفل كرهَ الوالدين والمجتمع ومن يقوم على رعايته، وزرع الضعف في شخصيته، مما يصيبه بعقد نفسية مستمرة طوال حياته.

رأفة رسول الله ﷺ بالأطفال

وفي المقابل- أيها القارئ- انظر معي إلى رحمة رسول الله ﷺ بالأطفال، فعن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ (رواه مسلم) وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف» وفي رواية: «وما لا يعطي على سواه»، وقال: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما انتزع من شيء إلا شانه».

ونذكر تاليا بعض المواقف التربوية الرائعة من رسول الله في الرفق بالأطفال:

الموقف الأول:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما، أشار إليهم أن دعوهما، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره، وقال: «من أحبني فليحب هذين» (أخرجه أبويعلى وحسنه الألباني).

وانظر في المقابل للكثير من الآباء اليوم، فربما ألقاه عنه ولربما ضربه أو وبخه بعد الصلاة بدعوى أنه يمنع خشوعه!

الموقف الثاني:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء، لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ (متغط به) فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه، فقال: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما» (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

انظر مدى حب ورأفة رسول الله بأحفاده.

الموقف الثالث:

روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى الطعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي عليه الصلاة والسلام أمام القوم ثم بسط يده، فجعل الغلام يفر هاهنا وهناك، فيضاحكه رسول الله حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: «حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه»(رواه البخاري، والترمذي وابن ماجه).

انظر مداعبته للأطفال والحنو عليهم ورأفته بهم، ولم نسمع يوما أنه ضرب طفلا أو امرأة أو خادما.

الموقف الرابع:

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكنا والله لا نقبل. فقال رسول الله ﷺ: «أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة» (أخرجه البخاري).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم (رواه النسائي).

فكم والد اليوم يقبل أبناءه ويضمهم ويحتضنهم ويمسح على رؤوسهم؟ ناهيك عن تعذيبهم بشتى الطرق البشعة التي نسمع عنها!

الموقف الخامس:

كان النبي ﷺ يصف «عبدالله، وقثم، وكُثيرا» أبناء العباس رضي الله عنه، ثم يقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا»(رواه أحمد وإسناده حسن).

فمن فوائد ذلك أن يعرف الطفل نفسه وقدراته، ويخرج مواهبه وحاجاته للعب، ما يحسن ثقته بنفسه وينمي لديه حب الآخرين، وعدم الخوف من الكبار، والذين غالبا لا يمازحون الأطفال جهلا منهم بأساليب التربية القويمة.

لو اقتدينا برسول الله ﷺ في كيفية تربيته للصغار ومراعاته لهم لما سمعنا يوما عن قصة من قصص التعذيب للأطفال أو الاضطهاد لهم، ولما نشأت منظمة أو جمعية من جمعيات الدفاع عن الأطفال، حيث هذا النشوء لم يبرز إلا من رحم المعاناة والحاجة.. فالبعض تعود على الردع باستخدام القوانين الصارمة أو المخالفات من الجهات المسؤولة وليس بوازع شخصي منه.

فظهرت جمعيات أهلية وخيرية وعالمية مختلفة، مهمتها الدفاع عن حقوق الطفل المسكين، ومحاولة الوصول به لنيل بعض حقوقه البشرية، كحسن المعاملة والتغذية الصحية والتعليم والصحة والأبوة والأمومة الحسنة، وسنذكر هنا بعضا من تلك الجمعيات الخيرية (لا على سبيل الحصر) والتي نشأت في العالم العربي بجهود تطوعية أهلية غير حكومية (وقد ورد العديد منها في موقع حقوق الإنسان في الدول العربية www. arabhumanrights.org)، وبعضها في موقع ويكيبيديا:

أولا: الجمعيات الأهلية في بعض الدول العربية:

١- مصر- وتتميز مصر بوجود ٤٨ مؤسسة لحقوق الإنسان، ولكننا سنهتم بجمعيات حقوق الأطفال، والتي منها جمعية أطفال في خطر.

- مصر- الجمعية المصرية العامة لحماية الأطفال بالإسكندرية.

- مصر- تجمع حقوق الطفل: ويعمل على ترويج ودعم ثقافة حقوق الطفل في المجتمع المصري، مع التركيز على العمل مع الأطفال كشركاء في إطار ممارسة حقهم في المشاركة، وتحقيق مصالح الطفل الفضلى.

- مصر- مركز حقوق الطفل المصري (القاهرة): ويهدف إلى الدفاع عن حقوق الطفل وحمايته انطلاقا من المبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

٢- الأردن- جمعية قرى الأطفال SOS الأردنية: وهي جمعية محلية خاصة، تسعى إلى تحقيق الحياة الكريمة لأطفال أردنيين أيتام ومحرومين، وتعمل الجمعية وفق ميثاق الأمم المتحدة المتعلق بحقوق الطفل لتعزيز هذه الحقوق والتأكيد عليها.

- الأردن- مؤسسة نهر الأردن: وهي مؤسسة غير ربحية مقرها عمان، بدأت في عام ١٩٩٥م، وتهتم بنواح تنموية في المجتمع الأردني، وتركز بشكل خاص على حماية حقوق وحاجات الأطفال من خلال برنامج أطفال نهر الأردن.

٣- فلسطين المحتلة- جمعية عايشة لحماية المرأة والطفل: مقرها غزة. وتسعى لحماية النساء والأطفال من العنف، من خلال برامج الدعم والتمكين وزيادة الوعي بالقضايا النفسية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية المهمة، فتعمل على تمكين النساء المعنفات والأطفال ضحايا العنف كجزء من المجتمع.

٤- لبنان- جمعية «كفى عنف واستغلال»: جمعية أهلية لبنانية غير ربحية، غير سياسية، وغير طائفية، ملتزمة بتحقيق المساواة بين الجنسين وعدم التمييز، والنهوض بحقوق النساء والأطفال.

٥- المغرب- جمعية كفالة الأطفال المهمَلين.

- المغرب- العصبة المغربية لحماية الطفولة: جمعية خيرية لرعاية الطفولة نشأت في مدينة «وَجْدة» بالمغرب عام ١٩٥٣، من أنشطتها توفير لوازم المدرسة، وملابس العيد، ومساعدة الأيتام، والدفاع عن حقوق الطفل وحمايته من العنف بأشكاله.

٦- الجزائر- جمعية حقوق الطفل والمرأة الجزائرية.

٧- تونس- الجمعية التونسية لحقوق الطفل: وهي منظمة غير حكومية، من أهدافها: الإسهام في نشر ثقافة حقوق الطفل، والتعريف بالتجربة التونسية في مجال رعاية الطفل وحماية حقوقه، والإحاطة بالأطفال المهددين ومساعدتهم، والإسهام في تطوير قوانين وآليات حماية الطفولة.

٨- ليبيا- جمعية حقوق الطفل: جمعية أهلية خيرية للدفاع عن الطفل، مقرها بنغازي، ذات أنشطة متنوعة.

٩- البحرين- جمعية رعاية الأمومة والطفولة: وتعنى بالدفاع عن حقوق المرأة والطفل.

١٠- الكويت- الجمعية الوطنية لحماية الطفل: وتهدف إلى الحد من الانتهاكات التي يتعرض لها الطفل ومحاربة العنف ضد الأطفال، وحمايتهم من الاستغلال الاقتصادي والنشاطات الخطرة أو المخلة بالآداب العامة، ونشر الوعي بحقوق الطفل في المجتمع، وتدريب العاملين والمهتمين بقضايا الطفولة، والعمل على توفير بيئة كريمة لنشأة الطفل، تصون له نموه العقلي والأخلاقي والصحي، والتأكيد على تنفيذ أحكام الاتفاقيات العربية والدولية التي ارتبطت بها الكويت والمتصلة بحقوق الطفل. ومواردها المالية من اشتراكات وتبرعات أعضائها وما يقدمه الأفراد والمؤسسات الخاصة من دعم.

١١- السعودية- جمعية رعاية الطفولة «الرياض»: وهي جمعية خيرية أنشئت بجهود فردية من أجل دعم الطفولة في منطقة الرياض، وتعتمد في تمويلها على التبرعات ورسوم العضوية، وتقدم خدماتها المتنوعة في مجال رعاية الطفولة الممتدة إلى سن الثامنة عشرة، وينحصر نشاط هذه الجمعية في إطار الخدمات الإنسانية المتعلقة بالطفولة بهدف أن ينعم جميع

الأطفال في منطقة الرياض، دون أي تمييز، بنمو صحي وسليم في ظروف أسرية وبيئية ملائمة تلبي جميع احتياجات الطفولة.

١٢- الإمارات- مؤسسة دبي لرعاية النساء والأطفال: وهي أول دار رعاية غير ربحية في الإمارات، نشأت حديثا لحماية النساء والأطفال من ضحايا العنف المنزلي، والإساءة للأطفال، وضحايا الاتجار بالبشر، ومنح الضحايا خدمات حماية ودعم فورية، وبما يتفق والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، وتوفر المؤسسة خدمات خط المساعدة والإيواء الطارئ والملجأ المناسب للأسرة التي تتعرض للطرد من منزلها أو العنف، وتعمل على إعادة تأهيل الأطفال ودمجهم في المجتمع، على اعتبار أنهم فئة ضعيفة بحاجة إلى من ينتشلهم من الألم والضياع.

١٣- اليمن- منظمة سياج لحماية الطفولة: وهي منظمة إنسانية طوعية مستقلة غير حكومية، وغير ربحية، متخصصة في الدفاع عن حقوق الطفل من خلال الرصد والتوثيق والعون القضائي للأطفال ضحايا الجرائم والانتهاكات والتسليح للأطفال، وتغطي جميع محافظات اليمن من خلال شبكة نوعية من المتطوعين والمتطوعات، وتتخذ من اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة والتشريعات اليمنية مرجعية نظرية لها، وتسعى لتحقيق طفولة مستقرة وآمنة، والتصدي لكل ما يضر بالطفولة جسميا أو عقليا أو نفسيا أو سلوكيا، ومن برامجها: «حقيبتي المدرسية» لتمكين الأطفال من حقهم في التعليم.

١٤- العراق- جمعية حماية الأطفال: تأسست عام ١٩٢٩ في بغداد، من أهدافها العناية بأحوال الطفل في العراق ونشر التوعية والمحافظة على حقوق الأطفال ورعاية صحتهم إلى سن العاشرة، وتعمل على تأسيس المستوصفات والمستشفيات والملاجئ لحماية الأطفال والأمهات على حد سواء، وتوزيع اللوازم الصحية والغذائية على الأطفال الفقراء في المدارس، وما يحتاجون إليه من مأكل وملبس، وحماية اللقطاء وإيوائهم.

ثانيا: هيئات عالمية لحماية الأطفال ومنها:

١- المكتب الدولي لحقوق الأطفال: ١٩٩٤ وهو منظمة دولية غير حكومية، مهمتها الإسهام في تعزيز وحماية حقوق الطفل، وفقا لبنود وأحكام اتفاقية حقوق الطفل.

٢- شبكة «أوقفوا دعارة الأطفال»، وصورهم الفاضحة، واستغلالهم جنسيا، وهي شبكة من المنظمات والأفراد العاملين معا للقضاء على تجارة الجنس واستغلال الأطفال، تسعى الشبكة لتشجيع المجتمع الدولي لتمكين الأطفال من التمتع بحقوقهم الأساسية بعيدا عن أي استغلال جنسي تجاري.

٣- البرنامج الدولي للقضاء على عمالة الأطفال:

وهو أحد برامج منظمة العمل الدولية الذي يهدف للقضاء بشكل متدرج على عمالة الأطفال، من خلال تقوية القدرات الوطنية للدول في مجال التعامل مع مشكلات عمالة الأطفال، وعبر تشكيل حركة عالمية لمكافحة هذه العمالة.

٤- برنامج منظمة العالم لحقوق الطفل ضد التعذيب:

ويهدف هذا البرنامج إلى حماية الأطفال من التعذيب، ومن أشكال العنف الأخرى، من خلال توفير الوقاية والحماية لهم، وإدانة العنف الذي يتعرضون له، والتعويض عما لحق بهم من أذى نفسي وجسدي.

٥- صندوق الأمم المتحدة للأطفال (اليونسيف):

وهو تجمع دولي كبير للدول المشاركة في منظمة الأمم المتحدة، ويعمل هذا الصندوق من أجل حماية حقوق الأطفال وبقائهم وتطويرهم وتحسين أوضاعهم وظروفهم بكل البلاد المشاركة بالصندوق، ورعايتهم وحمايتهم وفقا لاتفاقية حقوق الطفل العالمية المتفق عليها.

تعقيب ختامي:

بقي أن نقول إنه- بالرغم من وجود تلك الجمعيات والمنظمات والبرامج- مازال هناك الكثير من المشاكل التي يعاني منها الأطفال، حيث لايزال الكثير من تلك الجمعيات في بلداننا العربية والإسلامية غير مفعل أو في بداية نشأته، ويحتاج إلى نشاط أكثر لتحقيق أهدافه التي نشأ لأجلها.

ومازلنا بحاجة في بلادنا العربية والإسلامية إلى إنشاء المزيد من الجمعيات الأهلية، وكذلك تخصيص الميزانيات الحكومية لإنشاء منظمات عربية حكومية تهدف إلى الدفاع عن حقوق الطفل ورعايته (فبعض الدول العربية لا يتوافر بها) تعمل على حمايته من: «العمالة، والحروب، والاعتداء الجنسي، والبيع للأعضاء، والاستغلال في بيع المخدرات والدخان، والتسليح للأطفال، والانخراط في الصراعات الأهلية...»، والعمل على القضاء على الأمية بين الأطفال، وتوفير التعليم اللازم لهم، والرعاية الصحية، والغذاء والحماية من الجوع.. وكل ذلك من أجل تقليل عدد القتلى والمفقودين والمعنفين منهم.

وأخيرا، فإن تقوى الله في التعامل مع الأطفال هي الأساس، وهي الهادي إلى السبيل السوي المؤدي لحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، فالشعور بمراقبة الله تعالى هو أفضل معين على إعطاء الطفل حقوقه، فلا رقيب خير من الله تعالى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من لا يرحم لا يرحم»، وقال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة، ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على باب الرفق» (السلسلة الصحيحة).

كيف تتم ولمصلحة من؟

عرقلة المجتمع المدني

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

واقع منظمات المجتمع المدني في دولة ما، هو أحد المؤشرات المهمة للتعرف على حيوية المجتمع، وموضع هذه الدولة من سلم النهوض والتقدم.

فإذا كان المجتمع المدني هو «حلقة الوصل» بين الجماهير، كأفراد أو حتى كوحدات صغيرة من الأسرة والعائلة، وبين الدولة، كإدارة مركزية تدير المجتمع وتتحكم في موارده وخريطته السياسية والاجتماعية بوجه عام، فإن أهمية «حلقة الوصل» هذه، تنبع من أنها كلما اتسعت وتمتنت، كان بمقدورها أن تحدث توازنا بين سلطة الدولة وميلها بالضرورة إلى التغول وإحكام السيطرة على المقدرات والمصائر، من جهة، وبين حقوق الشعوب وتطلعاتها في العيش الكريم والتمتع بحقوقها السياسية والاجتماعية، من جهة أخرى.

فالمجتمع المدني بفلسفته ومنظماته هو عين المجتمع الساهرة على مصالحه، وعقله المشغول بكيفية تقاسم المسؤولية مع الدولة في النهوض بالمجتمع.

و«المجتمع المدني» يقصد به «المجتمع المنظم تنظيما طوعيا إلى حد كبير؛ سواء أكان في تكوينه السياسي، فلا تكون السلطة فيه قاهرة، أم من الناحية الاجتماعية والثقافية فيما يخص علاقات الناس بعضهم ببعض(١).

ويرى بعض الباحثين أن المجتمع المدني هو «مصطلح حديث في العلوم السياسية، وتمت استعارته من علم الاجتماع؛ ويشير إلى جميع المنظمات والهيئات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية الخيرية المستقلة عن الحكومة وعن المؤسسة

العسكرية ومؤسسة الشرطة داخل النظام السياسي؛ فهو يضم الأحزاب وجماعات الضغط وجماعات المصالح والنقابات والاتحادات والنوادي والمنظمات غير الحكومية والجمعيات الأهلية وجمعيات النفع العام»(٢).

إذاً، المجتمع المدني هو «القطاع غير الحكومي الذي يطلق عليه أحيانا القطاع الثالث؛ لتميزه عن الحكومة من ناحية، والقطاع الخاص من ناحية ثانية»(٣).

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن المجتمع المدني بالمفهوم الحديث قد نشأ في الغرب مع نشوء الدولة الحديثة، وبعد صراع مرير للتخلص من سلطة الكنيسة. ولذلك، يرد مصطلح «المدنية» أو «المدني» في مقابلة «العسكري» و«الكنسي». فيقال «الزواج المدني» في مقابل «الزواج الكنسي».

وللأسف، يحاول بعض المثقفين العرب، ممن يقلدون النموذج الغربي، أن ينشروا «العلمانية» في بلادنا تحت ستار مصطلح «المدنية»، بعد أن انكشف المصطلح الأول وصار سيئ السمعة، فلجأوا إلى «المدنية»، وهي كلمة براقة(٤).

علمانية النشأة والتوجه

لئن كان مصطلح المجتمع المدني حديث النشأة إلا أن مضمونه لم يكن غريبا عن الحضارة الإسلامية، بل لم ينهض بتلك الحضارة إلا المجتمع المدني متمثلا -حينذاك- في «الأوقاف» التي امتدت مظلتها لتشمل كل مناحي الحياة؛ من إقامة المساجد، ونشر العلم والإنفاق على طلبته، إلى معالجة المرضى وإقامة البيمارستانات (المستشفيات)، إلى سقاية الماء وتوفيره في أماكن السفر والراحة وفي الطرقات (الأسبلة)، إلى الإنفاق على تحرير العبيد وإعتاق الرقاب، إلى تزويج الشباب ورعاية الأيتام والفقراء، حتى مهمة الدفاع عن حدود الدولة وتجهيز الثغور والرباطات، وهي الوظيفة الأساسية للدولة ولا تدخل ضمن إطار المجتمع المدني بالمفهوم والاختصاصات المعاصرة(٥).

لكن نشوء منظمات المجتمع المدني -بالمعنى المعاصر- في البيئة الغربية جعل ثقافة وأولويات تلك المنظمات مرتبطة بالبيئة والثقافة الغربية، خصوصاً في المساحات التي تتمايز فيها الحضارة الإسلامية عن نظيرتها الغربية، أعني مجالات المرأة وحقوق الإنسان والحريات العامة. حتى إن واقع تلك المنظمات ليبدو كأنه لا يفصل بين «العلمانية» و«المدنية».

مع أن «المدنية» في النظر الصحيح هي الانتقال من الحياة البدائية إلى العمل المؤسسي الذي يستمد أساسه من رضا الجماهير، لا من فوهة البنادق، ولا من ادعاءات العصمة والأخذ المباشر عن الله؛ وهذا يتطابق مع المفهوم الإسلامي في أن سلطات الدولة مرجعها إلى الأمة التي من حقها أن تولي وتعزل من تشاء؛ فالحكام نواب عن الأمة، بينما الأمة مستخلفة عن الله. ولذلك، لم يكن الحكام معصومين، في حين أن الأمة ورد بحقها الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» (حسنه الألباني)(٦).

فالدولة الإسلامية دولة مدنية، لا كهنوتية ولا عسكرية. والمرجعية الإسلامية لتلك الدولة لا تنفي أن حكامها مسؤولون أمام الأمة، تحاسبهم وتعزلهم متى خرجوا عن حدود اختصاصهم. كما أن مدنية الدولة لا تعني بالضرورة علمانيتها؛ فالمدنية هي الإطار الذي ينظم المجتمع والدولة، وقد تكون المرجعية في هذا الإطار: علمانية أو إسلامية. فهذه إشكالية خطيرة، أن واقع منظمات المجتمع المدني يربط بين «المدنية» و«العلمانية»، بينما الجهة بينهما منفكة، ولا رابط بينهما.

وتمثل هذه النقطة -علمانية النشأة والتوجه- أحد المآخذ المهمة على منظمات المجتمع المدني، ينبغي تجاوزها إلى فضاء الحضارة الإسلامية، التي تجمع بين القيم والمنهج الإلهي وبين مسؤولية البشر عن الفهم والفعل، وتقرر قابليتهم للصواب والخطأ.

التمويل والتأثير

الإشكالية الثانية التي تتعلق بواقع منظمات المجتمع المدني، هي ما يتعلق بتمويل تلك المنظمات وتلقيها معونات من الدول الغربية، مما لا يخفى وليس محل شك. ومن البدهي أن من يملك مصادر التمويل يمتلك بالضرورة مفاتيح التأثير.

في الخبرة الإسلامية، كانت مؤسسات المجتمع تقوم على التمويل الذي توفره «الأوقاف» المرصودة من أهل الغنى واليسار، الأمر الذي كان يمنح تلك المؤسسات استقلالية عن دوائر الحكم والسلطة، ويجعلها عين المجتمع ولسانه الصادق. ولنا أن نقارن بين مواقف العلماء حين كانت الأوقاف الخيرية تتكفل برعايتهم، وحين صاروا جزءا من رعايا الدولة.

أما في الخبرة المعاصرة، فقد أصبحت الدولة تحتكر مفاتيح إدارة المؤسسات والنشاطات، فيما يعرف بالدور المركزي للدولة. وهذه المركزية أضعفت المجتمع، وحدت من فعالية مؤسساته.

وإذا كان المجتمع الغربي قد نجح كثيرا في الذهاب بعيدا عن سطوة الدولة ونفوذ الكنيسة -وهما الجهتان اللتان كانتا تتقاسمان السلطة والثروة- وأوجد لنفسه مؤسسات «مدنية» تعبر عنه وتشبع تطلعاته، فإن الأمر ما زال في طور التشكل في بيئتنا الإسلامية، خصوصا بعد أن صارت المساحة الممنوحة لـ«الأوقاف» أقل بكثير مما كان في الماضي، بل إن بعض الدول صادرت أموال الأوقاف وأدخلتها ضمن منظومة الدولة!

هنا، لا تجد منظمات المجتمع المدني - وهي منظمات نخبوية في معظمها

لم تجتذب جماهير كثيرة- أمامها إلا التمويل الغربي، الذي يأتي مقرونا بأجندته وخريطته الفكرية التي تعبر في الأساس عن البيئة الغربية لا العربية الإسلامية.

والتحدي المطروح هو كيف توجد تلك المنظمات لنفسها مصادر تمويل وشبكات اتصال مع الجماهير لتبتعد عن التمويل المشروط والأجندات الغربية؟

صحيح أن كثيرا من الجمعيات الخيرية الإسلامية تجاوزت تلك النقطة بمراحل، لكن تبقى مساحة الحرية التي تتحرك فيها صغيرة جدا، خصوصا بعدما أثير- في الغرب- عن ارتباطها بما يسمى «الحرب على الإرهاب»، وما قيل عن ضرورة تجفيف منابعه، الفكرية والمالية!

الحرية.. رئة المجتمع

الآن نصل إلى الإشكالية الثالثة، والمتمثلة في سقف الحريات المتوافرة لمنظمات المجتمع المدني. كما سبق، فإن تلك المنظمات هي نائبة عن المجتمع في مواجهة تغول الدولة ومركزيتها، وهي المركزية التي لا تخلو من جور على حقوق الإنسان، بدرجات متفاوتة من مجتمع لآخر.

فبعض الدول ترى في منظمات المجتمع المدني، لا سيما ذات الطابع الحقوقي والسياسي، مصدر قلق لها؛ إذ هي تراقب ممارسات السلطة، وتكشف سوءاتها، وتحاول أن تنتزع مساحات من الحرية لمصلحة المواطن؛ وكفى بذلك مصدرا للقلق والشك!

صحيح أن كثيرا من الدول قد تفسح مجال الحرية بصورة أكبر للمنظمات ذات الطابع الخيري والاجتماعي، لكن هذا يأتي فقط لأن تلك المنظمات تخفف العبء عنها، وتقوم بما يجب أن تقوم به هذه الدول أصلا. ولذلك، ما إن تشعر بعض الدول بأن وجود وانتشار تلك المنظمات ذات الطابع الخيري والاجتماعي قد بدأت تظهر له بعض الانعكاسات السياسية والحقوقية، حتى تسارع إلى تقليص مساحات الحرية، وتضييق الخناق من جديد.

وفي هذا الصدد، يجب التأكيد على أن الحرية هي الرئة التي تتنفس من خلالها منظمات المجتمع المدني، بل المجتمع كله. ولم يعد مقبولا أن تكون مركزية الدولة ذريعة للجور على حقوق الإنسان ومصادرة تطلعات الشعوب، ومن دون الحرية فإن الحديث عن تطوير أداء منظمات المجتمع المدني - بما يجعلها شريكا للدولة في التنمية والنهوض- هو حديث أجوف لا قيمة له على أرض الواقع.

ثقافة التطوع

العمل التطوعي هو جوهر ولب العمل المدني. والسؤال الذي يمثل الإشكالية الرابعة هو: كيف ننشر ثقافة العمل المدني، بحيث لا تتحول منظمات المجتمع المدني في النهاية إلى مؤسسات نخبوية منعزلة عن الجماهير، وبالتالي تفقد تأثيرها والهدف الأساسي المرجو منها؟

فتلك المنظمات قد أنشئت لخدمة المجتمع والرقي به، وهي تنبع من المجتمع وتصب فيه، وتستمد منه روافدها المالية والبشرية.

في المنظور الإسلامي، نجد أن «الفرد» مخاطب بجملة من الأوامر والأحكام مثل «المجتمع» و«الجماعة»؛ فحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «بلغوا عني ولو آية» (رواه البخاري)، لم يترك عذرا لمعتذر بقلة العلم والوقت حتى يمارس الدعوة إلى الله. وحديث أبي هريرة الذي قال فيه النبي ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» (رواه البخاري ومسلم).. يحث كل مسلم على أن ينفع المجتمع من جنس ما يحسنه ويتقنه، ولو بكلمة طيبة فهي له صدقة.

وهكذا يغرس الإسلام في المسلم أنه -كفرد- مطالب بأن يفيد مجتمعه، ويكون فيه عضوا صالحا معطاء.. وهذا هو جوهر العمل المدني؛ فالمؤسسات تتكون من أفراد، وما لم يترسخ عند أفراد المجتمع، خصوصا منذ الصغر، أن العمل التطوعي ضرورة للمجتمع، ولا بد أن يسهم فيه كل فرد بنصيب، مهما كان ضئيلا؛ فلن تزدهر منظمات المجتمع المدني.

إذا، لا بد أن تتكاتف المؤسسات، التربوية والتعليمية والإعلامية، لغرس قيمة العمل التطوعي وترسيخه في المجتمع.

هذه أربع إشكاليات تعرقل فعالية منظمات المجتمع المدني، ولا مناص من التفكير جديا في تجاوز تلك التحديات؛ حتى تكون هذه المنظمات بالفعل شريكا للدولة في التنمية، ومعبرا صادقا عن هموم المجتمع واهتماماته.

هوامش

١- الشيخ راشد الغنوشي: «مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني»، ص: ٨١، الرسالة، ١٩٩٩م.

٢- د. عبدالمنعم المشاط: «قاموس المفاهيم السياسية»، ص: ٧٠ و٧١، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠١١م.

٣- ناهد عز الدين: «المجتمع المدني»، ص: ٩٣، كتاب رقم ٥ ضمن «موسوعة الشباب السياسية»، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٧م.

٤- تعرض د.رفيق حبيب لخدعة ترويج «العلمانية» تحت ستار «المدنية» في مقاله: «الدولة المدنية.. دينية أم لا دينية؟» على الرابط: HYPERLINK http://www.masress.com/dostor/١٦٠٩٦

٥- راجع المزيد عن دور الأوقاف في الحضارة الإسلامية في: د.إبراهيم البيومي غانم، «الأوقاف والسياسة في مصر»، دار الشروق، ط١، ١٩٩٨م.

٦- يقول د.محمد عمارة: «الأمة هي المستخلفة عن الله سبحانه وتعالى، أما الدولة فهي الخليفة عن الأمة بالاختيار، والخاضعة لرقابتها وحسابها؛ فالطرف الأصيل في نظرية الخلافة والاستخلاف هو الأمة»، انظر له: «هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟»، ص: ١١٢، دار الشروق، ط٢، ١٩٩٨م.

الاعتصام بالإسلام

هناء ثابت - كاتبة سورية

إن من أعظم أصول الإسلام الاعتصام بحبل الله، والنهي عن الفرقة والاختلاف، لتحقيق العبادة الدينية والدنيوية، إذ إنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم، ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم إلا بالألفة والاجتماع، الذي حقيقته: التعاون على البر والتقوى، والتكافل والتناصر والتعاطف والتناصح والتواصي بالحق والصبر عليه.

وفي ذلك السعادة والنجاة، وصلاح أمر الدنيا والآخرة، وإقامة العدل، وحفظ الحقوق، ونشر الأمن والسلام.

هذا كله قائم على أن المؤمنين جميعا إخوة، وإن اختلفت ألوانهم ولغاتهم، وتناءت بلادهم.. فالإسلام يجمعهم ويوحد صفوفهم، ويوجب عليهم العدل فيما بينهم، فيكونون قلعة منيعة، وحصنا حصينا، وعندئذ يكتب الله لهم العزة والنصر والتمكين في الأرض، والعاقبة الحميدة، ويؤلف بين قلوبهم، وينزع منها الغل والشحناء والاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(آل عمران: ١٠٣).

وقال الطبري في تفسير هذه الآية: «يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»، وقال ابن كثير: قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة.

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: «فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة».

ويؤكد القرطبي على المنهج الصحيح، والركيزة والقاعدة الأساسية للاجتماع والألفة، بقوله: «فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة؛ اعتقادا وعملا، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات، الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين». وحقيقة الاعتصام بكتاب الله يوضحها ابن القيم بقوله: «وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتهم، ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك فهو منسل من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله علما وعملا، وإخلاصا واستعانة، ومتابعة، واستمرارا على ذلك إلى يوم القيامة».

وهذه الآية الكريمة من سورة آل عمران، هي الآية الجامعة العظيمة لمقومات الألفة والترابط، التي تكفل اجتماع المسلمين وائتلافهم، وتقضي على أسباب الفرقة والاختلاف. وقد جاءت الآيات في ذم الفرقة أكثر عددا من الآيات التي جاءت في الحث على الجماعة، لأن الجماعة هي الأصل، وملازمتها هو الواجب والمطلوب شرعا، أما مفارقة الجماعة والاختلاف فأمر طارئ وحادث خطير، ولذا حذرت الآيات الكثيرة منه، وهي تحمل في ثناياها الوعيد الشديد لمن ترك الجماعة وفارقها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾(آل عمران:١٠٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(الأنعام: ١٥٣).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا، فقال: «هذا سبيل الله» ثم خط عن يمين ذلك الخط، وعن شماله خطوطا، فقال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ...﴾ (الأنعام: ١٥٣).

ولذا فإن جمع كلمة المسلمين وإزالة ما بينهم من الفرقة، من أفضل الجهاد في سبيل الله، ومن أفضل القربات، وذلك بمراعاة ما أجمع عليه الصحابة الكرام من أمور الدين، كأمور الاعتقاد والعبادة والسلوك، ومراعاة الأخوة الإيمانية وحقوقها التي تربط بين أفراد المجتمع المسلم، وينبغي على المسلمين ألا يجعلوا الأمور الاجتهادية التي يسوغ الاختلاف فيها، سببا في الفرقة والتعصب، فضلا عن نبذ كل ما يسبب ضعف المسلمين وفرقتهم، من الأهواء والبدع والألقاب والألفاظ والمسميات والمظاهر الكاذبة.

قال النووي: «وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده، وهو اتباع كتابه العزيز، وحدوده والتأدب بأدبه.. وأمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام».

وقال ابن تيمية: «وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعا، وأن لا يتفرق، وهو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة».

«دعوة الحق»..
مجلة الثقافة والفكر المغربي

كتب : رئيس التحرير
تصوير : هدايت الله نثار

تعتبر مجلة «دعوة الحق» الشهرية إحدى أهم المنابر الإعلامية المعنية بالثقافة والفكر والدراسات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، حيث أسسها الملك محمد الخامس سنة ١٩٥٧م، وتصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.

وجاء تأسيس المجلة كأحد الواجبات المنوطة بالوزارة لتحقيق النهضة الشاملة والعناية بالناحية الروحية والفكرية، وتحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تلائم المفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف.

وقد زارت «الوعي الإسلامي» مقر المجلة في المملكة المغربية بتاريخ ٢١ ديسمبر ٢٠١٢ للتعرف على التجربة العلمية والصحفية خلال هذه الحقبة الزمنية، حيث استقبل الوفدَ مديرُ الشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف أحمد فسطاس، والدكتور محمد المغراوي رئيس التحرير.

وتتولى وزارة الأوقاف المغربية إصدار مجلة جامعة تعنى بالإصلاح الديني، حيث تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية.. وكانت بدايتها تصدر شهريا حتى باتت تصدر حاليا بشكل فصلي.

ومنذ تأسيسها في عهد الملك محمد الخامس والمجلة حريصة كل الحرص على العناية بالجانب التوعوي والثقافي ورعاية المساجد وأنشطتها، والتنسيق مع المجالس والمراكز العلمية.

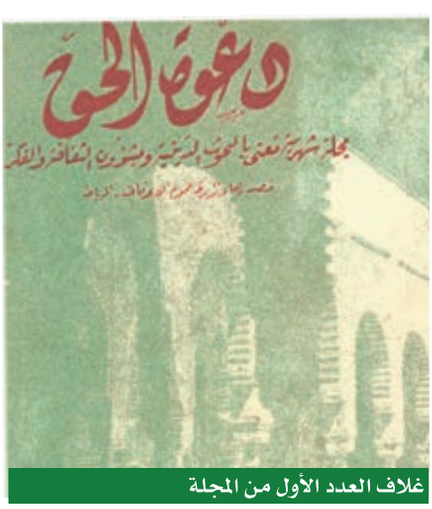

غلاف العدد الأول من المجلة

وكان لمجلة «دعوة الحق» صدى واسع لدى القارئ العربي في كل مكان، ساعية لتصحيح المسار الثقافي، ومعه تنشط القرائح، وتتحرك الأقلام، وتنهض الهمم، خاصة أنها أخذت طابع التشويق والجدية، وقربها من نفوس القراء.

وحرصت المجلة على الاعتصام بحبل الله، والتشبث بمبادئه، والسير على سننه؛ ليعد أحد العوامل الأساسية في تحقيق التقدم والرقي المأمول، بالرغم من المعوقات، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق الأهداف المنشودة.

إن مجلة دعوة الحق تعد قلعة من القلاع التي احتمت بها الثقافة الإسلامية في المغرب، وحصنا من أهم الحصون التي أوت إليه طوال نصف قرن من الزمن مضى، وقد

أدت دورا بارزا في بعث الثقافة المغربية وإحيائها والتعريف بها، ودفعها نحو التطور والتجديد، فعملت بذلك على إبراز الأصالة المغربية والتعريف بها خارج الحدود، وقاومت الغزو الثقافي الدخيل، وحاربت أفكار الدجل والشعوذة والإلحاد ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

وأصبحت المرجع الأساسي لكل من يتصدى لتاريخ الحركة الثقافية في العالم العربي، تعينه على تلمس معالم الفكر وفهم طبيعة الثقافة، وتشكل مصدرا من أهم المصادر التي يرجع إليها الباحثون في الحضارة الإسلامية.

وسعى القائمون على المجلة على ألا تقتصر على جانب من الثقافة دون جانب، ولا يطغى عليها لون دون لون، وهذا ما جعل الإقبال عليها يتكاثر مع مرور الزمان، حتى إنها لتنفرد بهذه الظاهرة أو تكاد، وهي باختيارها هذا المنهج فتحت صدرها للجميع، لا تحتكر أقلاما دون أقلام، ولا تؤثر فنا على آخر، فكل من آنس من نفسه القدرة على الكتابة في أي فن يحسنه أو لون يجيده ويتقنه فعل، فأنت في «دعوة الحق» تقرأ للمؤرخ والفقيه والأديب واللغوي.

كما أنها لم تتشبث بالنزعة الإقليمية الضيقة، ولكنها فتحت الباب أمام الجميع.. وقد أعطت خلال تاريخها حصيلة فكرية هائلة، بحيث لو جمع ما نشر فيها من إنتاج، وما سطر فيها من أبحاث لتحصل من ذلك مجلدات في كل صنف، ولقد جمع بعض كتابها ما نشروه فيها من أبحاث تباعا، فجاءت كتبا قائمة برأسها.

إذا كان ظهور «دعوة الحق» على موعد مع التاريخ، لأنها خرجت إلى الجمهور في الوقت المناسب واللحظة الحاسمة، فكان من الطبيعي أن استبشر بها حماة الثقافة الإسلامية، وحراس لغة الضاد خيرا، فاستقبلوها بالأحضان، ومنحوها حبا وعطفا، وأولوها عناية واهتماما يغذونها ببنات أفكارهم، ويغدقون عليها بعصارة عقولهم، يؤثرونها بما لديهم، ولا يبخلون عليها بالنصح والتشجيع، لعلمهم أن هذه المجلة تعني بالنسبة إليهم التاريخ والشخصية والهوية.

بالفعل مجلة «دعوة الحق» تقدم خدمات جليلة لقرائها في شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي، ويحق لها أن تنظر إلى ماضيها نظرة إعجاب، وتنطلق منه نحو مستقبل مشرق مفعم بالتفاؤل.

جدير بالذكر أن مجلة «دعوة الحق» وقعت على بروتوكول التعاون بين المؤسسات الصحفية الإسلامية على هامش مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول الذي استضافته مجلة «الوعي الإسلامي» في دولة الكويت نهاية عام ٢٠١٢م.

رئيس التحرير بصحبة فسطاس والمغراوي

عقد الوكالة

د. صالح سالم النهام
دكتوراه في الشريعة الإسلامية

يعتبر عقد الوكالة من عقود التفويضات التي تتضمن تفويض الغير، وإطلاق يده في التصرف لعمل كان ممنوعا عليه من قبل، ومثل عقد الوكالة: الطلاق، والإيصاء، والإذن للصبي بالتجارة.. ولا شك أن الشريعة الإسلامية السمحة كلها عدل ورحمة، ومن رحمة الله تعالى بالعباد أن أجاز من المعاملات عقد الوكالة الذي كانت الحاجة داعية إلى جوازه، حيث إن الإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعمل بنفسه في أمور كثيرة.

التعريف بالعقد:

- العقد لغة: مصدر عقد الشيء يعقده عقدا وتعاقدا، فانعقد وتعقد، إذا شده، فانشد، فهو نقيض الحل، وهو في الأصل للحبل ونحوه من المحسوسات، ثم أطلق في أنواع العقود من البيوع والمواثيق وغيرها(١).

- العقد اصطلاحا: مرتبط ارتباطا وثيقا بمعناه اللغوي، حيث له تعريف

خاص وعام، أما الخاص فهو: ارتباط إيجاب بقبول على وجه مشروع يثبت أثره في محله(٢)، وأما العام فهو: ما ألزم به المرء نفسه، ولا يشترط في هذا التعريف وجود طرفين في العقد(٣).

التعريف بالوكالة:

- الوكالة لغة: الوَكالة والوكالة بفتح الواو وكسرها، لها معان كثيرة، منها الحفظ، والتفويض تقول: وكلت فلان إذا استحفظته، ووكلت الأمر إليه: بالتخفيف إذا فوضته إليه(٤).

- الوكالة اصطلاحا: عرفت بعدة تعريفات، منها أنها: عقد يتم فيه تفويض شخص ما له فعله مما يقبل النيابة إلى غيره ليفعله في حياته(٥)، وقيل بأنها: استنابة جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة من حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين(٦).

مشروعية الوكالة:

أجمع فقهاء الأمة الإسلامية في كل العصور على مشروعية الوكالة معتمدين في ذلك على: القرآن الكريم، والسنة النبوية(٧).

١) القرآن الكريم:

المعنى الأول: التفويض: والذي يدل على أن التفويض من معاني الوكالة، دلالة الكلمات التي جاءت في أسلوب أمر في قول الله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١٩).

المعنى الثاني: الحفظ: وكذلك مما دل على أن الحفظ من معاني الوكالة قول يوسف عليه السلام: (إني حفيظ) في قول الله عز وجل: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

٢) السنة النبوية:

عن جابر بن عبدالله أنه رضي الله عنه يحدث قال: أردت الخروج إلى خيبر فأتيت رسول ﷺ، فسلمت عليه، وقلت له: إني أردت الخروج إلى خيبر، فقال: «إذا أتيت وكيلي بخيبر فخذ منه خمسة عشر وسقا، فإن ابتغى منك آية، فضع يدك على ترقوته». أخرجه أبو داود: (٣٦٣٢)، واللفظ له، والبيهقي في السنن الصغرى: (٢٠٨٩).

● المعنى العام للحديث

لقد دل هذا الحديث على جواز الوكالة، حين وكل النبي ﷺ من يجمع له الأموال من البلاد التي فتحت عنوة، وصالح أهلها عليها، ومنها خيبر، فقال رسول الله ﷺ لجابر حينما أراد الخروج إلى خيبر: «خذ من وكيلي خمسة عشر وسقا، فإن طلب منك آية- أي علامة أو دليلا على الأخذ منه- فضع يدك على ترقوته».

● من مفردات الحديث:

- قوله ﷺ: «خمسة عشر وسقا»، والوسق: بفتح الواو على الأفصح، والجمع أوسق وأوساق، ووسوق(٨)، والوسق: مكيلة معلومة، تقدر بـ: «ستون صاعا».. والصاع: أربعة أمداد، والمد: هو ضرب من المكاييل، يساوي ثمانية عشر لترا تقريبا(٩).

- وقوله ﷺ: «فضع يدك على ترقوته».

الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق- في أعلى الصدر- وهما ترقوتان. والجمع: تراقٍ.. وبلغت الروح التراقي: كناية عن مشارفة الموت(١٠).

● ومن الأحكام التي تؤخذ من الحديث:

- اختلاف العلماء في وجوب الدفع من العامل لرسول أو إمام، وذلك على قولين:

القول الأول: قال بعض العلماء: لا يجب الدفع إلى الرسول؛ لاحتمال أن ينكر من أرسله.. وهذا قول الهادوية.

القول الثاني: قال بعض آخر: يجب التصديق بأمارة ونحوها ويدفع إلى الرسول، لكن له الامتناع من الدفع حتى يشهد عليه بالقبض.

- استحباب اتخاذ علامة بين الوكيل وموكله؛ لأنها أسهل من الكتابة، وقد يكون أحدهما ممن لا يحسن الكتابة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن الخط قد يشتبه.

- ليست الوكالة خاصة بالمسافر أو المريض؛ بل إنها تقبل من الصحيح المقيم.

حكم الوكالة (١١):

هي عقد جائز من الطرفين، ولكل منهما أن يتخلى عنها متى شاء، إلا إذا كان في ذلك ضرر على كل منهما، فحينئذ تكون عقدا لازما في حق أحدهما.. ولأهمية هذا العقد كان على الإنسان أن يعلم أحكام الفقه قبل أن يوقع وكالة عامة أو خاصة، سواء كانت قابلة للعزل أو غير قابلة للعزل.

أركان الوكالة (١٢):

اعلم أن الوكالة عند جمهور الفقهاء لها ثلاثة أركان، وهي: العاقدان: (الموكل والوكيل)، والمعقود عليه: (محل الوكالة)، والصيغة: (الإيجاب والقبول)، وعند الحنفية أنها الصيغة فقط.

فإذا قلنا: إن الوكالة عقد في أن ينيب الإنسان غيره في أمر يقبل النيابة.. فيفهم من الأمر، أن الذي لا تقبل فيه النيابة لا تصح فيه الوكالة.. ولا غرو أن هذه الجزئية تحتاج إلى بيان أي الأعمال التي تجوز فيها الوكالة. وتفصيل ذلك يكون كالتالي:

١) أفعال تقبل الوكالة- النيابة- مطلقا، أي: في حالتي العذر وعدمه، وهي: الأفعال المالية المحضة، مثل: تفريق الزكاة، والصدقات، والكفارات، ولحوم الأضاحي، وذبح النسك، وغيرها.

٢) أفعال تقبل الوكالة- النيابة- بشرط العذر، وهي الأفعال التي تكون بدنية من ناحية، ومالية من ناحية أخرى، مثل: الحج والعمرة، وفيها تفصيل يطول ذكره.

٣) أفعال لا تقبل الوكالة- النيابة- مطلقا، أي: سواء أكان هناك عذر أم لا، وهي الأفعال الشخصية المحضة، كالأعمال القلبية، مثل: الإيمان بالله تعالى، ورسله، واليوم الآخر مثلا، وكذلك الأفعال البدنية المحضة، مثل: الصلاة، والصوم، والطهارة من الحدث، فهذه لا تجوز الوكالة- النيابة- فيها، سواء أكان الموكل قادرا أم عاجزا.

٤) أمور تتعلق بحقوق الآدميين، وهذه منها: ما لا تقبل فيها الوكالة- النيابة- كالتي لها تعلق بشخص الفاعل؛ ومثالها: الحدود والقصاص، ومنها ما تقبل فيها الوكالة- النيابة- ومثالها: الوكالة التي لها تعلق بفعل الفاعل، من دفع خصومة عنه، أو أن يقوم عنه في الشراء والبيع...إلخ.

شروط الوكالة:

١) أن تكون الوكالة بشيء معين معلوم.

٢) أن يكون الوكيل والموكل جائزي التصرف.

٣) أن يكون التوكيل فيما تدخله النيابة.

٤) أن يكون الوكيل معينا.

٥) أن يكون الوكيل أمينا.

شروط الموكل:

بمعنى أن يكون الموكل مالكا للتصرف الذي يوكل فيه، لأن الوكالة يجب أن تنطلق من أن الموكل يملك موضوع الوكالة، فإذا لم يكن يملكها فلا تصح الوكالة حينئذ، لذلك نجد أن فاقدي الأهلية لا تصح وكالتهم، مثل: المجنون، والصبي غير المميز، بخلاف الصبي المميز، فصحة وكالته متوقفة على ما يعود عليه من النفع، أما إذا كانت الوكالة في مواضيع تضره، فهنا لا تجوز.

شروط الوكيل:

وهي أن يكون الوكيل عاقلا.. فلو كان مجنونا أو معتوها أو صبيا غير مميز فلا تصح وكالته، بينما الصبي المميز عند السادة الأحناف توكيله جائز.

شروط الموكل فيه:

وشروط الموكل فيه في موضوع الوكالة يجب أن يكون معلوما تماما، لكن يتساهل فيما كانت جهالته يسيرة، بخلاف ما إذا كانت جهالته فاحشة، كالعمل في المخدرات مثلا... فلا تجوز الوكالة في هذه الصورة.

أنواع الوكالة:

ومن أنواعها: وكالة منجزة، ووكالة معلقة على شرط، ووكالة معلقة على زمن مستقبلي، وقد تكون وكالة مؤقتة، وذلك لوجود وكالة معينة في عمل معين، ووقت معين.

موضوعات الوكالة:

تكون موضوعات الوكالة في الأمور التالية: البيع، والشراء، وإثبات الدين، وإثبات العين، والإعارة، والخصومة، والتقاضي، والصلح، والهبة، والصدقة، والرهن...

ضابط الوكالة:

وهو: أن كل عقد جاز أن يعقده الإنسان بنفسه، جاز أن يوكل فيه غيره... ومثاله: رمي الجمار في الحج، وتأدية الزكاة، وهذه أمور تتعلق بأفعال الموكل، ومتى ما دفعها الموكل إلى إنسان يثق به جاز ذلك، أما الوكالة بمحرم كالقتل مثلا، فلا تصح، وذلك لعدم امتلاك الموكل التصرف بها.

فإذا قلنا: إن الموكل يجوز له أن يوكل من يثق به في عمل جائز.. فهل للوكيل أن يوكل غيره فيما أسند إليه نيابة عن الموكل؟ مع أن الموكل كان يثق في الوكيل نفسه، ولم يثق في غيره؟ وهذه المسألة تناولها الفقهاء في حالات ثلاثة، إليك بيانها:

الحالة الأولى: أن ينهى الموكل وكيله عن التوكيل، والحال هذه: لا يجوز للوكيل أن يوكل غيره.

الحالة الثانية: أن يأذن الموكل لوكيله في التوكيل، والحال هذه: يجوز للوكيل أن يوكل غيره.

الحالة الثالثة: أن يجعل الموكل الوكالة مطلقة، وتلك الحالة فيها تفصيل يطول بيانه في هذا الموضع، ومن يرد الاستزادة في هذه الحالة فلينظرها في مطولات كتب الفقه.

الوكالة بالتبرع أو بالأجرة:

تصح الوكالة بالتبرع، وكذلك بالأجرة.. فإن كانت الوكالة تبرعا فهي خدمة يؤديها الوكيل، والحال هذه، لا يلزم الوكيل الإتمام، وإنما يمكنه الاعتذار، وإن كانت الوكالة مأجورة، فالأمر هنا ملزم بالنسبة للوكيل، ومن ثم لا يحق له أن يعزل نفسه، إلا بعد أن ينجز المهمة التي وكل بها.

وقد اتفق الفقهاء على صحة الوكالة في هاتين الحالتين؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ.. ودليل ما كان تبرعا- ويعبر عنه بأنه بلا جعل- هو: «أنه ﷺ قد وكل عروة بن الجعد في شراء شاة» أخرجه البخاري: (٣٦٤٢)، وأما ما كان بجعل: «فإن النبي ﷺ كان يبعث عماله لقبض الصدقات، ويجعل لهم جعلا». أخرجه البخاري: (١٤٩٦).

انتهاء الوكالة بموت أحد المتعاقدين:

بمعنى إذا مات الوكيل أو مات الموكل تنتهي الوكالة؛ لأنها تعتمد على الحياة، فإذا انتفت الحياة انتفت صحتها، وذلك لانتفاء ما تعتمد عليه، وهو أهلية التصرف.

الهوامش

١- انظر: معجم مقاييس اللغة: (٨٦/٤)، تاج العروس: (٣٩٤/٨).

٢- انظر: البحر الرائق: (٨٧/٣)، حاشية الدسوقي: (٤/٣)، المهذب: (١٠/٣)، المغني: (٥/٦).

٣- انظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤١٦/٢).

٤- انظر: مادة «وكل» في كل من: القاموس المحيط، لسان العرب، المصباح المنير.

٥- انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: (١٤/٥).

٦- انظر: كشاف القناع: (٤٦١/٣).

٧- انظر: تبين الحقائق: (٢٥٤/٤)، حاشية الدسوقي: (٣٣٩/٣)، نهاية المحتاج: (١٥/٥)، المغني: (٢٠١/٥).

٨- انظر: المعجم الوسيط.

٩- انظر: المعجم المغني.

١٠- انظر: المعجم الوسيط.

١١- انظر: البحر الرائق: (٨٧/٣)، حاشية الدسوقي: (٤/٣)، المهذب: (١٠/٣)، المغني: (٥/٦).

١٢- انظر: المراجع السابقة نفسها.

عقد الاستصناع

وأهميته في النشاط الاقتصادي المعاصر

أ.د. حسن عبدالغني أبوغدة
كلية التربية - جامعة الملك سعود

الاستصناع في اللغة: (طلب صنع الشيء وعمله لأنه غير موجود في الواقع)، وفعله الماضي: صنع، وهو في الاصطلاح الفقهي: (عقد على مبيع في الذمة يطلب عمله)، مثال ذلك: شركة تجارية تتفق مع مصنع على أن يصنع لها عددا محددا من السيارات، بأوصاف محددة.

وعقد الاستصناع عقد ائتماني، وهو مما انفرد فقهاء الحنفية في القول به، وفي تسميته «الفقهية»، وفي الحديث عن أحكامه، وميزوه من عقد «السلم» في كون الشيء المعقود عليه مستصنعا بفعل الناس وتدخلهم، كالعمارات، والأواني، والملابس، لا كونه موجودا ومخلوقا بخلق الله تعالى وإيجاده، كالحبوب، والفواكه، والخضار، والبيض.

ويرى فقهاء الجمهور أنه ليس هناك عقد مستقل اسمه «الاستصناع»، وإنما هناك عقد يقال له: السلم، ولذا أوردوا صور الاستصناع وأمثلته في عقد السلم.

عقد الاستصناع

يرى الحنفية مشروعية عقد الاستصناع منفردا عن السلم، وأنه جائز، بل قال الفقيه الحنفي محمد ابن الحسن الشيباني رحمه الله: «الاستصناع جائز بإجماع المسلمين»، وهو يقصد أن عموم المسلمين مارسوه ويمارسونه عمليا، وإن لم يسموه بهذا «الاسم الفقهي» الذي سماه به الحنفية وانفردوا بذلك.

واستدلوا لمشروعيته بالسنة النبوية، والإجماع العملي، والمعقول، وبيان هذا فيما يلي:

١- ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه بعث إلى امرأة من الأنصار يقول لها: «مري غلامك النجار يعمل لي أعوادا. أي: منبرا. أجلس عليهن إذا كلمت الناس».

٢. ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه: «اصطنع خاتما من ذهب، وكان يلبسه، فيجعل فصه في باطن كفه، فصنع الناس خواتيم، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه، فقال: إني كنت ألبس هذا الخاتم، وأجعل فصه من داخل، فرمى به، ثم قال: والله لا ألبسه أبدا، فنبذ الناس خواتيمهم».

٣. الإجماع العملي: وبيانه: أن الناس تعاملوا بالاستصناع في عهد النبي ﷺ كما تقدم في الحديثين الآنفين، وتعاملوا به أيضا في سائر الأعصار بعده من غير نكير، فكان هذا إجماعا عمليا. وهذا ما قصده محمد بن الحسن الشيباني- رحمه الله- في قوله الآنف- ولا شك أن

الإجماع حجة ينبغي الأخذ بها؛ لما رواه الترمذي وغيره من قول النبي ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»، ولقول الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحا، فهو عند الله قبيح».

٤. المعقول: وبيانه: أن حاجة الناس في عموم الأزمان والأمكنة تدعو إلى القول بجواز عقد الاستصناع؛ لأن الإنسان يحتاج إلى استصناع البيوت والمكاتب وأثاثاتها من الطاولات، والكراسي، والأدوات المنزلية، والصحية، والكهربائية، وغيرها من احتياجاته المخصوصة، بأنواع مخصوصة، على مقادير مخصوصة، وصفات مخصوصة، وقد لا يتفق وجود هذه الأشياء مصنوعة في الأسواق بحسب طلب الإنسان ورغباته وحاجاته، فيحتاج إلى أن يستصنعها، فلو منع عقد الاستصناع وحرم لوقع الناس في الحرج والضيق.

الغاية من تشريع عقد الاستصناع:

شرع الله تعالى عقد الاستصناع- مع أنه بيع لشيء معدوم غير موجود- تيسيرا على الناس في تحصيل أرزاقهم، وتحقيق مصالحهم، وتمويل بعضهم بعضا، واستثمار أموالهم وتنميتها، ويزيد الأمر وضوحا ما يقاس على ما سبق من حاجات الناس المعاصرة ومصالحهم الضرورية، كصنع الكهربائيات، والالكترونيات، وبناء المدارس، والجامعات، وصنع السيارات، والطائرات.

ومع أن الإسلام شرع عقد الاستصناع، فإنه ضبطه بضوابط وشروط ومواصفات؛ حتى لا يختلف الناس ويتنازعوا فيما بينهم.

أركان العقد

تتشابه أركان عقد الاستصناع مع أركان العقود المالية عامة، وهي هنا ثلاثة:

١. الصيغة: وهي التي يقال لها: الإيجاب والقبول.

٢. العاقدان: أي: المستصنع المشتري طالب السلعة، والصانع البائع الذي يقدم هذه السلعة.

٣. المحل: أي: السلعة المستصنعة، والثمن المدفوع مقابلها.

أما شروط عقد الاستصناع فأبرزها ما يلي:

١. وصف السلعة المصنوعة وبيانها بيانا تاما من حيث الجنس، والنوع، والقدر، والأوصاف، التي لا تدع مجالا للاختلاف بين العاقدين.

٢. كون السلعة المصنوعة مما يجري التعامل به وتصنيعه من قبل الناس- أي: مما يصنعه الإنسان ويتدخل في إيجاده وتجهيزه، كالطاولات، والكراسي، والجوالات، والسيارات، والطائرات، لا مما يخلقه الله تعالى ويوجده، كالحبوب، والفواكه، والثمار، والبيض.

إلزامية العقد

ذهب الفقيه الحنفي أبويوسف القاضي- رحمه الله تعالى- إلى لزوم عقد الاستصناع، إذا جاء مطابقا للمواصفات المتفق عليها، وأنه لا خيار فيه لواحد من العاقدين، أما الصانع فلأنه بائع، ويجب عليه المضي في العقد الذي التزمه، وكذلك يجب على المستصنع تنفيذ العقد الذي التزم به؛ لما يترتب على تخلفه عن ذلك من ضرر يقع على الصانع.

ولا شك أن هذا يتفق مع قواعد العدل والإنصاف، ويعين على استقرار التعامل المالي والتجاري في الأسواق، بين التجار، وأصحاب المصانع، والشركات، والمصدرين، والموردين، سواء كان هذا على الصعيد المحلي، أو الصعيد الإقليمي، أو الصعيد العالمي.

مجالات التطبيق

يصلح عقد الاستصناع الآنف الذكر للقيام بتمويل الورشات، والصناعات، والمشاريع... حيث يتعامل المستصنعون مع أصحابها المنتجين والصانعين، ويتوقعون أن يوفروا لهم هذه السلع والمصنوعات والمشاريع في المواسم والمواعيد التي يحددونها لهم، سواء من صناعاتهم وجهودهم الذاتية، أو مما يمكن أن يحصلوا عليه من الأسواق، ويسلموه إليهم، أو إلى الجهة التي يحددونها، على دفعة واحدة، أو على دفعات متلاحقة، وهم يقدمون لهم مقابل هذا الاتفاق تمويلا كليا، أو جزئيا متدرجا يسد احتياجاتهم، ويحقق طموحاتهم في مشاريعهم.

ومن الصور التي تصلح فيها عمليات التمويل بالاستصناع، وتمارس وتطبق على نطاق واسع من قبل التجار، والشركات، والمؤسسات، والمصارف الإسلامية وغيرها، ما له صلة بمجالات التنمية التجارية، والصناعية، والزراعية، والغذائية، والسياحية، والتعليمية، ونحوها... وذلك كاستصناع الألبسة، والأغذية وتعليبها، واستصناع المفروشات، ولعب الأطفال، والأدوات الكهربائية والمنزلية، والجوالات، والكمبيوترات، وطبع الكتب والصحف، وعمل «الديكورات»، وتعبيد الطرقات، واستصناع المعدات الصناعية، والزراعية، والسيارات، والقطارات ومحطاتها، والسفن وأحواضها، والطائرات ومطاراتها، وكإقامة المباني المختلفة من المجمعات السكنية، والفنادق، والمنتجعات السياحية، والمستشفيات، والمساجد، والأسواق، والمدارس، والجامعات، وإنشاء المصانع.

وقل نحو ذلك فيما تحتاجه الشعوب والدول في كل آن وحين، وبخاصة في عصرنا الحالي، الذي توسعت فيه شبكة الحياة المعاصرة المتطورة، وصار لا يستغنى فيه عن كثير من الأشياء، ونشطت فيه الصناعات العالمية على مستوى التجارة الخارجية الدولية، مع ارتفاع مستمر في الأسعار، مما يتطلب ازدياد اهتمام التجار والجهات والشركات والمؤسسات المالية والتجارية بعقود الاستصناع في مثل هذه المنتجات والمصنوعات والمشاريع، ثم إعادة تسويقها وبيعها والربح فيها،

سواء كان هذا في المدى القصير، أو المتوسط، أو الطويل.

ولا يخفى أن عقد الاستصناع يعد من الوسائل والأدوات الاستثمارية الحيوية المربحة، التي تتيح بأمان اقتحام الأسواق التي تتسم المنافسة فيها بالمرونة والسعة، مع وجود ضمانات كافية ضد المخاطر المعتادة.

ممارسة المؤسسات المالية

أحاطت بعض المؤسسات المالية والتجارية علما بمدى المنافع والأرباح التي تحققها عقود الاستصناع لها، وللمستثمرين، وللتجار، وأصحاب المصانع، والمقاولين، وأصحاب الورشات الصغيرة والكبيرة، الذين يحتاجون إلى المبالغ الائتمانية متوسطة الأجل أو طويلة الأجل، كما أدركت مدى المنافع والخدمات التي تتحقق لخاصة الناس وعامتهم من خلال توفير متطلباتهم من هذه المصنوعات، والمنتجات، والسلع، والمباني، والخدمات، فقامت باقتحام مجالات عقود الاستصناع وتطبيقها، باعتبارها وسائل وأدوات ذات كفاءة عالية للوفاء بحاجاتها وحاجات المنتجين والمستهلكين، ولأن من الوظائف الأساسية لهذه المؤسسات، تقديم خدمة الائتمان، والاستفادة من عوض الأجل المتعلق بتقديم هذه الخدمة، وكان ذلك ضمن الاعتبارات والتطبيقات التالية:

١. البائع: وهو هنا (الصانع أو المصنع) الذي يحصل على ما يريده من ثمن المصنوع أو بعض ثمنه، ولو بالتدرج، مقابل التزامه بالوفاء بتسليم المصنوع في مواعيد لاحقة متفق عليها، فهو يستفيد من ذلك بتغطية احتياجاته المالية، سواء كانت تخص نفقاته الشخصية والعائلية، أو كانت لغرض نفقات مشاريعه ونشاطاته التجارية والإنتاجية وأجور عماله.

٢. المشتري: وهو هنا المستصنع (المؤسسة المالية أو التجارية الممولة) الذي يحصل على المصنوعات، والسلع، والمنتجات، والمشاريع، التي يريد المتاجرة بها، في الوقت الذي يريده، فتشغل بها ذمة البائع الذي يجب عليه الوفاء بما التزم به، ويلاحظ هنا أن المؤسسة المالية المشترية تستفيد من رخص السعر، إذ إن «بيع الاستصناع» أرخص من بيع الحاضر غالبا، فتأمن بذلك من تقلب الأسعار. وبناء على هذا تستطيع المؤسسة المالية أن تتحول لاحقا في هذا الصدد إلى بائع، وتعقد استصناعا موازيا بسعر أعلى، تبيع فيه سلعا ومصنوعات ومشاريع من نفس النوع الذي اشترته بالاستصناع الأول، دون ربط مباشر بين العقدين، كما تستطيع الانتظار حتى تتسلم المنتج، فتبيعه بثمن حال، أو مؤجل، أعلى مما اشترته به، وتحقق بذلك أرباحا مميزة.

٣. تسليم وتسلم السلع والمنتجات والمشاريع المصنوعة في الأجل المحدد: توجد أمام المؤسسات المالية أو التجارية المستصنعة حالات عدة يمكن اختيار أحدها، ومن ذلك:

أ- أن تتسلم المؤسسة السلع، والمنتجات، والمشاريع المصنوعة، في الأجل المحدد، وتتولى تصريفها بمعرفتها ببيع حال، أو آجل، بالثمن الذي تريده.

ب- أن توكل المؤسسة البائع (الصانع) ببيع السلعة نيابة عنها نظير أجر إن شاء.

ج- أن توعز المؤسسة إلى البائع (الصانع) بتسليم المصنوعات إلى طرف ثالث، سواء كان هو المشتري في عقد الاستصناع الموازي اللاحق، أو كان مشتريا طارئا.

هذا، ونظرا لما لعقد الاستصناع من أهمية لا يستهان بها في عصرنا، الذي نشط فيه استثمار الأموال وتنميتها على نطاق واسع، فقد قامت المصارف الإسلامية والمراكز المالية الأخرى بممارسة هذا العقد الممول من أموال المودعين والمستثمرين في صناديق اعتبارية خاصة، مراعية في ذلك ما ذكره الفقهاء في مجمل أركانه وشروطه وأحكامه السابق ذكرها، وقد استفاد منها كثير من المساهمين والمستثمرين فوائد مالية جمة.

الاحتياطات المناسبة

من الجدير بالقول هنا: أنه ليس من مانع شرعي فيما تتخذه المؤسسات التجارية والمالية من إجراءات احتياطية، كوجود شروط جزائية تضعها على المصانع والصناع القائمين بالمشاريع ونحوها، وذلك ضمانا لحقوقها ولحقوق المودعين والمستثمرين، الذين فوضوها باستثمار أموالهم من خلال عقد الاستصناع، وتأكيدا على الطرف الآخر (الصانع) بوجوب وفائه بالعقد ومقتضياته، ووجوب التزامه بتسليم المتعاقد عليه في وقته المحدد، وهو ما يتوافق مع ما صدر في قرار مجمع الفقه الإسلامي برقم (١٠٩) في دورته (١٢)، ونصه: «يجوز أن يشترط الشرط الجزائي في جميع العقود المالية ما عدا العقود التي يكون الالتزام الأصلي فيها دينا، فإن هذا من الربا الصريح، وبناء على هذا يجوز هذا الشرط- مثلا- في عقود المقاولات بالنسبة للمقاول، وعقد التوريد بالنسبة للمورد، وعقد الاستصناع بالنسبة للصانع، إذا لم ينفذ ما التزم به، أو تأخر في تنفيذه... ولا يجوز في عقد الاستصناع بالنسبة للمستصنع إذا تأخر في أداء ما عليه».

الخاتمة:

وهكذا يتضح مدى مرونة أحكام التشريعات الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وذلك من خلال نموذج عقد الاستصناع، الذي أحاطه الإسلام بالأركان والشروط والضمانات التي تحفظ حقوق جميع المتعاملين به، من أجل التيسير على الناس وتنمية أموالهم، وتحقيق حاجاتهم في الأسواق المحلية أو الدولية، وبخاصة في عصرنا الذي تشابكت فيه العلاقات، وكثرت فيه احتياجات الناس الخاصة والعامة.

التكافؤ الاقتصادي بين الربا والتورق (٢-٢)

د. سامي بن إبراهيم السويلم
باحث في الاقتصاد

يؤدي التورق إلى النتيجة التي يؤدي إليها الربا، مع زيادة تكاليف البيع والشراء، وذلك أن جميع التكاليف والأعباء المتصلة بالسلعة، كالقبض والحيازة والتسليم والمعاينة النافية للجهالة وكل ما يتصل بذلك من الإجـــراءات، ليس مـن مصلحة المشتري الالتزام بها، لأنه لا غرض له فيها، وفي هذه الحالة فإن الربا أجدى اقتصاديا من التورق، وسائر صور العينة والحيل الربوية.

وإذا كـان كـذلـك فـإن الحوافز الفـطـريـة تقتضـي التـخلـص من هـذه التكاليف الإضافية لتحقيق مصلحة الطرفين، ويكون مآل ذلك إلى الربا، بخلاف البيوع الشرعية التي تتضمن من المصالح والمنافع ما يجبر تكاليف الشروط والإجراءات الشرعية، ومن ثم لا توجد حوافز كافية للتخلص من هذه التكاليف، فلا تفضي إلى الربا.

والربا هو أيسر الطرق وأقلها كلفة للحصول على السيولة مقابل زيادة فـي الـذمـة. والحـيـاة الاقتصادية قائمة على البحث عن الأقل كلفة والأكثر ربحا، فكل معاملة تحقق نتيجة الربا مع زيادة التكلفة، فإن ضـغـط المـنـافـسـة وطـلـب الربحية سـيـؤدي تدريجيا إلـى إزالـة هذه التكاليف، عاجلا أو آجلا، ومن ثم

الاقتراب أكثر فأكثر من الربا.

تداول السلع

يدرك البعض أن التورق لا يختلف من حيث النتيجة عن الربا في حق المتورق، أي إن الربا والتورق متكافئان اقتصاديا على المستوى الجزئي، مع كون التورق أقل كفاءة، لكنهم يشيرون إلى ما يمكن أن ينشأ عن التورق من المصالح الكلية، مثل تداول السلع وتحريك السوق، فشراء السلعة ثم بيعها ينشط تبادلات السلعة، وهذا من شأنه أن يحقق مصالح للمتعاملين، وبعبارة أخرى: إن التورق، وإن لم يكن يختلف عن الربا على المستوى الجزئي، فإنه قد يحقق مصالح اقتصادية على المستوى الكلي، لا يتحقق مثلها من الربا، لغياب السلع أصلا.

لكن هذا التصور يعتوره القصور من جهتين:

١- إن المصالح الاقتصادية على المستوى الكلي هي محصلة المصالح الاقتصادية على المستوى الجزئي، فإذا كانت المعاملة لا تحقق مصالح جزئية أكثر من الربا، فمن الممتنع تحقيق مصالح إضافية على المستوى الكلي.

٢- إن التداول الناتج عن التورق ليس هو التداول المحمود الذي ينتفع به المتعاملون ويحقق قيمة مضافة للاقتصاد، لأن التداول النافع هو الذي يجعل السلعة متاحة لأكثر الناس انتفاعا بها، وهذا يستلزم أن يكون التداول يراد به الانتفاع الحقيقي، أما التورق فهو تداول للسلعة لا لغرض الانتفاع، وإنما لتحصيل السيولة فحسب، فيصبح هذا التداول تكلفة إضافية دون قيمة اقتصادية.

يوضح ذلك أن التورق يؤدي لنشوء سوق مغلقة لتداول السلع محل التورق، فالمتورق يشتري السلعة ليبيعها لطرف ثالث، ليعود الأخير ويبيعها للبائع الأول، كما هو مشاهد، وكما واقع التجربة العملية.. وهذا

من ملامح النظام الربوي تخفيض دور السلع في التمويل

يعني أن السلعة تدور ضمن دائرة ضيقة بين البائع (المصرف غالبا) وبعض التجار الذين يشتري منهم المصرف، وهذا هو التداول الذي حذر منه القرآن في قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: ٧). فالسلعة يقتصر تداولها على المصرف والتاجر، ولا تجد طريقها إلى السوق الحقيقية، وثبت من الواقع أن بعض السلع تم بيعها أكثر من ٤٠ مرة، في كل مرة يشتريها العميل ثم يبيعها للتاجر الذي يبيعها بدوره للمصرف، وهكذا.

ومما يؤكد أن هذا التداول معزول عن السوق الحقيقية أنه في بعض الحالات تبين أن قيمة السلعة الحاضرة لدى المصرف تزيد عن سعر السوق بنحو ٥٠٪، وسبب ذلك أن المصرف اشترى السلعة أولا بالثمن المرتفع، ثم اشتراها العميل بثمن مؤجل، وباعها للتاجر بثمن نقدي قريب من الثمن المرتفع، وهذا بدوره يبيعها للمصرف مرة أخرى بالثمن المرتفع، فتظل القيمة الحالية للسلعة على ما هي عليه، بالرغم من انخفاضها في السوق بنسبة كبيرة. وهذا واضح في أن تداول سلع التورق تداول غير مفيد للسوق ولا ينتفع به من يحتاج السلعة فعلا، بل هو إلى أن يتضرر منه أقرب.

التورق المنظم وأبعاده الاقتصادية:

لقد كان لانتشار التورق في التعاملات المالية المعاصرة امتداد طبيعي يتمثل في تطوير وسائل وأدوات تخفض من التكلفة الإجرائية للتورق من مستوى الربحية والكفاءة، بما يحقق مصلحة المتورق والمصرف، وتمثل هذا التطور في سعي المصرف في بيع السلعة نيابة عن المشتري بثمن نقدي حاضر، بحيث لا يتكبد العميل مصاريف القبض والحيازة والنقل والتسويق، وهذا بجانب تحقيقه لمصلحة العميل، فهو أيضا يحقق مصلحة المصرف، لأنه بذلك يكسب شريحة أكبر من الراغبين في التمويل، ويستطيع من ثم تحقيق أرباح أفضل، ولم يكن هذا التطور في الحقيقة غريبا، لأنه مقتضى الحوافز الفطرية ونتيجة طبيعية للسنن الكونية التي تحكم الأنشطة المالية والاقتصادية. وذلك أن السلعة غير مقصودة أصلا للمتورق، فليس من مصلحته قبضها وحيازتها ثم بيعها، بل كل ذلك يمثل أعباء إضافية فوق تكلفة التمويل، ولذلك سيقبل بأي أسلوب مناسب للتخلص من هذه التكاليف، وإذا كان البائع مصرفا، فليس له أي مصلحة في السلعة أصلا، فسيسير في الاتجاه نفسه كذلك، وهذه هي سنة الحياة الاقتصادية، ومن ظن أن الأمور يمكن أن تسير بعكس ذلك فهو بعيد عن معرفة السنن والحوافز التي توجه النشاط الاقتصادي، وليس صعبا أن نستنتج مقدما ماذا سيكون مآل هذا الاتجاه. إنه مزيد من تخفيض دور السلع في التمويل، ومزيد من الإغراق في الديون، والتوسع في تداولها، وهي الملامح والخصائص نفسها التي يتسم بها النظام الربوي، ويرافق ذلك بطبيعة الحال ترسيخ مفهوم النقد الحاضر بالنقد المؤجل، وتأكيد أهمية السيولة وما تستحقه من عائد، وأهمية تسييل الديون، والآثار الإيجابية لذلك على الاقتصاد.

وهذه هي المفاهيم نفسها التي يتذرع بها أنصار الربا والفائدة، لكنها في السابق كانت على يد مفكري الغرب ومن تأثر بهم، ولكنها اليوم- لبالغ الأسف- تتم على يد

بعض المنتسبين للإسلام وللفكر الإسلامي، ومن قرأ تاريخ الربا في أوروبا النصرانية وكيف استباحته بأنواع الحيل(١)، وشاهد ما يحصل اليوم في بلاد المسلمين، لم يملك إلا أن يردد كلام الصادق المصدوق ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»(٢).

ما هو التورق المنظم؟

المقصود بالتورق المنظم هو قيام البائع (المصرف) بترتيب عملية التورق للمشتري، بحيث يبيع سلعة على المتورق بثمن آجل، ثم ينوب البائع عن المشتري ببيع السلعة نقدا لطرف آخر، ويسلم الثمن النقدي للمتورق، ولهذا الغرض قد يتفق البائع مع الطرف الآخر مسبقا ليشتري السلعة نقدا أقل من السعر الفوري السائد.

الفروق بين التورق الفردي والتورق المنظم:

تتلخص هذه الفروق في:

١- توسط البائع في بيع السلعة بنقد لمصلحة المتورق، في حين أن البائع في التورق الفردي لا علاقة له ببيع السلعة مطلقا، ولا علاقة له بالمشتري النهائي.

٢- استلام المتورق للنقد من البائع نفسه الذي صار مدينا له بالثمن الآجل، في حين أن الثمن في التورق الفردي يقبضه المتورق من المشتري النهائي مباشرة دون أي تدخل من البائع.

٣- قد يتفق البائع مسبقا مع المشتري النهائي لشراء السلعة، وهذا الاتفاق يحصل من خلال التزام المشتري النهائي بالشراء لتجنب تذبذب الأسعار.

النقد مقابل الدين

إن القدر المشترك بين التورق المنظم والعينة الثنائية يتمثل في أن البائع أو المصرف هو مصدر السيولة للمشتري في الحالتين، فالنقد يحصل عن طريقه وبواسطته، ولولاه لما وجدت العملية، والمشتري إنما يقبل على التورق المنظم لعلمه بأن البائع سيدبر له السيولة والنقد الحاضر لاحقا، ولو علم المشتري أن البائع لن يوفر له النقد لما رضي بالشراء ابتداء.

فحاصل العملية إذن أن المصرف يقول للعميل: أوفّر لك مائة نقدا مقابل أن تكون مدينا لي بمائة وعشرين مؤجلة، وهذا هو الربا. فالمصرف الربوي وظيفته توفير السيولة للمدين مقابل دين بزيادة في ذمته، فمن الناحية الوظيفية لا فرق بين المصرف الربوي وبين المصرف الذي يقدم التورق المنظم.

ويزداد الأمر سوءًا إذا علمنا أن المصرف إذا قبض الثمن من المشتري النهائي، فإنه يتصرف فيه لمصلحته، كما هو الحال في الحسابات المصرفية، فتصبح يد المصرف على الثمن يد ضمان وليست يد أمانة، فيكون النقد الذي يسلمه المصرف للمتورق من مال المصرف الخاص، كما أن النقد يسلمه المرابي من ماله الخاص، فهل يوجد فرق مؤثر بين هذه المعاملة وبين الربا؟

بين الصورة والحقيقة

كان الذين يجيزون التورق الفردي يحتجون بأنه في الظاهر شراء وبيع، وهو جائز، ولا ينظرون إلى حقيقة العملية وغايتها، ثم تطور الأمر في التورق المنظم حتى أصبح هذا الظاهر لا يختلف عن الربا. وكل من راقب خطوات هذه المعاملة يرى أن العميل يدخل إلى المصرف يريد نقودا، فيوقع مجموعة من الأوراق، ثم يخرج وفي حسابه لدى المصرف ١٠٠ وفي ذمته له ١٢٠، وهذه هي صورة التمويل الربوي في المصارف التقليدية.

ولكنهم يقولون هذه المرة: إن تشابه الصورة والظاهر لا يعني التماثل، لأن الحقيقة مختلفة، فهذه الأوراق تتضمن وعدا بالشراء، ثم شراء، ثم توكيلا بالبيع...إلخ. والمصرف وإن كان هو الذي يسلم النقد للعميل المدين له، إلا أنه يسلمه باعتباره وكيلا لا مشتريا كما هو الحال في العينة الثنائية، ولا مقرضا كما هو في الربا، فتشابه الصورة لا يعني الحقيقة، والعبرة بالحقيقة.

وهذا المنطق بعينه هو الذي يتذرع به المدافعون عن العينة الثنائية في المؤسسات المالية التي تعمل بها، فهم يقولون: صحيح أن هناك تشابها ظاهريا بين عملية التمويل وفق العينة الثنائية، وبينها في التمويل الربوي، حيث يدخل العميل إلى المصرف ويوقع مجموعة من الأوراق ثم يخرج وفي حسابه ١٠٠ وفي ذمته لذات المصرف ١٢٠. ولكن الحقيقة أن المكونات- على حد تعبيرهم- مختلفة، ففي العينة هناك عقد بيع وعقد شراء، وهذا لا يوجد في التمويل الربوي، والمصرف يسلم النقد باعتباره مشتريا لا باعتباره مقرضا، أي إن العبرة الآن صارت بالحقيقة والمضمون، وليست بالصورة أو الظاهر.

ولكن إذا كانت العبرة بالحقيقة فإن حقيقة العملية، في الحالتين، هي نقد حاضر بمؤجل أكثر منه، وهذه حقيقة الربا.. فلماذا نأخذ بالحقيقة تارة وبالصورة أخرى؟

ضمان المشتري النهائي

من العقبات التي تواجه التورق المنظم تذبذب أسعار السلع، وما يترتب على ذلك من الخسائر التي يتحملها المتورق، وبطبيعة الحال هذه المخاطرة ليست من مصلحة العميل، لأن مراده السيولة والنقد الحاضر، وليس الاستثمار والربح، ومن ثم تعد هذه المخاطرة تكلفة إضافية تعيق تحقيق العملية لهدفها المنشود، وهو التمويل. لذلك عملت بعض المصارف على الاتفاق مع

طرف مستقل يلتزم بالشراء النهائي للسلع التي يتوسط فيها المصرف، وهذا الالتزام ضمان للسعر المباع به أن لا يتجاوز حدودا معينة، حماية من تقلب الأسعار، علما أن السعر المتفق عليه يتضمن عمولة للمشتري النهائي مقابل الضمان، ومقابل هذا الضمان بطبيعة الحال التزام المصرف بالبيع عليه، بمعنى أنه لا يحق للمصرف أن يبيع السلع في السوق حتى لو ارتفع سعرها عن السعر المتفق عليه مع المشتري النهائي، وبذلك يكون هذا الضمان من الطرفين: المصرف بأن يبيع على المشتري النهائي، والمشتري النهائي بالشراء بالثمن المحدد.

والإشكال هنا من وجوه:

الأول: إن هذا الالتزام يصدر قبل حصول التوكيل من قبل العميل، وإذا كان كذلك فهو التزام في غير محله، إذ لا يملك المصرف التصرف في مال قبل إذنه، ثم إن هذا الالتزام يخالف مصلحة العميل إذا ارتفع سعر السوق عن السعر الملتزم به، فالمصرف يبيع بالسعر المتفق عليه بالرغم من كونه أقل من سعر السوق، وهذا يناقض مقصود الوكالة، وهو العمل لمصلحة الأصيل.

الثاني: إن هذا الالتزام- على فرض صحته- من باب الدين بالدين، لأن كلا من المصرف والمشتري النهائي ضامن للآخر بإبرام البيع، وبيع الدين بالدين ممنوع بإجماع العلماء، وذلك أنه أحد أهم مداخل الربا من جهة المقرض.

الثالث: إن هذا الالتزام يلغي معنى الأمانة في عقد الوكالة، فحاصل التورق المنظم يصبح التزام المصرف بتوفير النقد مقابل دين له في ذمة العميل، بخلاف الوكالة الفعلية التي هي من عقود الأمانات، فالوكيل مجرد أمين على سلعة العميل، ولا يضمن له لا بيعها ولا الثمن الذي تباع به، أما هنا فالمصرف يلتزم ببيع السلعة بالثمن المحدد لتوفير النقد للعميل، وإذا وجد الضمان لم يعد هناك فرق بين المصرف وبين البائع في العينة الثنائية، لأن الطرفين ضامنان لتصريف السلعة.

وأما القول بأن العميل له الخيار في توكيل المصرف وعدمه، فهذا الخيار ليس ذا بال، لأن العميل يريد النقد أصلا، ولولا ذلك لما أتى المصرف. وإنما العبرة: هل يملك المصرف الخيار في قبول التوكيل وعدمه؟ والجواب: إن المصرف لا يملك هذا الخيار، لأنه التزم مسبقا مع المشتري النهائي، وإذا كان كذلك كانت المعاملة عينة ثنائية، لأن المصرف ضامن للثمن النقدي، ولا فرق في هذه الحالة بين أن يشتريها هو أو غيره، لأن العبرة بالضمان، وهو حاصل على كل تقدير.

وهذا يبين المأزق الذي يواجهه التورق المنظم، فلما كان هدفه التمويل وليس الاستثمار، اقتضى تجنب مخاطر تذبذب الثمن، لأنها تكلفة إضافية على حساب العميل، ولكن هذا يوقع في مزيد من المخالفات الشرعية، وهذه علامة الحيلة المذمومة، فإنه بقدر ما يسعى أصحابها لتحقيق أهدافهم منها، بقدر ما يوغلون في المحاذير الشرعية، أي إن المصالح الاقتصادية والضوابط الشرعية تصبحان على طرفي نقيض، وهذا خلاف المبادلات النافعة المشروعة التي أحلها الشرع ويسرها وشجع عليها، فكل ما يحقق المنفعة منها فالشرع يجيزه ويسمح به، فالشرع لا يناقض المصالح الحقيقية، كما أن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح، فإذا وجد هذا التناقض علم أن سبب وجوده باطل، فكل معاملة تضمنت تناقض المصالح الاقتصادية والضوابط الشرعية فذلك التناقض علامة بطلانها.

أغراض التمويل

إن تحول التورق إلى نظام مؤسسي يعني أن المؤسسات المالية صار هدفها هو تشجيع الجمهور على الحصول على النقد مقابل زيادة في الذمة، وهي بعينها وظيفة المصارف الربوية، ويترتب على ذلك انفصام العلاقة بين التمويل وبين النشاط الاقتصادي المثمر، وينتج عن ذلك أمران:

١- تفاقم المديونية، نظرا لعدم وجود كوابح ذاتية تمنع منه.

٢- استفحال الإنفاق الاستهلاكي، لأن نسبة كبيرة من القروض الفردية ستوجه لإشباع الحاجات الآنية على حساب الاحتياجات المستقبلية. وكلما كانت آليات الإقراض النقدي أكثر تيسيرا ازداد اعتماد الأفراد عليها، ويصبح الأمر مثل كرة الثلج، لا تزداد مع التدحرج إلا ضخامة.

وعلى هذا، فلا يمكن القول بوجود فرق حقيقي بين التورق المنظم وبين الربا الصريح، والشريعة الإسلامية جاءت بالتسوية بين المتماثلات والتفرقة بين المختلفات، وهذا يستلزم أن يكون التورق المنظم مماثلا في الحكم للنظام الربوي، كما كان مماثلا في الأسباب والآثار والنتائج.

وختاما، فإن مسيرة التمويل الإسلامي اليوم بحاجة لمراجعة مخلصة وجادة، وما لم تصحح المسيرة وتسدد الوجهة، فستكون المؤسسات الإسلامية أول ضحايا النظام الربوي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هوامش

(١) انظر: مصرف التنمية الإسلامي ص ١٠٧، الربا وأثره على المجتمع الإنساني ص ٤٥، palgrave dictionary of finance، usury

(٢) متفق عليه. صحيح الجامع (٥٠٦٣).

وظيفة الزكاة في المجتمع

د. عبدالله رمضاني
باحث دراسات إسلامية

في هذا المقال المتواضع لن أتناول موضوع الزكاة من الناحية الفقهية، فذلك من مهمات المتخصصين من الفقهاء والعلماء، ولكن سأحاول قدر الإمكان الكشف عن أسرار الزكاة ووظيفتها في المجتمع.

إن أصل الزكاة في اللغة من زكا يزكو زكاء، وهي الطهارة والنماء والبركة والمدح والزيادة والنماء والرحمة والصفاء والطهارة والصلاح(١). وكله قد استعمل في القرآن والحديث، ووزنها فَعَلَة كالصدقة.

والزكا، هو الشفع من العدد، والعرب تقول للفرد خسًا وللزوجين زكًا، وقيل لها زكًا لأن اثنين أزكى من واحد(٢).

وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتطهير النفس وتزكيتها وتنميتها بالخيرات. قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣).

والزكاة إحدى مباني الإسلام، وقد تردد ذكرها في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرة، وهو عدد تكرار كلمة البركة ومشتقاتها، كما وردت مردفة بعد الصلاة في اثنتين وثمانين آية من الذكر الحكيم.

وقد كانت فريضة الزكاة بمكة في أول الإسلام مطلقة، وغير محددة نصابا ولا إنفاقا، وإنما ترك ذلك لشعور المسلمين وكرمهم وسخائهم.

وفي السنة الثانية من الهجرة، على المشهور، فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال، وبُيّنت بيانا مفصّلا.

وبما أن الزكاة فريضة مكتوبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فقد شدد الإسلام الوعيد على المقصرين فيها فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤)، وقال أيضا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، أما السنة النبوية الشريفة فهي مليئة بالأحاديث التي تذم مانعي الزكاة وتتذرهم شرا وتعدهم بالهلاك في الدنيا والآخرة(٣).

والذي يهمنا في هذا المقام أن نتبين مدى إسهام الزكاة في إصلاح الفرد والمجتمع، وقدرتها على خلق مجتمع متماسك مترابط ومتضامن نفسيا وسلوكيا، شعوريا وعمليا.

إن الزكاة التي تفرض على المسلم إنما هي تدريب له على العطف على المحتاجين من الناس، وإعانتهم ومساعدتهم على سدّ حاجاتهم الضرورية.. إنها تقوي في المسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين، وتبث فيه الإحساس بالمسؤولية تجاههم، وتدفعه إلى العمل على إسعادهم والترفيه عنهم.. إنها تعلم المسلم حب الآخرين، وإسداء الخير إليهم وإدخال الفرحة في أفئدتهم، وذلك يغرس فيه الشعور بالانتماء الاجتماعي، ويشعره بدوره الفعال في المجتمع، كما تدربه على بذل المال وصرفه في وجوه الخير وما ينفع الناس، فتطهر نفسه من دنس البخل والطمع والأثرة وحب الذات والأنانية وحب الجاه والقسوة

على الفقراء والأنانية، مما يجعله يشعر بالرضا عن نفسه.

إن الصفات والسلوكات السلبية لا تزول إلا بقدر بذل المسلم للشيء وبقدر استبشاره بصرفه إلى الله تعالى، لأنه ثبت علميا لدى علماء النفس أن حب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير أمرا اعتياديا.. ولعل هذا الأمر له أهمية كبيرة في الصحة النفسية.

وهي كذلك تزكي النفس أي «تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية، حتى تكون بها أهلا للسعادة الدنيوية والأخروية»(٤). فقد روى أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل من تميم سأله كيف ينفق ماله: «تخرج الزكاة من مالك فإنها طُهْرةٌ تطهّرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسكين والجار والسائل»(٥).

ومعلوم أن إنفاق المال لنيل رضا الله عز وجل في الدار الآخرة أشرف مما أنفقه أو ينفقه لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد، يقول الإمام الغزالي في هذا السياق: «لو عرف- أي الغني- فضل الفقر على الغنى، وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير، بل تمنى درجته، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام. ولذلك قال ﷺ: «هم الأخسرون ورب الكعبة. فقال أبوذر: من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالا... الحديث»(٦).

وتقوم الزكاة أيضا بتعويد المسلم أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأطيبه وأجله، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبا، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾(البقرة: ٢٦٧).

وحتى لا نقع في محظور، ونحن نؤدي ما أمرنا الله بإخراجه من أموالنا، أرى لابد من الإشارة إلى بعض الأدبيات المرتبطة بالزكاة، وقد عني بها شيوخنا العلماء عناية شديدة، ندع- في هذا السياق- الإمام الغزالي رحمة الله عليه، يبينها لنا في صورة موجزة:

- انتفاء النظرة الدونية إلى من تخرج إليهم الزكاة فـ«ما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله»(٧)، فذلك شكر النعمة التي أسبغها الله عليه، وهي عبادة مالية.

- الإسراع والتعجيل في إخراجها قبل أوانها المعلوم، إبداء للرغبة في الامتثال والطاعة بإيصال السرور والفرحة إلى أفئدة الفقراء، ومبادرة لعوائق الدهر أن تمنعه عن الخيرات.

- الإخفاء والإسرار والاحتراز والخلاص من آفات الرياء والسمعة ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٧١)، وهذا لا يعني أن إظهار الزكاة مع إخلاص النية لله عز وجلّ فيه إثم أو رياء، لكن يحبذ في بعض الأحيان أن تخرج ظاهرة ترغيبا للناس في الاقتداء، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (الرعد: ٢٢).

- مطلوب من المسلم، كذلك، ألا يفسد زكاته بأن يتبعها بالمنّ والأذى كأن يتكبر على الفقير لأجل عطائه، والتحدث به وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير، أو يعيره ويوبخه بالفقر، وتخشين الكلام وهتك الستر بالإظهار، وغيرها من فنون الاستخفاف، أو يعتبر نفسه أنه خير من الفقير، وأن الفقير لسبب حاجته هو أخس منه. قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

والزكاة في المنظور الإسلامي ليست- كما يدعي بعضهم- عملا فرديا، أو عملا موكولا إلى رحمة الناس، وليست مرتبطة بمدى استجابة الإنسان لعواطف الخير ونزعات البر، متى أراد التملص منها والتوقف عن أدائها كان له ذلك، فهذا ادعاء لا نصيب له من الصحة أو الواقع، ولم يجئ به الإسلام، ولم يقل به أحد من علماء المسلمين، بل هي اقتناع إيماني، وإشهاد قلبي على الفرض الإلهي، وهي كذلك أداء للواجب الديني المحتوم. فالإنسان المسلم ينبغي له أن يؤدي هذا الحق الرباني، وهو لا يجد في نفسه حرجًا أو نزعة امتعاض مما يخرجه من ماله الذي هو في الأصل مال الله. فالنفس عادة تجزع أن يؤخذ منها ولو جزء مما تحبه أو تملكه، كما أنها يخيل لها أحيانا أنها قد تُمنى بالفقر والإملاق بهذا الإنفاق. ولهذا كان الإسلام حكيما حينما اهتم بهذا الجانب المادي وعلاقته بالنفس البشرية، حيث أيقظ في نفوس الأفراد والجماعات عواطف الخير والبر، ولفت إليها مجالات التصدق والإحسان، ومجالات الإفاضة في عمل الخير، وحبب إليها فعل الخيرات والتسابق فيه، وبيّن لها أن ما تقوم به هو من قبيل مقتضيات العبودية وإخلاص النية والعمل لله عز وجل، وعلّمها كيف تتجرد من الماديات والطمع في غبش الدنيا وحطامها الزائل وتوظيفها في خدمة البشرية والإنسانية جمعاء. وحتى لا يزداد الإنسان عشقا وحبا للمال وحرصا عليه، نبهه الإسلام إلى مسألة جوهرية سقطت من حسبانه، تكمن في كون أن كل ما يملكه هذا الإنسان الضعيف الذي يطمع في الزيادة دائما إنما هو مستخلف فيه فقط، ومردّ ذلك كله إلى الله تعالى وحده، فهو الذي أغنى وأقنى، وأعطى وأمسك، وأضحك وأبكى، بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير، ينزع المال والملك ممن يشاء ويعطيهما لمن يشاء.

إن الإسلام بمجيئه بهذه الفريضة المباركة إنما أراد، فيما أراده، أن يؤسس لثقافة تربوية مادية واقتصادية تؤمن بها البشرية وتتربى عليها، وتمتثلها وجدانيا وسلوكيا، إذ من المعلوم أن أرقى

المجتمعات في النواحي المادية لا يخلو من وجود محتاجين وفقراء، فمهما ارتفعنا بمستوانا المادي فسيظل هناك أناس يحتاجون إلى معاونة ومساعدة، لذلك كان الإسلام حكيما ورحيما بفرضه الزكاة، حيث تجد فيها هذه المجتمعات الإجابة الشافية والكافية لهذه الآفة والمعضلة الاجتماعية التي تعاني منها، والحل السعيد لكل القلوب البائسة والعيون الحزينة. إنه مشروع إسلامي اقتصادي لطالما عرف تهميشا وإقصاء في مجال حل المشاكل الاجتماعية والمادية التي تتخبط فيها الأنظمة والبرامج الاقتصادية العالمية الآن.

وفي المنظور الإسلامي، أيضا، ليست مصارف الزكاة مقصورة على أفراد يحتاجون احتياجا ظاهريا، بل يوجد من هذه المصارف ما يتسع نطاقه وينفسح مداه إلى مسافات بعيدة من جهات الإصلاح ووجوه العمران، ولذلك يذهب بعض الفقهاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦٠) مذاهب واسعة، تجعل كثيرا من وجوه الإصلاح تدخل في هذا المصرف من مصارف الزكاة، وهو ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالإضافة إلى ذلك أنه ليس في الإسلام فرق بين الفقراء والمساكين من حيث الحاجة والفاقة، ومن حيث استحقاقهم الزكاة، فقد جاء في الحديث ما يدل على أن المساكين هم الفقراء الذين يتعففون عن السؤال، ولا يتفطن لهم الناس فذكرتهم الآية، لأنه ربما لا يُفطن إليهم، لتجمّلهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف»، اقرأوا إن شئتم: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣)، وفي لفظ: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس تردّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطن له، فيُتصدّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»(٨).

و عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا، ويعذّبهم عذابا أليما»(٩). لأن من مقاصد الزكاة في الإسلام كفالة الفقير وسدّ حاجته، فيعطى من الصدقة القدر الذي يخرجه من الفقر إلى الغنى، ومن الحاجة إلى الكفاية، وعلى الدوام، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا أعطيتم فأغنوا.

وبهذا الفهم الصحيح للزكاة نكون قد أخرجنا هذه الفريضة مما هو شائع لدى عوام الناس كونها لا تتعدى دريهمات تخرج على الفقراء لا تفي لسد لقمة يوم واحد، ومنحناها، في مقابل ذلك، وظيفة سامقة تليق بما أحاطها الله عز وجل من مكانة وتقدير.

لو يعلم المرء ما للزكاة من عائدات خيرات وبركات وتمكين ورحمة تفوق بأضعاف مضاعفة لا تعد ولا تحصى، لما تباطأ وتهاون عن أدائها، ولتمنى لو تكون له خزائن ينفق منها أبدا دون انقطاع. قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١).

وفي الحديث عن أبي كبشة الأنماري، أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدّثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زاده بها عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»(١٠).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزّ وجلّ يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربّيها لأحدكم كما يربّي أحدكم مُهرَه أو فَلُوّه أو فصيله، حتى إن اللقمة لتصير مثل جبل أحد» (١١). قال وكيع: وتصديق ذلك في كتاب الله قوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (التوبة: ١٠٤)، ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

وصفوة القول: إن الزكاة شرعها الله لتكون عبادة مالية خالصة مخلصة لوجهه وفي سبيله، ليعلم عباده كيف يترفعون عن الأحقاد والأضغان والمعاداة، ولذلك جعل الله فريضة الزكاة فرصة للإخاء والصفاء والتنزه عن الخلاف والاعتساف والخصومة، والتطهر من كل أسباب التمرد والانحراف.

وقد جعلها الله تعالى، أيضا، مناسبة لتجميع الأمة وتأليف قلوبها، وتوحيد صفوفها وتقوية شوكتها، كما يريد سبحانه لهذه الأمة أن تكون متكافلة متضامنة، تبدو كتلة واحدة إذا تحركت بأجمعها، لأن كل جزء منها ملتئم مع بقية الأجزاء ومرتبط بها، ومن هنا صور الرسول ﷺ الأمة بهذه الصورة الرائعة: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (١٢).

الهوامش:

١- لسان العرب ١٤/ ٣٥٨.
٢- لسان العرب ١٤/ ٣٥٩.
٣- تنظر في هذا الشأن كتب السنن.
٤- فقه السنة للسيد سابق ١/ ٣٢٨.
٥- المرجع السابق ١/ ٣٢٩.
٦- الإحياء ١/ ١٩٨.
٧- الإحياء ١/ ١٩٥.
٨- رواه البخاري ومسلم.
٩- رواه الطبراني في الأوسط.
١٠- رواه الترمذي.
١١- رواه أحمد والترمذي وصححه، والمهر والفلو: ولد الفرس، والفصيل: ولد الناقة.
١٢- رواه البخاري ومسلم.

الدكتور حسنين محمود.. الأصولي الفقيه في ذمة الله

التحرير

يعد الدكتور حسنين محمود حسنين واحدا من أعلام الفقه والأصول في العصر الحديث، وهو فقيه مالكي، وأصولي محقق، يتسم بالدقة والتحرير، والتواضع والحكمة.

ولد الدكتور حسنين محمود في القاهرة ١٩٣٨م، والتحق بالأزهر الشريف، وحصل على مرتبة الشرف الثانية – الليسانس من كلية الشريعة في جامعة الأزهر عام ١٩٦٦، وحصل على درجة الماجستير في أصول الفقه عام ١٩٦٨، كما حصل على مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع رسالة الدكتوراه في أصول الفقه –أيضا– من جامعة الأزهر عام ١٩٧٤م.

تلقى علومه من جلّة من كبار العلماء في الأزهر الشريف ومشايخه، واستفاد منهم في المجالين العلمي والعملي.

ومن أبرز مشايخه الذين تلقى منهم العلم، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالخالق، والشيخ الأستاذ الدكتور جاد الرب، والأصولي الشيخ أبو النور زهير وغيرهم.

وقد عرف عن الشيخ جده أثناء طلب العلم، ودوام مناقشته ومراجعته لمشايخه في بعض المسائل العلمية حتى كان البعض يظن أنه يظهر علمه لهم.

وقد عرف عنه جرأته في المناقشات العلمية حتى إنه لم يكن يهاب شيوخه في بعض المسائل العلمية مع توقيره لهم وإنزالهم منزلتهم.

كما كان دائم الذكر لهم في المجالس العامة والخاصة حتى آخر أيامه –رحمه الله.

وقد كان الشيخ شغوفا بالعلم والتدريس،

فقد عين معيدا ومدرسا مساعدا في جامعة الأزهر في الفترة من عام ١٩٦٦ إلى ١٩٨٦، ومدرسا بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر عام ١٩٧٤، ثم أستاذا في جامعة الإمارات في عام ١٩٨٩، ثم انتقل إلى كلية شرطة دبي عام ١٩٩٠، ثم انتقل إلى جامعة الكويت أستاذا عام ١٩٩٢، ثم عُين فيها رئيسا لقسم الفقه والأصول عام ١٩٩٤، وعمل رئيسا لمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية لمدة عامين، وذلك سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.

وكان الشيخ –رحمه الله– نموذجا للأستاذ المعلم والمربي، فقد كان يفتح بيته لطلابه، ويتواصل معهم في الليل والنهار، وعرف عنه جوده وكرمه مع طلابه.

قالت عنه إحدى طالباته: «أفضاله علينا كثيرة، كان ضعيف السمع، لكنه قوي الحجة والمناقشة وحب العلم، درست عنده في المرحلة الجامعية والماجستير، كنت أستشيره في مسألة فيعطيني من وقته الكثير ثم يتصل علي بنفسه ليضيف ما ظهر له، عالي الهمة، قال لي مرة: ما سبب غيابك يا ابنتي؟ فقلت: كان زفافي بالأمس. فقال: والله يا ابنتي توفي ابني ودفنته بيدي وحضرت محاضراتي في اليوم نفسه!».

وقد مارس الإمامة والخطابة، وكانت له مشاركات في الحلقات الإذاعية، والمؤتمرات العلمية، بالإضافة إلى الإشراف على العديد من الرسائل العلمية.

وقد اهتم الشيخ الدكتور حسنين محمود بالإفتاء، على المستوى الرسمي من خلال عضويته في هيئة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، وعلى مستوى التواصل مع عموم الناس في البلاد التي عاش فيها.

ولم يشغله العمل في التدريس والاهتمام بالإفتاء والخطابة عن التصنيف والكتابة العلمية، فقد شارك في الكتابة في الموسوعة الفقهية الكويتية، كما كان المرجع الرئيسي في لجنة الموسوعة الأصولية التي تقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإعدادها.

ومن أهم آثاره العلمية:

القواعد الأصولية وأثرها في حكم الربا، ومصادر التشريع الإسلامي، وبحوث في الأدلة المختلف فيها، ومباحث الحكم عند الأصوليين، والترقيع الجلدي، والعرف والعادة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، وغيرها من البحوث والكتب.

توفي –رحمه الله– في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٣ في الكويت عن عمر يناهز خمسة وسبعين عاما، ودفن في القاهرة.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٨)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

كلما أعرق الباحث النحرير في استجلاء سمات الفصاحة، وأغمض النظر في استكناه قرارها المكين؛ أيقن أن القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة يعدان واسطة عقدها، والشعر العربي البليغ درة تاجها، بينما يأتي كلام الأبيناء الذابرين لنظم جواهرها في عقد يري الناظرين جودة البهاء، وحسن الصفاء، وكمال النقاء. هذا هو الحق الأبلج الذي ليس له رد، وتلك هي الموارد العذبة النميرة، التي كان أسلافنا يضربون إليها آباط الإبل للظفر بكل الصيد في جوف الفرا، لا تلحظ أي نبْوة في ما ينشئون من ألفاظ تتنزل في المكان الذي يقتضيها، حتى رسخت لديهم ملكة الفصاحة، كما يرسو الحديد في الماء، لشدة إلفهم بلغتهم، وتعظيمهم لها، وإعلان حبهم لها، وكراهيتهم للحن فيها على هذه الشاكلة: ذكر أن خطيبا أورد في خطبته عبارة «ومن يطعهما» أي طاعة الله ورسوله، فقال له الرسول ﷺ: بئس الخطيب أنت، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل: «أحق أن يرضوهما» إذ لا يحق إشراك أي أحد مع الله في الطاعة، ولو كان الرسول ﷺ. وفي حادثة أخرى يروى أن الفضل بن الربيع سمع تقريع الخليفة هارون الرشيد له فقال: لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله، فبادر الرشيد إلى تقريعه مرة أخرى قائلا: أخطأت في كلامك يرحمك الله، لو قلت: وأستغفر الله، لكان صوابا، وإنما يحمد الله على النعم. بل إن أهل مكة كانوا يفتخرون على أهل البصرة بفصاحتهم، فرد عليهم الشاعر محمد بن مناذر البصري قائلا: «أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها موافقة؛ فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم. وأنتم تسمون القدر: برمة، وتجمعون البرمة على برام. ونحن نقول: قدر، ونجمعها على قدور. وقال الله عز وجل: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾. وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت: علية، وتجمعون هذا الاسم على علالي. ونحن نسميه غرفة، ونجمعها على غرفات وغرف، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾، وقال: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾، وأنتم تسمون الطلع:

الكافور، والإغريض. ونحن نسميه: الطلع. وقال الله عز وجل: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾(١).

هذا كلام لا يقوم له أحد، ولا يقنع من الإعجاز إلا بالكلمة القرآنية المنمصة البليغة، التي دخلت رياض البلاغة فاجتنت أنوارها وأثمارها، كلما رام أحد من الأولين والآخرين أن يساويها تساميه، وأن يجاريها تباهيه. فما بالنا اليوم- بأخرة- لا نرعى لها حرمة، ولا تجري بها ألسنتنا المستلبة، ولا تطوع بها أفئدتنا ومَعدُنا التي ألفت أمشاج العاميات، وشوب اللغات الأجنبية، نتساهل في هجر ألفاظه، ونتسابق في تحريفها عن مواضعها، كما مر معنا في الحلقات الآنفة. أليس لهذا الليل الأليل من نور يبدد حلكته الدامسة؟ أما آن لهذا الوهن، وتلك السوءة السوآى أن يسفرا عن يقظة تعيد للعربية ماضيها الأمجد، وتصنع لها حاضرا أكمل وأرحب، وتدبر لها مستقبلا يعد بعشقها، لأن في العشق قدرة عجيبة على استمالة أبنائها، فلا يجدون عنها محيصا؟ أسئلة كثيرة بدأت الإجابة عن بعضها تلوح في الأفق العربي الذي يعد ربيعه بكثير من التحولات التي تطول شؤون السياسة والمجتمع والثقافة والمعرفة واللغة. وما هذه الورقة اللغوية سوى فلج من الفوالج التي يرجى لمياهها المدد الكافي حتى تصبح واديا يمد الأرض العربية العذية بالأمواه اللازمة لإنماء مشروعاتها، ومن بينها مشروع «لننهض بلغتنا» الذي أعلنته مؤسسة الفكر العربي، في بنودها الخمسة عشر، التي إذا بوشرت بالمترهية والحذاقة اللازمتين، فإنها بلا ريب ستحدث طفرة في المشهد اللغوي العربي؛ طفرة أساسها العودة إلى الينابيع الثرة التي ضمنت للفصحى إشراقها وكمالها، بحثا عن الدرر المحجوبة التي تنتظر من يشق عنها كمها، فيريها في أبهى معرض وأحسن منظر؛ من دون تجاهل دنيا الناس، وما يتعاورونه من ألفاظ تقف بين صراط الفصحى واللهجات، يهذبونها حتى تلطف، ثم يضيفونها إلى حظيرة الفصحى؛ تتقوى بها في أثناء تسمية الصنائع والبضائع الجديدة التي يتفتق عنها الزمن العربي، الذي فرضت عليه العولمة أفكارا وممارسات وقيما مخالفة ومدهشة تعد بالآمال العريضة التي تتطلب حصافة توضح غثها من سمينها، وتميز بين أسمائها وكناها وألقابها، كما كان الأوائل يضعون حدودا فاصلة بينها، وكانوا يتصدون لكل من يريد أن تكون اللغة فوضى من غير نظام. هذا ما جرى عليه العرب طوال القرون الأولى. أما تسمية العرب أولادها بالشنيع من الأسماء، التي تبدو كأنها ألقاب مثل: كلب، وحجر، ومرة، وضرغام، ثم صخر... فلأنها كانت تسمي أبناءها لإخافة أعدائها، ولذلك كانت أكثر أسمائهم تشعر بالخوف والرعب، فلما جاء الإسلام غير هذه العادة، كما غير كثيرا من المطرات. يروى عن رجل من الأنصار أنه قال: فينا نزلت الآية التي يقول فيها تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ...﴾ (الحجرات: ١١)، وذلك أن النبي ﷺ قدم علينا وليس منا رجل إلا له لقبان أو ثلاثة، فجعل بعضنا يدعو بعضا بلقبه، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فجعل هو أحيانا يدعو الرجل ببعض تلك الألقاب، فقيل له: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾(٢). هذا ما كان في الجاهلية، حيث كان اللقب يدل على المدح أو الذم، فلما نزلت تلك الآية قرنت اللقب بالنبز والذم. قال الشاعر الحماسي:

أكنيه حين أناديه لأكرمه

ولا ألقبه والسوءة اللقب

الكنية غير الاسم واللقب، فإذا ثبت أن الاسم علم يدل على ذات معينة مشخصة من دون مدح أو ذم، مثل: أحمد، وعلي، وعبد الله، وأسد، ثم فرس... فإن الكنية علم مركب تركيبا إضافيا يكون صدره من الكلمات الآتية: (أب، أم) أو (أخ، أخت) أو (ابن، بنت)... وقد يكنى الصبي تفاؤلا، «وفي الحديث: كنوا أولادكم. قال عطاء في تعليل ذلك: مخافة الألقاب. وعن عمر: أشيعوا الكنى فإنها سنة»(٣). قال الجاحظ في البيان والتبيين: هناك من له كنيتان: إحداهما في السلم، والأخرى في الحرب، مثل قطري بن الفجاءة؛ خطيب الخوارج الذي كان يكنى في السلم أبا محمد، وفي الحرب، أبا نعامة. وقد وردت بعض الكنى دالة على التحقير والذم بكيفية ضمنية تعريضية مثل: (أبو لهب، وأم الدواهي، وبنت طبق...)، أما اللقب فكان يدل على المدح أو التحقير بلفظ صريح مقصود، «وكل قسم من الأقسام الثلاثة السالفة قد يكون مرتجلا أو منقولا، مفردا أو مركبا، إلا الكنية فإنها لا تكون إلا مركبة»(٤).

بهذه الجَرْدة يتبين أن الأوائل يضبطون من الفروق بين الكلمات؛ ما يخطئه المعاصرون حين يوردون في بعض الوثائق الإدارية ما يأتي: «الإسم واللقب: ....» مع كتابة الاسم بهمزة القطع متناسين أن (الاسم) من الأسماء العشرة التي لا تكتب بهمزة القطع، وأن اللقب أصبح مخصوصا بالتحقير والنبز والذم، وهو منهي عنه شرعا، لذلك فالصحيح الفصيح القول: الاسم والنسب. هكذا من دون همزة القطع. كما أن قولهم: فاز الفريق باللقب... قول لا يمكن أن يكون سليما موافقا للمراد حتى يلج الجمل في سم الخياط. لذا فالصحيح الفصيح قول: فاز الفريق بالمسابقة، أو: فاز الفريق بالدوري...

هذا ما أدى إليه الاحتلاط والانتجاث والاعتيام. أرجو أن أكون قد وفقت في بلوغ حق اليقين، الذي يعقله الذين يتجالسون بالقرآن الكريم، ويتذاكرون به، ويثورونه، لأجل إبادة كثير من العادات والمطرات التي بقيت عالقة بدنيا الناس.

الهوامش

١- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق وشرح حسن السندوبي، الجزء الأول، ص ٣٨، ط ٤، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢- الصاحبي، أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: أحمد صقر، ص ١٠٨، ١٠٩، دار إحياء الكتب العربية.

٣- كناشة النوادر، عبدالسلام محمد هارون، ص٢٥، دار الطلائع.

٤- النحو الوافي، عباس حسن، الجزء الأول، ص٣٠٨، ط ٥، دار المعارف بمصر.

عش.. بالتفاؤل

التحرير

أقام منتدى الأدب الإسلامي في المركز العالمي للوسطية مجلسه الأدبي الشهري، وسط حضور جماهيري غفير من محبي الأدب الهادف.. والذين امتلأت بهم أروقة القاعة.

وانطلقت الفعالية تحت عنوان «عش بالتفاؤل» للخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حمد عيسى الكندري، والذي استهل كلامه متحدثا عن المردود الإيجابي الذي يتركه التفاؤل في حياة الإنسان، وما يبعثه في النفس من النظرة السوية للكون والحياة.

وقال: من الضروري أن يعيش الإنسان لحظته، فلا يغتم لأمر الماضي، ولا يحزن لأمر الحاضر، ولا يقلق لأمر المستقبل حتى لا تتكدر حياته، لأن حال المؤمن الرضا بقضاء الله وحسن الظن واليقين به.

وأوضح السبب وراء اختياره لهذا العنوان كونه وليد الإعجاب الشديد بمعناه الطيب وعمقه الجميل، وحاجتنا اليوم لأن نعيش هذه المعاني الرقيقة، خاصة في ظل وطأة الحياة وقسوتها.

واستطرد الكندري موضحا الأبعاد التربوية والسلوكية، والمردود الإيجابي الذي ينعكس من وراء تعقل الإنسان لأمور الحياة، والذي يضبط به سلوكه، فيزن الأمور دون أن يتخوف من النتائج.

وتوقف بالحضور لبعض الوقت عند مجموعة من المعاني اللطيفة التي اشتملت عليها أبيات كوكبة من الشعراء العظام، كالمتنبي وإيليا أبي ماضي وأبي تمام، والتي جاءت لتركز على قيمة التفاؤل، وأثر الابتهاج على النفس، وما ترمي إليه من انتقاء الأطايب في كل الأمور، والابتعاد عن المنغصات.

وقال الكندري: إن السبيل الوحيد للبهجة يكون بطريق الكلمات الجميلة والألفاظ الشريفة التي تفعل في النفوس ما لا يفعله غيرها، خاصة أن للكلمة الطيبة دورا في التاريخ الإنساني، كذلك لها فضلها ودورها في عصر النبوة.

واستعرض كيف وصل القرآن الكريم إلى عقول وأفئدة الناس وأسر قلوبهم لسحر ألفاظه، وجودة معانيه، بالكلم الطيب، فكان سر إعجازه، لافتا الى أقوال علماء النفس والاجتماع، لبيان قوة الكلمة كونها تعدل أضعاف القوى الأخرى، لأنها تمس الروح والقلب.

وختم الكندري بحاجة الإنسانية الماسة إلى تمثل هذه اللطائف التي تهذب الطباع، وتروض النفوس، وتنبذ العنف، وتطرد عنها شبح الانتقام، لبناء جسور من الأمن والسلم الاجتماعي في كل المجتمعات، ثم بعدها فتح الباب أمام التعقيبات والتعليقات من الحضور.

أم العرب

جاك صبري شماس
شاعر سوري

عصماء ترفل بردة القرآن ... وتسيل شهدا في فم الأزمان
تختال زهوا في ملاحم عبقر ... وتهل نشوى في بليغ معان
وشمت على جيد النخيل تليدها ... وشدت فخارا في بني «قحطان»
وتبوأت بين اللغات مكانة ... عظمى تزين منابر الأوطان
تنساب نهر شمائل ومآثر ... وتفيض تقوى بالسنا الرباني
شماء تورق رفعة ونباهة ... وتخط سفر المجد والفرقان
وسعت كتاب الله في إعجازه ... وتجودت بروائع الألحان
جذلى يطرز ضادها نور الضحى ... وله اليراع وريشة الفنان
سل ما تشاء عن العروبة إنها ... درر ترصع جبهة الفرسان
تسمو على كل اللغات بثروة ... لغوية جادت بسحر بيان
حفلت بأرباب الرجاحة والنهى ... وتسيدت شمما ذرى الأكوان
عركت خطوب الدهر وهي منيعة ... وتحصنت برسالة القرآن
تزهو انتشاء في المدائن والقرى ... وتضوع طهرا في ابتهال أذان
أودعتها طربا بمهجة شاعر ... عشق التراث «وسورة» الإنسان

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ

محمد السعيد الشيخ
قاص وشاعر

تتسامى نفسه علوا في الهمة إلى ما لدى الله، ورقيا عن فاني هذه الحياة..

إنه «حسين سالم» هو للفضل أسبق، وبالخير أوثق، وبالثواب أخلق. وحقا ما يقال: إن أشرح الناس صدورا، وأسعدهم قلوبا، وأطيبهم نفوسا هم أهل البذل والعطاء، تصديقا لقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ..﴾ (النحل: ٩٧).

سكن أحد الأحياء الشعبية، والتاذ بمعظم ساكنيه، يدرس حالتهم ساعيا لخيرهم، داعيا لعطائهم؛ اقتداء بحديث رسول الله ﷺ: «من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر».

يقابله «وليد» أحد شباب الحي، يبلغه عن حالة أسرة بائسة تسكن أعلاه، ورغم ما يحدوه من شك في سلوكاته وصالح توجهاته، فقد أثار فيه نخوة العطاء التي جبل عليها، فهو سباق بالنوال، ولا يلجئ الفقير إلى ذل السؤال.. فيعده أن سيزورها مساء الغد.

يصعد حسين إلى الشقة من منعطف جانبي على سلالم ضيقة متآكلة الأطراف، وذات انحناءات حادة، فإذا هي غرفة واحدة مسقوفة بألواح خشبية نخر فيها السوس، خالية من أبسط الضرورات المعيشية.. فرغم برودة الجو فإنه لا فراش يذكر، بطانية مهترئة، غطاء لا يدفئ، وخرق بالية متناثرة في أرض الغرفة كالرميم، يقلب عينيه بين مراء صادمة لتنقلب حاله ذهولا عاتيا.

انقلب الذهول إلى مرارة حين سمع أنينا بشريا كتيما، ما حرضه على الاقتراب من مصدره؛ استقصاء للأمر.. ويا للأسى!

يجد طفلا هو هيكل عظمي ألقته أمه في قفص، منزويا بركن في مطبخ خرب هو ملاذه، والطفل الثاني تدوي صرخاته بهدير موار توحي سلوكاته بتخلف عقلي.. وتنهره الأم بقسوة بالغة، وكأنما حرمها الله من عاطفة الأمومة السخية وإيثارها الباذل.

ظل «حسين» يترصد مرائي الفقر المهين الذي يتنفس على ملامحهم المهدودة.. ما أفعم نفسه كمدا!

وإذا كان الألم والمعاناة أمرا حتميا لمن يمتلك روحا حانية وقلبا كبيرا، فقد خرج حسين مكتئب الخطى، تنازعه مشاعره بصواعق وجدانية.. وقد أخذ رأسه بين يديه من الدوار، يقلب كفيه حسرة.. ونام ليلته مؤرقا..

يهب لصلاة الفجر قاصدا المسجد، عاجزا عن لملمة أحاسيسه، تمور جوارحه بحزن ملتهب، وعقب الصلاة يغالبه البكاء وينهمر النشيج، فالتف المصلون حوله يستطلعون الأمر، ليحكي دامعا ما شاهده بالأمس عن حال تلك الأسرة التي تفتقد أيسر أسباب الحياة.

أقبل عليه الشيخ عبدالرحمن إمام المسجد، والذي عانقت نسائم الإيمان روحه، آخذا يده بين يديه يسائله.. فانهمر النشيج حارا، ما أثار مشاعره لحث الحاضرين على البذل في سخاء، مذكرا بحديث الرسول ﷺ:

«تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله آخذ بيده كلما عثر».
وبعظاته المتوهجة المنيرة تدافع المصلون بالعطاء.. ولما كان مسؤولا عن جمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها.. فقد تعهد لحسين- بعد أن أعطاه مبلغا مناسبا- أن يصرف لهم راتبا شهريا، إلى جانب متطلبات المعيشة والعلاج.
وكان لأحد المصلين ابنة تعمل في جمعية خيرية، فذهبت مع أختها لتستطلع الحقيقة، فأذهلها حالها، وعادت تحكي بالعبرات ما رأته، وكانت فرصة جديرة باستقطار الرحمات، فانثالت العطايا من فرش وأغطية ومواد غذائية.
وينوي الشيخ عبدالرحمن مزيدا من العطاء، فيطلب من حسين حضور الزوج بعربة للمسجد لأخذ المزيد من الزكاة.
ويذهب «بكر» إلى المسجد - وليته ما ذهب - يسأله الإمام عن حاله.. فيزعم- في كبرياء مصطنع- أنه يعمل على العربة التي معه، وأنه يكسب يوميا خمسين جنيها، فيعجب الإمام ويساوره الشك، ويتوقف عن منحه ما انتواه من زكاة.
يعلم حسين بكذب بكر مندهشا مبتئسا، وحار في خلده سؤال ملغز:
لماذا يحرم أسرته؟ ويقصد هذا الإغداق الخيري الوفير.. ويقابله مستاء معاتبا، فكثيرا ما يراه جالسا على ناحية الشارع يقضي معظم وقته مدخنا فارغا سبهللا.. يرد عليه «بكر» بامتعاض مقطبا ما بين عينيه: إنه حاقد على زوجته، ينوي قتلها، وينفجر ملتاعا، شاكيا تمنعها عليه واهتمامها بجارها «وليد»، والتي ادعت في معرض حديثها لحسين- وبوقاحة- أنه صديق، مع أنه لا صداقة بين رجل وامرأة.. يجالسها السكن في خلوة شرعية!! فلا حياء يردع، ولا ضمير يمنع، ما أطلق مارد شك زوجها من عقاله.. هذا إلى جانب نار الغيرة التي كانت سببا في أن تشعل زوجة وليد النار في نفسها لتموت حرقا.
ويحكي له ما يشي بأن جارهم «وليد» هذا يعيش لذاته وللذاته، يعب من الملذات المتاحة وغير المتاحة، وكم صوب إلى صدر زوجته خناجره المسمومة، من ألفاظ ممقوتة ونعوت مشينة، حتى أثقل الهم هامتها، وتشققت وديان وجهها، والذي كان قبل مرضها يجذب العيون بفقره وجماله الذابل وراء غلاف من الإهمال والتعاسة، فلم يبق منها سوى بقايا امرأة.
فمرضها بالأنيميا أدى إلى نحافتها، فلا دواء ولا غذاء، وبدلا من رعايتها والإشفاق عليها أضحت مثار سخرية زوجها وعلى الملأ؛ بأنها نسيت نصفها، يقصد نصف جسمها، عند أهلها، ويناديها: «يا مسلولة.. يا عمشة!».. كلمات كوخز السكين، أثارت امتعاضا مأساويا لديها، في الوقت الذي يبدي اهتمامه بزوجة بكر، والتي برغم فقرها يجري في وجهها ماء الشباب، يوشي مظهرها بإمكانات أنثوية ثرية، جذابة الملامح إلى حد الفتنة.. كانت بسماتها الشائعة لجارها «وليد» بصمات شائكة لزوجته ولزوجها بكر.
وإذا كان الدين في النفس فطرة، والفطرة في طبيعة الإنسان نعمة، فقد كانت حياة «بكر»، هذا الذى ادعى العمل بخمسين جنيها يوميا، صدى لفراغ رهيب لا يعصمه عاصم من صحوة إيمانية أو ومضة عاطفية.. شخص قد انتكست فطرته إلى حد يستوجب إعادة التأهيل إنسانيا، فهو مغيب عن الوعي، وغياب الوعي أمرّ مذاقا من الفقر، وأثقل وطأة من الجهل.
يقابل حسين جار الأسرة «وليد» ليخبره في امتعاض بما قاله بكر لإمام المسجد، فيجيبه بابتسامة ماكرة حاول سبر أغوارها بلا جدوى، مختصرا إجابته في خبث موجز: «كرامته.. يا أخي!!» يعدل حسين عن المراء كاظما غيظه، موقنا أن الصمت المتعالي أبلغ رد على الكلام الأجوف، ويحس أنه قد غرر به من هذا المارق الأفاك.
يحكي حسين لإمام المسجد ما عرفه عن وضعية هذه الأسرة المنتكسة أخلاقيا قبل النكسة المعيشية، وأنه يزعم أن «وليد» هذا، والذي صدقت فيه فراسته، قد اتفق مع الزوجة «عبير» قبل زيارته لها أن يجردا المسكن من معظم محتوياته، وينقله إلى شقته أسفلها، ويستبدلها بخرق مهلهلة، بما يؤكد مزيدا من بؤسها، حيلة صاغوها وصنعوها لتكون مدعاة لمزيد من التعاطف.
يعقب الشيخ عبدالرحمن مزكيا سلوك حسين النابع من قوة إيمانه، والمؤمن صادق مصدق، وأنه مثاب من الله لصفاء نيته؛ فالأعمال بالنيات.
تعليقا على بكاء حسين ونشيجه، جراء مأساة تلك الأسرة، أشاع البعض همزا ولمزا، ويعلق الشيخ عبدالرحمن بأنه قد ارتبطت دموع الرجل بالضعف والعيب وعدم اللياقة كأعراف اجتماعية، لتظل «اللالياقة» هذه معششة في الأذهان، رغم أننا- رجالا ونساء- أمام الشجن إنسان واحد، وأمام الحاجة للعزاء والسلوان واحد، وكذلك أمام الراحة بعد انفجار العبرات في المآقي.. ورحم الله قيس بن الملوح حين قال:

وليس الذي يجري من العين ماؤهـــا

ولكنهـــا نفس تذوب وتقطر

تعاود «حسين» خواطره الحائرة حول «بكر» هذا.. حين علم بدخوله السجن، فهو كمن يبحث عن الاكتئاب ليقع في براثنه، وليته يتقي الله ليجعل له مخرجا.. فرغم شراهته في التدخين، فما بين إصبعيه الوسطى والسبابة في يده اليمنى صفرة واضحة تشي بتاريخه «السجائري» العريق.
رغم هذا يتجه إلى تعاطي المخدرات، فهو كمن يكافح نار الغضب بمواد قابلة للاشتعال، ويلجأ للتجارة فيها ليتكسب ثمن إدمانه.. ما أدى به إلى دخول السجن.
تلجأ زوجته إلى «حسين سالم» تتسوله استئناف العطاء، والتي كانت سلوكاتها سببا غير مباشر، وسدا منيعا لانقطاعه، حينئذ وبيقين شاف كاف أعرض عنها، وقد مسه طائف شيطاني بمقولة: «يظل الكلب كلبا، ولو طوقته ذهبا». واستغفر الله في عقبها.

قصة قصيرة

بسمة

محمد عباس
قاص مصري

ذلك البريق الذي يشدك إليه، يدفعك دفعا لتغوص في حدقتيه، تبحث عن سر تلك البسمة التي يتألق طيفها واضحا جليا خلف ثنايا نظراته.. بسمة نابعة من أغوار عميقة في وهاد عينيه، لا تعرف كيف ولا من أين نبعت لتلوح على محياه..

ذلك البريق شدني، جعلني أتساءل- كلما رأيته- عن سر تلك البسمة، وهل هي أصيلة في ملامحه، أم إن عاصفة حزن قد تجيء فتجعلها نثارا لا كيان له.. إلى أن سمعت بخبر وفاة ولده، شملني حزن داهم جثم بثقله وسواده على براح الصدر، هزني ألم المفاجأة لكونه شابا مازال، لم أملك إلا الاسترجاع (إنا لله وإنا إليه راجعون)، وقررت فورا الذهاب للعزاء، الوقوف إلى جانبه في الملمات؛ مرضاة للرب سبحانه، وهو في الوقت ذاته سنة محمودة، و.. رأيت خاطرة تلج رأسي، تشد أذني إلى وقعها، وتحرك بوصلتي في اتجاهها..كيف سيبدو وجهه الآن؟

لا أعرف، هل هي رغبة خبيثة؟ أم هو مجرد فضول مشروع في حدود تساؤل مسموح به من الأخلاق؟ أم هو ربما شعور دهمني تجاه ذلك الوجه الذي لا يعرف العبوس؟

عيناه كلما لاقيتها تقيدني إليها، تشدني إلى حدقتيه ببسمة نابتة في أعمق أعماق نظراته، يبدو الوجه مشرقا ببهاء تلك الأشعة المنبثقة من العيون.. والتي تولدها تلك البسمة التي تكمن في أعماق ملامحه، فلا هي بانت جلية على براح شفتيه، ولا هي توارت عن ملامحه تاركة خلفها مشاعره اللحظية مثل بقية الوجوه.

حاولت التنصل من تلك الرغبة، والتبرؤ من وجودها أصلا بفضاء رأسي، دون جدوى، توكلت على الله وتحركت قاصدا سرادق العزاء.

ختم المقرئ القرآن، صمت أخطبوطي كبل بأذرعه الفولاذية الألسنة، لم يعد هناك إلا أعين قد دهمها حزن جارف، تتبادل النظرات الباهتة في تسليم، الملامح أديمها يعلوه سواد الأحزان، يكسوه ظلام الشجون، تتحرك الأجساد للخروج من السرادق، أتحرك معها، أمد يدي إليه معزيا، وهو يقف بصفته والد المرحوم في أول الصف، أرفع عيني إلى عينيه، الوجه ملامحه تبدلت، تغضناته تعمقت، نحوله ازداد، واصفراره تعملق، إلا عينيه.. رأيت فيهما نورا يفيض، في عمق هذا النور ومن بين أغواره العميقة يبزغ طيف بسمة- مازالت- تتألق واضحة جلية خلف ثنايا نظراته، شددت على يده بقوة وأنا أتمتم بكلمات روتينية رأيتها تليق بالمناسبة، لم يبال بسماعها، وإن شد على يدي بهدوء، وسحب يده مديرا وجهه عني استعدادا لعزاء آخر، غير أنني أبقيت يده بقوة في قبضة يدي، قلت بصوت عال: ألهمك الله الصبر..

عاد بملامحه الجديدة التي اكتست تغضناتها بدموع من نبع عينيه الذابلتين، من أعمق أغوار بحيرة الأحزان في حدقتيه، كانت هناك خيوط رقيقة لذات البسمة تتشابك مع خيوط الدمع لترسم على محياه لوحة من نور وظلمة، وهو يهمس بيقين: الحمد لله!!

أنا والشتاء

آيات الحسن
أديبة شابة

كنت جالسة مستغرقة في التفكير... فسمعت صوت طقطقة ترتطم بنافذتي، كان صوتا أشبه بقرع الطبول الإفريقية، ركضت لأرى من أين يأتي؛ فإذا بصوت يدق النافذة دقا متقطعا، نظرت فإذا هو صوت المطر... وقفت لأستمتع قليلا بذلك الصوت، الذي كلما أغمضت عيني وأصغيت ذكرني بلحظات جميلة عشتها في حياتي..

فالمطر الأول مرحلة انتقالية جميلة تأتي ما بين الصيف والشتاء... هي حبيبات مائية ينتظرها الناس بعد حرّ وجفاف طويلين... وفيها يحس الطفل بالمتعة حين يتبلل لأول مرة من أمطار السماء وتبقى في ذاكرته... فهي كضيف جديد يحلّ في البلدة ويخرج الناس جميعًا لاستقباله.

تلك الزخات المباركة التي تنقي الفضاء من الغبار والدخان الذي يخلفه الإنسان، وتجعل السماء زرقاء صافية....

وكلما زادت تلك الزخات علا الصوت أكثر فأكثر...أردت أن أغلق النافذة ولكن! فوجئت بالمطر يكلمني، قال: انتظري قليلا، لا تغلقيها... نريد التحدث إليك...

فعجبت من قوله: «نريد»؟ وسألته أمعك أحد آخر؟

قال: نعم، البرق والرعد، وكلنا نريد التحدث إليك.

قلت: ماذا تريدون مني؟

سألني: هل تشعرين بالفرح عند قدومنا؟

أجبته: بالتأكيد، ففصل الشتاء هو المفضل عندي.

فرأيت زخاته تكثر فعرفت أنه فرح بجوابي... خفضت رأسي قليلا، وبدت ملامح الحزن على وجهي، فانتبه وقال: لماذا أرى علامات الحزن على وجهك؟

قلت: الرعد...نعم الرعد.. صوته يخيفني جدا، مع أنني أعلم بأن الشتاء لا يكمل من دونه، وأعرف بأنك والبرق لا يمكنكما المجيء من دونه، فهل تستطيع أن تعطيني بعض النصائح لأحبه، وأتمكن من سماعه دون وجل؟

فرح لكلامي، ورشني ببعض قطراته وقال: سأعطيك تشبيها سيجعلك وكل من يرانا يستمتع برؤيتنا وسماعنا، فتوجهت إليه ببصري وسمعي وانتباهي...

فأكمل قائلا...:انظري إلينا...إلى فصل الشتاء... كأنه درس لك يعلمك فيه أغلى الأمور، فقلت متشوقة: ما هو هذا الدرس؟ وما هي تلك الأمور؟ تبسم وقال: بهدوء، كلمة...كلمة كي تفهمي وتستوعبي، وتروي لغيرك .

افرضي أن السماء والبساتين والمزارع التي تحدثت عنها منذ قليل هي أنت، وكل الأمور التي تحدث فيها سببها عقلك، قلبك، هواك، ونفسك، سواء أكانت أمورا حسنة أم سيئة، مفرحة أم محزنة، مضحكة أم مبكية، كل تلك الأمور التي تحدث أنت سببها، ولكنك لا تعرفين كيف تتعاملين معها بحكمة وعقل سليمين، فهل تعرفين الدواء لكل ذلك؟ أجبت بسرعة: لا، ما هو؟ فردّ: الإيمان، نظر إلي يتوقع مني قول شيء، ولكني لم أنبس بكلمة، ثم أكمل: لنفترض أن الأرض هي أنت، وأننا نحن جزء من الإيمان.

اعتبريني الاستغفار والتسبيح...

والبرق هو النور الذي كلما ظهر يذكّرك بأنك على الطريق الصحيح...

والرعد هو حدود الشرع التي لا يمكنك تجاوزها...

فآتي أنا وأُنزل زخاتي، فأبدأ بتنظيف الفضاء وتنقيته، وأغسل الأرض، وأسقي الزرع، لكي ينبت ويكبر، ويغني صاحبه بعد حين، كالاستغفار والتسبيح يبدأ بتنظيف قلبك وعقلك وينقيهما ويصفيهما، ويسقيهما لكي ينبت الخوف من الله، ويزداد إيمانك به، وتقواك له، ويكبر، ويغنيك بعدها، ويضبط لك نفسك وهواك، ويبعدهما عن ارتكاب الأخطاء والمعاصي.

ويظهر البرق ليريك ويفرحك بأنك على طريق الهدى، على الصراط المستقيم، ويفاجئك الرعد بصوته المدوّي ليذكرك بأن الدين له حدود، فإياك ثم إياك وتجاوزها، ثم يأتي صوته مرات عديدة... لكي لا تنسي ذلك.

انتهى من حديثه ونظر في عيني وقال: ما رأيك بما قلت؟

مرت ثوان عديدة وأنا أنظر إليه متأملة في كلامه، وهو مستغرب من سكوتي، فقلت له: والله لقد أدهشني هذا التشبيه الرائع...ثم نظرت إليه وقلت: ولكن هناك شيء يحيرني! قال: ما هو؟ قلت: لماذا إذا تلك الفيضانات والسيول التي تُحدِث خسائر بشرية كثيرة وخسائر مادية هائلة؟ فأجاب بحزن: لك كل الحق بأن تحزني لحصول ذلك، ثم سكت للحظات وقال: ألا ترين إلى البشر ماذا يفعلون؟ إن الله سبحانه وتعالى له الحكمة، يريد أن يمتحن الذين آمنوا ليذكرهم بأنه على كل شيء قدير، وبأن لا يغفلوا عن أنه واحد أحد، صمد، بيده كل شيء، وينبههم على أن يعبدوه وحده لا شريك له، يسبحونه ويستغفرونه، يخشونه ويخافونه، يدعونه صبحا وعشية، كما أنه سبحانه يعاقب الذين كفروا لكفرهم وإعراضهم.

استأذن المطر بعد ذلك... وقال: حان وقت راحتي، فلدي عمل كثير لأقوم به... فما زلت في بداية فصل الشتاء.

الحياة مدرسة

إحسان الدبش
باحث تربوي

هل تعلم أيها الإنسان وأيها المسلم أنك تنتمي إلى:

- «مدرسة» وأن هذه المدرسة ينتمي إليها كل إنسان على الأرض من ذكر وأنثى، من فتى وشاب وشيخ، من غني وفقير، من عالم وجاهل، من حاكم ومحكوم؟!

يعيش الإنسان في هذه الحياة في مدرسة، تبدأ أيامها وفصولها وسنوها منذ مطلع طفولته إلى لحظة الوفاة! وحياة الإنسان يمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

الأولى، من الولادة حتى الرشد- البلوغ- حيث توجد امتحانات في الدنيا، وأما في الآخرة فلا يحاسبه ربه- جل جلاله- على ذنوبه وأخطائه حتى يبلغ.

قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يغلب عقله، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم» (رواه البخاري).

الثانية: حيث وجدت امتحانات في الدنيا، وجزاء في الدنيا والآخرة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت: ٤٦).

- هذه المدرسة «ليس لها مكان وزمان محددان»، وليس لها موقع خاص، ولا بناء خاص، لكنها موجودة حيث يوجد الإنسان، لا دوام معين ولا مقاعد أو ألواح، لكنها موجودة في حياة الإنسان في كل مكان وكل زمان، في كل دقيقة وكل ساعة وكل يوم.. وكل العمر.

- هذه المدرسة «بناؤها وباحاتها وصفوفها» في هذه الحياة الدنيا، في البيت والعمل، في الشارع والحديقة، في السفر والحضر في السوق ووسائل النقل.. هذه المدرسة تشمل عالمنا الخارجي وكل ما حولنا، وعالمنا الداخلي.. أنفسنا التي بين جنبينا.. هذه المدرسة تبدأ أيامها وفصولها ومراحلها وسنوها منذ مرحلة الإدراك وحتى الوفاة.

- لها «مالك» يملكها ومن فيها (رب العالمين سبحانه وتعالى)، لا نقارن بينه وبين أي مدير مدرسة على وجه الأرض- سبحانه وتعالى- رب العالمين هو الذي يقرر النجاح والرسوب لطلاب هذه المدرسة، كل بحسب اجتهاده.

وليس ملكه فقط هذه الأرض ومن عليها، إن ملكه كما يقول جل جلاله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الروم: ٢٦). ﴿ٱللَّهُ

خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾(الزمر: ٦٢).

- لهذه المدرسة «منهاج»، مطالب كل إنسان على الأرض بالإيمان به وقراءته ودراسته والعمل به (القرآن والسنة)، هذا المنهاج شرعه رب العالمين، خالق الناس، العالم بأحوالهم، فهم بحاجة إلى دراسة هذا المنهاج دراسة جادة وعميقة؛ لفهمه ومعرفة ما يحتويه من نور وهدى.. هذا المنهاج تبيان لكل شيء، شامل لجميع مناحي الحياة، متضمن لمواد مختلفة في العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق والقضاء والاقتصاد والسياسة ونظام الحرب والسلم.. المنهاج الذي لا يطلب منا أن نؤمن به نظريا وإنما يطالبنا أيضا بالتطبيق العملي.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (البقرة:٨٢).

الكلمات الأربع الأولى من الآية (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مكررة في القرآن الكريم قرابة إحدى وخمسين مرة، مع عدد غيرها من الآيات الكثيرة التي تحث على العمل بمقتضيات الإيمان. ومادة العقيدة أو الإيمان أهم مادة فيه، لأنها تدعو إلى عبادة الله وحده، منذ خلق آدم- عليه السلام- إلى الآن، ومن الحاضر إلى المستقبل البعيد.. ما بعد الموت والبعث والنشور والحساب والجزاء والمصير.. من آمن به وجب عليه قراءته ودراسته والعلم به.

كلما ارتقينا في التطبيق زادت علاماتنا، وارتفعت بالتالي حسناتنا، وكنا من الفائزين.. هذا المنهاج يعرفنا به منزله جل جلاله بقوله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ (إبراهيم:١).

- هذه المدرسة لها «دوام»، الدوام كامل خلال أربع وعشرين ساعة، في أوقات العمل والراحة والطعام والتنقل والتسوق واللهو وفي أي ظرف.. باستثناء ساعات النوم.

- لها «مدرسون» يعلمون الناس المنهاج بمجمله وتفاصيله، الرسل والعلماء العاملون والدعاة المخلصون، ومن سار على نهجهم في كل زمان ومكان.

- ولها «امتحان» في كل لحظة من ساعات كل يوم، والامتحان يقال له ابتلاء ويقال له فتنة، هذا الامتحان بين الإنسان وبين نفسه، وبينه وبين أهله، وبينه وبين زملائه، سواء كانوا زملاء عمل أم أصدقاء، وبينه وبين الناس في الطرقات، وفي أي مكان آخر، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ (العنكبوت:٢).

- ولها «مراقبون للامتحان» قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ (ق:١٨)، ملك عن اليمين يسجل ما يتكلم وما يعمل من حسنات، وملك عن الشمال يكتب ما يتكلم وما يعمل من سيئات.

- أما «نتائج الامتحان» ففي نهاية العمر تجمع الحسنات جميعا والسيئات جميعا، فإما ناجح إلى الجنة.. وإما راسب إلى النار.. ومن تعادلت حسناته مع سيئاته يكرمه ربه فيدخله الجنة، الناجح يأخذ كتابه بيمينه والراسب يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره ثم يقرأ كتابه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ (الإسراء: ١٤).

- وأخيرا «الحساب» وهو حساب عسير.. فلا يستطيع المحاسب الغش والخديعة والتحايل وسرقة المعلومات، ويتبرأ الذين اتبعوا قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ (المدثر: ٣٨).

ولا توجد وساطات: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ (طه: ١٠٩)، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (المؤمنون: ١٠١).

- وأما «الشهادة» فليست لوحات تعلق على الجدران، وإنما بادية على الوجوه. ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ (آل عمران: ١٠٦-١٠٧).

احرص أخي المؤمن على أن تدرس المنهاج وتطبقه بشكل جيد، خاصة وأن المنهاج يتألف من مواد كثيرة تتناول شؤون الحياة جميعها.

(مادة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) هي أهم مادة، بها يتقرر مصير الإنسان.

ومن هذه المواد الهامة: الصلاة، الصيام، غض البصر، بر الوالدين، النصح للناس، مقاومة النفس الأمارة بالسوء، الأمانة، الصدق، طاعة الزوج واحترامه، التواضع وعدم الغرور، الحرص على الوقت، مسك اللسان عن الغيبة والنميمة، حفظ المال.. أي اتباع كل ما أحل الله واجتناب كل ما حرم.

تدرس وتعمل جيدا لكي تفوز وتنجح، وتحصل على مجموع حسنات أكثر من السيئات، بشرط ألا ترسب في أهم مادة (لا إله إلا الله) وطريق الفوز كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب:٧١).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس وضرورة إرسال البريد الالكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة و الالكترونيه.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

الوعي الإسلامي

نظم المعلومات.. والرقابة الشرعية في الشركات

د. سلطان السهو
دكتوراه في المحاسبة

يعد التطور الذي حدث في الشركات الإسلامية بالانتقال من الطرق التقليدية في العمل المحاسبي إلى الطرق الحاسوبية، تغييرا نحو الأفضل، سعت إدارة الشركات إلى تحقيقه، وصولا إلى تحقيق ما يعرف بالجودة الشاملة.

وتعد نظم المعلومات المحاسبية إحدى استراتيجيات التغيير التي تنتهجها إدارة الشركات، لتحقيق مستويات جودة أعلى في مستوى الرقابة الشرعية الداخلية.

ونظم المعلومات: هي مجموعة من العناصر المترابطة، والمؤلفة من الأفراد والإجراءات والآلات والمعدات التي تعمل على توفير المعلومات اللازمة للإدارة، للإسهام في عملية اتخاذ القرارات، وكذلك تعمل على تقديم المعلومات، كالمساعدة في إجراء العمليات اليومية، وتتكون من عدة نظم فرعية مرتبطة مع بعضها البعض، وتعمل على تزويد الإدارة والمستفيدين بالمعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات، ومباشرة القيام بالمهمات المنوطة بها، كما تسهم في الرقابة الشرعية الداخلية.

وتعتبر بنية الرقابة الشرعية الداخلية خط الدفاع الرئيسي للوقاية من إعداد التقارير المالية المنحرفة، إذ تبرز أهمية الرقابة في أنها تكشف مواضع الخلل والضعف في تطبيق معايير المحاسبة والمراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية.

والرقابة الشرعية: هي عبارة عن فحص مدى التزام المؤسسة بالشريعة في جميع أنشطتها، ويشمل الفحص العقود والاتفاقيات، والسياسات المحاسبية والمنتجات، والمعاملات، وعقود التأسيس، والنظم الأساسية، والقوائم المالية، والتقارير، وخاصة تقارير المراجعة الداخلية.

هذا وعلى الرغم من دور المعلومات المحاسبية في تحقيق رقابة شرعية داخلية فاعلة في الشركات؛ فإن أهمية وملاءمة المعلومات تعد شرطا لتحقيق فاعلية الرقابة الشرعية الداخلية للشركات، مع ضرورة الاهتمام بالمعلومات الملائمة في عملية اتخاذ القرارات بدقة وسهولة، وسرعة كافية في عمليتي إدخال واسترجاع المعلومات، وتوفير قنوات اتصال تضمن فهم معايير المحاسبة والمراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية.

مكتبة السقاط..
وقف خيري في خدمة البحث العلمي

بشرى شاكر- المغرب

أنشئت مؤسسة محمد السقاط الخيرية في المغرب سنة ٢٠٠٥م كمؤسسة ذات منفعة عامة تعنى بالوقف الخيري الإسلامي، ولها العديد من المشاريع الخيرية، لعل أبرزها المكتبة الجامعية محمد السقاط بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء.

«الوعي الإسلامي» زارت المكتبة للوقوف على هذا الصرح الثقافي والمعرفي الخيري، الذي يصب في مصلحة البحث العلمي والحفاظ على التراث.

وضع الملك محمد السادس حجر أساس المكتبة الجامعية محمد السقاط في أبريل ٢٠٠٦، وافتتحت ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٩، وقد بلغت تكلفة هذا المشروع قرابة ٥٢ مليون درهم.

وأسهمت مؤسسة السقاط في تجهيز المكتبة، التي تعد من أهم المكتبات بالمغرب، والتي تسعى إلى وضع رصيد وثائقي مهم رهن إشارة الباحثين والطلبة، من خلال «الرقمنة» الإلكترونية، فضلا عن صيانة التراث الثقافي للمملكة..

إلى جانب تبرع الحاج محمد السقاط- يرحمه الله- حسب وصيته بمخطوطات نادرة عددها ٥٥٠ مخطوطا، و٦٠٠ كتاب ومطبوع حجري ليتوغرافيا- وهي المخطوطات التي خصص لها جناح خاص وفقا لمواصفات ومعايير دولية- وبتكلفة بلغت مليون درهم؛ لضمان حفظ هذا الإرث التراثي النفيس.

بنيت مكتبة السقاط الجامعية بمواصفات عصرية على مساحة سبعة آلاف متر مربع، وتتألف من ستة طوابق، يضم كل واحد مجالا معرفيا وعلميا معينا.

وتحتوي المكتبة الجامعية على أربعين ألف وثيقة، وخمسة عشر ألف مجلة إلكترونية، إضافة إلى أكثر من ١٠٠ قرص مدمج، وقسم خاص بالإعلام والصحافة، يضم عناوين متنوعة من المجلات والجرائد العربية والأجنبية، وعشرة آلاف مؤلف مطبوع بطريقة برايل لفاقدي البصر.

كذلك تضم قاعات للمطالعة ١٢٠ مقعدا مجهزا بأحدث المصادر والمراجع التي تغطي جميع ميادين

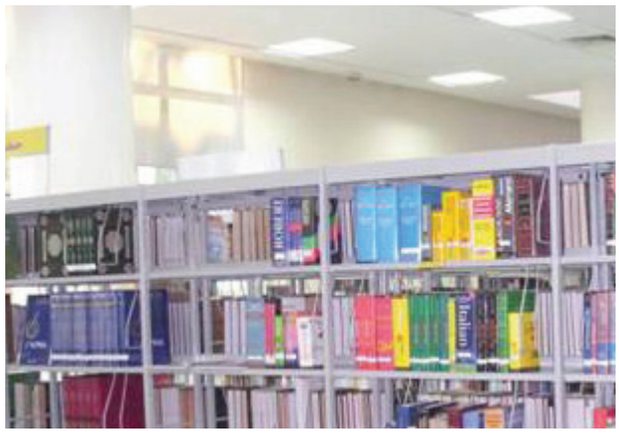

المعرفة في الدين والشريعة.. من لغات وآداب وعلوم وفن واقتصاد وقانون وغير ذلك.

بالإضافة إلى قاعة مجهزة بأحدث الوسائل المرئية والسمعية عالية الجودة، تتسع لأكثر من ١٥٠ شخصا، صممت لاستضافة اللقاءات والندوات والملتقيات الوطنية والدولية؛ بغرض الإسهام في تطوير البحث العلمي في المغرب.

هناك أيضا قاعات التكوين الوثائقي، حيث يركز نشاطها على البحث في قواعد المعطيات الإلكترونية والتعامل مع أحدث مصادر المعلومات المرجعية.

وفي المكتبة فضاء خاص بالحاج محمد السقاط، وهو رواق يضم مكتبه وكرسيه الخاصين، ومجموعة كتب أيضا، وقاعة للاجتماعات، وقاعة للندوات والمحاضرات، وبعض صور له كذلك.

وقالت مديرة المكتبة سناء الدكالي: إن جميع أجنحة المكتبة مفتوحة أولا لطلبة جامعة الحسن الثاني بمؤسساتها الثمانية وهي: كلية الحقوق والاقتصاد، كلية العلوم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الطب والصيدلة، كلية طب الأسنان، المدرسة العليا للأساتذة، مدرسة المهندسين، المدرسة العليا للتكنولوجيا.

رواج منقطع النظير

وأبدت الدكالي سرورها الواضح لكون السنة الجامعية ٢٠١٢-٢٠١٣ لقيت رواجا منقطع النظير، ففي خلال ثلاثة أشهر فقط، ارتفع عدد المسجلين في المكتبة إلى ٥٠٠٠ طالب، وهو رقم كانت المكتبة تسجله خلال عموم السنة، بامتلاء ٩٠٠ مقعد للجلوس في المكتبة بأكملها طيلة الأسبوع، كما أن المكتبة تتلقى ٦٠٠٠ زيارة أسبوعيا، كما أكدت أن هناك زوارا للمكتبة من أبعد المدن المغربية.

عالم المشاريع والمقاولات

وأوضحت الدكالي أن المكتبة لها بعد اجتماعي واقتصادي أيضا، من خلال انفتاحها على عالم المقاولات والمشاريع، ولذلك فهي تستضيف بشكل دائم مركز المقاولين الشباب ومركز مقاولاتي، وتهدف هاتان المؤسستان- من خلال وجودهما داخل المكتبة الجامعية- إلى المشاركة في تعزيز العلاقات التي تربط بين الجامعات والمقاولة، وحث الخريجين على إحداث مقاولات شابة، ومساعدتهم في فهم آليات الاستثمار في مجالات تخرجهم.

أما عن الجديد لهذا الموسم، فتقول الدكالي: إن المكتبة أبرمت شراكة مع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية؛ من أجل «رقمنة» جميع مخطوطات الحاج محمد السقاط، بما فيها المخطوطات الحجرية، وهو ما تم بالفعل بنسبة مائة بالمائة، ولم يتبق إلا وضع الآليات لإيداعه الموقع الرسمي للمكتبة، وهكذا يمكن لجميع الباحثين والطلبة مراجعة هذه المخطوطات النادرة بشكل واضح وكأنه يراها أمامه.

البوابة الإلكترونية

بوابة المكتبة الإلكترونية تسمح للباحث بالاطلاع على فهرس كل الكتب والمخطوطات الموجودة من بيته أو مقر عمله، من خلال برنامج بروكسي دون الوجود بالمكتبة.

وتنظم المكتبة مجموعة لقاءات وندوات حول مواضيع معاصرة وأكاديمية في نفس الوقت، تخص جميع الاختصاصات، كما تنظم ورشات تكوينية لتسهيل اعتماد البرامج الرقمية للباحثين، من أرشيف وبحث عن المراجع إلى غير ذلك.

هذه المبادرة الخيرية التي أثمرت وقف المكتبة الجامعية محمد السقاط، هي عمل نموذجي لصيانة التراث الفكري والعلمي، كما يعد تعريفا وامتدادا للحضارة المغربية وكذا الأندلسية.. ولذلك فإنها شجعت أشخاصا آخرين على عدم الاحتفاظ بكنوزهم التراثية ومخطوطاتهم حبيسة خزانات شخصية، وإيداعها في مكتبة السقاط؛ لتمكين عموم الباحثين من الاستفادة منها.

لهذا قام بوشعيب فوقار، وهو عامل مقاطعات الحي الحسني بمدينة الدار البيضاء، بالتبرع بالرصيد الوثائقي لمكتبته الغنية لفائدة المكتبة الجامعية، وقام بالمثل عبدالسلام المنصوري، وهو مستشار سابق بالمجلس الأعلى للقضاء، إذ تبرع بمجموعة نادرة من المخطوطات والكتب أيضا.

الخروج من الورطة التربوية

عبدالرحمن ضاحي
باحث تربوي

كان يحفظ ولده القرآن، وفجأة أصابته الحيرة عندما سأله الولد عن معنى «ولا يزنون».. نزل عليه السؤال كالصاعقة، كيف يجيب عن هذا السؤال طفلا لم يتجاوز عمره التاسعة.. أيزجر الولد عن ذلك التساؤل، أم يتجاوزه ويغير الموضوع ويلفت انتباهه لشيء آخر؟!.. وحتى لو شرح له الأمر.. كيف سيدرك ابن التسع سنوات ذلك الأمر المعقد، وهل إدراكه لمثل هذا الأمر سيضره، حيث إنه علم ما لا يعنيه أم سينفعه حيث إنه علم سر الحياة؟!..

أسئلة أبنائنا المحرجة الخاصة بالجنس موقف تعرض له أغلبنا، وسوف يتعرض له الكثير أيضا.. ولعلها تطرح كسلوك طبيعي وفطري من الأولاد نظرا ليقظة عقولهم. وانتباهنا للتربية الجنسية الصحيحة يوفر علينا مزيدا من الإحراج والارتباك وتفادي المشاكل التي من الممكن أن يقع فيها الولد نتيجة لإهمال تلك الجزئية المهمة في عملية التربية.

تعريف التربية الجنسية

«هي المعلومات المتعلقة بالجنس وتتصل بالغريزة وترتبط بالزواج، التي يجب مصارحة الولد بها في إطار قيمي وأخلاقي وشرعي، وبطريقة مناسبة لعمره، لبناء قواعد صحيحة تضمن صحة تعامله مع الأمور الجنسية بطريقة سليمة».

أو «إمداد الفرد بالمعلومات العلمية، والخبرات الصحيحة، والاتجاهات السليمة، إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به النمو الجسمي الفسيولوجي والعقلي الانفعالي والاجتماعي، وفي إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع؛ مما يؤدي إلى حسن توافقه في المواقف الجنسية، ومواجهة مشكلاته الجنسية مواجهة واقعية، تؤدي إلى الصحة النفسية».

أهمية التربية الجنسية

تكمن أهمية النشأة المعرفية الصحيحة عن الجنس وأموره في تأسيس قواعد وتصورات صحيحة تجنب الولد الوقوع في انحرافات أو أذى أو اعتداء، كما تجنبه أن يكون فريسة للمعلومات المشوهة التي من الممكن أن يستقيها من مصادر غير مسؤولة وخاطئة تزيد هذا الأمر تعقيدا وتضلل الولد.

فعلى المستوى الشخصي قابلت من الشباب من لا يعلم شيئا عن الاستحداد، وقد وجب عليه منذ سنين، وآخر عندما احتلم أراد الذهاب للطبيب! وثالث لا يعلم معنى الجنابة ولا كيفية التطهر منها، بل ورابع اتصل بي مصدوما حينما علم من صديقه عن كيفية الاتصال الجنسي الذي به يكون الولد.

«إن عدم توعية الولد لنموه الجسدي وتطوره خاصة عندما يصل لمرحلة البلوغ قد يجعله فريسة للمعلومات الخاطئة المشوشة التي قد يسمعها من الآخرين أو الخرافات والأوهام، وقد يعرضه أيضا لاستغلال من يتعرض له بالأذى أو الاعتداء.. لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للتحفظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا؛ لأننا إذا لم نقم بذلك، فهناك أسئلة ملحة في عقولهم يجب أن يجاب عليها، وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يملأ فضولها» (ألف باء الحب والجنس، د.ليلى الأحدب).

كما أن الواقع الذي نحياه في ظل التقدم التكنولوجي المخيف يفرض علينا تحديا صعبا، فبضغطة زر واحدة يكون الولد في وسط العالم بكل سهولة ويسر تتلقفه أمواج الفساد، وإن لم يكن محصنا ضدها فسيغرق في إحداها والعياذ بالله.

كيف تعامل الإسلام مع الجنس؟!

اشتمل القرآن الكريم على تفاصيل الحياة عموما ولم يسقط منها شيئا، ومن الأمور التي شملها الأمور المتعلقة بالجنس وأحكامه.

يقول الدكتور عبدالله ناصح علوان في كتابه تربية الأولاد في الإسلام أنه «يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة، بل أحيانا تكون المصارحة واجبة إذا ترتب عليها حكم شرعي».

ويضيف «إن طمس معاني هذه الآيات القرآنية يتنافى مع التربية الإسلامية القويمة، ويتناقض مع شمولية الإسلام وعظمته ومراعاته للفطرة، أما إذا تم شرحها للناشئ بأسلوب قريب لفهمه وإدراكه، وملامس لحيائه في فطرته، فإن هذه الثقافة الجنسية لها ثمرات كريمة بأن تعلي من شأن دينه وصلاحيته لكل زمان ومكان».

فديننا في التعامل مع الجنس وسط بين الإباحية البغيضة والكبت المرض، فالجنس في حياة الإنسان المسلم غريزة وفطرة وضرورة

لاستمرار الحياة يحكمها إطار شرعي وأخلاقي، وهو ليس أمرا سيئ الذكر أو قذرا.

إرشادات تربوية

١- تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾ (النور: ٥٨)

٢ – يجب على المربين والآباء والأمهات تعليم الولد الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي قبل أن يشرف على البلوغ وينضج جنسيا. كما يجب تعليمه أحكام الاحتلام، وكيفية التطهر من الجنابة، والفرق بين المني والمذي والودي، إضافة إلى سنن الفطرة المتعلقة بهذا الأمر، كالاستحداد ونتف الإبط. كما أن الفتاة يجب أن تصارحها أمها بأمور الاحتلام والحيض وأحكامهما الفقهية. وهنا أمران يجب الإشارة إليهما:

أولهما أن المصارحة بتلك المعلومات يجب أن تكون قبل حدوثها، كي لا يتعرض الولد أو البنت إلى صدمة من رؤية هذه التغيرات ويقدرها تقديرا خاطئا، فكم من ابن ظن أن احتلامه مرض! وكم من بنت ظنت أن حيضها نزيف!

ثاني إشارة هي إدراج النصوص الشرعية اثناء شرح هذه المعلومات، لكي تصل إلى ذهن الأبناء على أنها فطرة الله، وإخراجها من دائرة «العيب» و«الحرام».

«فالتربية الجنسية للطفل يجب ألا تترك للصدفة، بل لا بد أن تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة، وعندما يكبر الطفل ويصبح في مقتبل سن المراهقة تعطى له معلومات واضحة عن الجنس السليم ومخاطره إذا انصرف الفرد وانساق وراء نزواته» (التربية ودورها في تشكيل السلوك، د.مصطفى محمد الطحان).

فيجب التوعية ضد الانحرافات الجنسية وأضرارها وأحكامها، فذلك يعد من أعظم الوسائل الإيجابية للبعد عن هذه الانحرافات، فالوقاية خير من العلاج.

٣- يجب فتح الطريق أمام الولد ليطرح أسئلته، وعدم إشعاره أن مجرد السؤال في تلك الأمور من باب العيب أو الحرام، كي لا نزيد علامات الاستفهام حول تلك المنطقة في ذهنه، فيحاول استقاء معلوماته من جهات مغلوطة، فـ«حاول ألا تعطيه انطباعا أن الأمور الجنسية أمر معيب بالضرورة، أو تعطيه الانطباع أنك لا تسمح له بالحديث في مثل هذه المواضيع. وحاول أيضا من طرفك أن تتكلم معه بالطبيعة التي تتكلم معه بها في قضايا الحياة الأخرى» (ألف باء الحب والجنس، د.ليلى الأحدب). كما يجب الإجابة على كل أسئلة الولد المحرجة التي يطرحها، وعدم التهرب منها بإجابات غير صحيحة لا تزيد الأمر إلا تعقيدا مثل «وجدناك على باب المسجد» وما شابهها. والمصارحة تكون حسب العمر والاستيعاب، فعند سؤاله عن كيفية وجودنا في هذه الحياة، من الممكن تقريب الأمر له عن طريق شرح طريقة التلقيح في النبات، وأنه لا ثمرة بغير تلقيح كما أنه لا حمل إلا بهذا الاتصال الجنسي، ووضع الأب بذرة تجعل الطفل ينمو في بطن الأم، وهكذا حتى تكمل عنده الصورة. فحاول قدر استطاعتك أن تكون إجاباتك بسيطة ومباشرة وصحيحة غير معقدة.

٤ – هناك خطأ يرتكب من قبل الوالدين في اعتقادهما أن تلك المعلومات تعطى للولد على دفعة واحدة، لكي يتم الانتهاء من هذا الواجب المزعج. والأمر الصحيح أنه يجب إعطاء الولد المعلومات على دفعات بطرق متعددة، فتارة من كتاب، وتارة أخرى من درس في المسجد، وثالثة من الأهل، كي تترسخ في ذهنه تدريجيا، ويتم استيعابها وإدراكها بما يواكب نموه وعقله.

وأخيرا وليس آخرا

التحفظ والكذب في الإجابة على استفسارات أبنائنا لم يعد لهما مكان في قاموس التربية في الوقت الحاضر، لا سيما في ظل الانفتاح الذي نحياه، فالأسئلة الملحة تدور في عقولهم، وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يملؤها الفضول، فالواجب أن نتجنب في تربية أولادنا تلك الثغرات قدر المستطاع.

أسرتك سر سعادتك

د/ خالد سعد النجار
استشاري طب الأطفال

من منا لا ينشد السعادة في الدنيا والآخرة؟ ومن منا لا يسعى إليها سعيا حثيثا؟ كل حسب رؤيته وميوله وقدراته ورغباته.. فهذا سعيه للمال، وذاك سعيه للجاه، وآخر سعيه لانتهال اللذات، والكل يغدو ناشدا السعادة والهناء، وفق من وفق، وخاب من خاب.

لكن أي قيمة للسعادة بعيدا عن منزل هادئ نظيف، وزوجة رائعة طيعة، وأطفال تتدفق البراءة منهم كتدفق قطرات الماء العذب في جدول الربيع؟.. هل يمكن لنفس سوية أن تستشعر السعادة وسط ضجيج الأسواق وتوتر البورصات ومعارك النفوذ والمناصب وصخب السهرات والانغماس في الملذات دون حسيب ولا رقيب؟!.

إن السعادة لا تعني إلا السكن والاسترخاء بعد يوم كد وعمل، والسعادة لا تزيد عن رغبة ملحة في العودة لرحاب أسرة يتوقف في أجوائها ضجيج الحياة وعنف الانفعالات ومعاناة التوترات، والسعادة هي السكن والمودة والرحمة الزوجية التي جعلها الله تعالى آية من آياته، فقال جل ذكره ممتنا على عباده: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

قال المفسرون: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ والسكن إلى شيء هو نقيض التحرك، والمعنى: إنكم تتحركون من أجل الرزق طوال النهار، ثم تعودون للراحة عند زوجاتكم، فالرجل عليه الحركة، والمرأة عليها أن تهيئ له حسن الإقامة، وجمال العشرة، وحنان وعطف المعاملة. فالمسؤوليات موزعة توزيعا عادلا، فهناك حق لك هو واجب على غيرك، وهناك حق لغيرك وهو واجب عليك.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ بعد أن لم يكن سابقة تعارف يوجب التواد، فالزوجان يكونان من قبل الزواج متجاهلين فيصبحان بعد الزواج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل الزواج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة.

ويقول الشيخ محمد عبده عن الزوجة: «وهي منه بمنزلة البعض من الكل، وألزم له من الظل، وصاحبته في العز والذل، والترحال والحل، بهجة قلبه، وريحانة نفسه، وأميرة بيته، وأم بناته وبنيه».

والمودة من أبواب المحبة التي تتضمن التمني مع اتخاذ الأسباب الموصلة إلى المحبوب، وعلى العكس، فهروب الزوج من عش الزوجية لابد أن يكون له من الأسباب والمبررات ما يقض مضجعه ويذبح سكينته، فيجد نفسه مضطرا لأن يبحث عن سعادته وراحته في موطن آخر غير القفص الذهبي والعش الوردي. منهم من يبحث عن السعادة على المقهى أو في النادي أو في دور السينما، ومنهم من يهرب هروبا داخليا فيدمن الجلوس على الإنترنت أو أمام شاشات الفضائيات،

ويكون «الحاضر الغائب».. حاضرا بجسده غائبا بروحه وفكره.

لكن يبقى للروتين الزوجي العامل الأكبر في هروب السعادة الزوجية، ومحاولة كل طرف بالبحث عنها خارج إطار الأسرة وهيهات أن يجدها.. إن النفس ملولة وتعشق التجديد، ورتابة الحياة الزوجية لا تروق لها بحال من الأحوال، وإن للزوجين دورا في ترسيخ هذه الرتابة بين جنبات المنزل عندما يتخلى كل واحد منهما عن محاولة إنعاش الأحداث، وتجديد المواقف، وإعادة ترتيب العلاقة بينهما.

فكما أن من مسؤوليات الزوجية توفير متطلباتها واحتياجاتها المادية، أيضا من متطلباتها الحفاظ على أجواء الود والتآلف، فالزوج عليه أن يخرج عن نمطيته المعتادة بإشاعة جو الدعابة من حين لآخر، والخروج للتنزه سويا، ولا ننسى أيضا جلسات تعليم الصغار أمور الحياة التي يتخللها مواقف اللطف والمرح، كتعليم الأطفال الوضوء أو الصلاة أو فنون الرياضة والإنشاد بصورة عملية أمام أفراد الأسرة، فضلا عن المسابقات والقراءة مع الصغير ومطالعة المجلات المصورة والفضائيات الهادفة مصحوبة بالتعليقات من كافة الأطراف.

إن اقتطاع رب الأسرة جزءًا من وقته خاص بأسرته يطرح فيه التكلف الزائد والأوامر الصارمة كفيل بأن يدعم جسور التواصل، ويملأ أركان البيت بالبهجة والسعادة، بل ويحسن من مزاجه النفسي، ويحرره من ضغوط الحياة التي لا تنتهي.

أما الزوجة فنكاد نجزم بأن جل مفاتيح السعادة الزوجية بيدها، بحكم أنها ربة هذا المنزل وقيمته، والمسؤولة عن كل كبيرة وصغيرة فيه، وبحكم أنها رئيسة «الجبهة الداخلية» في الحياة الزوجية.

إن اعتناء الزوجة الزكية بمظهرها وجوهرها له بالغ الأثر في استقرار حياتها الزوجية، فضلا عن نظافة بيتها وإعادة ترتيبه كل فترة لإضفاء شكل جديد عليه يقتل النمطية التي تصيب الأبصار بالسآمة والملل، والزوجة الذكية تحسن السيطرة على مفاصل بيتها، وضجيج صغارها، خاصة وقت تواجد الزوج المتعب الذي ينشد الاسترخاء والراحة.. إن أهم ما يؤثر في الزوج ويجعله أسير الحياة الزوجية أن يحوز الاهتمام الكافي من قبل الزوجة التي تنجح في إضفاء وضع خاص للمنزل عند عودة الزوج المتعب المكدود من عمله، وهذا يشمل جهوزية الطعام الذي يحبه، واختفاء ضجيج الأطفال عبر وسائل أعدتها الزوجة مسبقا كجلوسهم حول برامج الكمبيوتر الهادفة، أو الأفلام التربوية الشيقة التي تحجم من فرط حركة الصغار لحظة راحة الزوج واسترخائه.

ومن الأمور التي تروق للزوج «المبادرة بتلبية رغباته» حتى قبل أن يطلبها بلسانه، كسرعة إعداد الشاي بعد الغداء، أو تقديم الفاكهة التي يحبها، أو توفير الجريدة التي يفضل قراءتها، أو اختيار القنوات التي تروق له.. مما يشعره بأنه سيد مطاع، وضيف مرغوب في قربه وتواجده، فالحب ما هو إلا تعبير وتطبيق، ونكران الذات في سبيل راحة المحبوب، وأحب شيء للرجل هو شعوره بأن له مكانة خاصة في قلب زوجته وحياتها، وأنها تبذل كل هذا الود والاهتمام تقديرا لجهده وامتنانا بفضله.

أما السياج الآمن الذي يجعل زوجك أسير منزله، وسعيد زمانه، فهو مشاركته في هواياته والأنس به في حواراته، وفتح قلبه لك في جلسات ودية حميمة يبوح كلاكما بمكنونات صدره وسوانح أفكاره وآرائه وطموحاته. والنبي العدنان ﷺ - بأبي هو وأمي- سابق عائشة فسبقته وسبقها، وحاورها وحاورته في جلسات ودية تمثل نموذجا راقيا لمن ينشد السعادة الزوجية.

كما أن الزوجة الذكية تعرف كيف تتحاور مع زوجها ومتى، واللحظة التي عندها تطلب أو ترفض أو تخالف أو تعترض.. كل هذا من واقع معرفة وخبرة جيدة بمزاج زوجها ومداخل شخصيته وما يحب وما يكره.

ورغم أن العيوب البشرية تتفاوت، لكن الزوج يهرب بالأخص من الزوجة الثرثارة والنكدية والجريئة في علاقاتها الاجتماعية والمبذرة والفضولية والشكاية والمغرورة والمهملة والعنيدة.

أما الزوجة فتنفر من الزوج البخيل والأناني والمتسلط والمطلاق والغضوب والمنحاز لأسرته بشكل جائر والمدخن وأسير النزوات والغيور المفرط والشكاك والمستهتر.

وكل هذه التوجيهات لا تعني بالضرورة أن يكون الرجل حبيس بيته قد سيطرت زوجته على دقائق حياته، بل معناه حرص كل طرف على أن يجعل حياته الزوجية قبلته التي تصبو نفسه إليها، ويجد عندها سكينته وراحته، وهذا لا يمنع إطلاقا من العلاقات الاجتماعية والأنس بالأصدقاء والأقارب والجيران، فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، لكن في الاعتدال السلامة، وما أجمل أن نعيش الحياة كاملة بوسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، وما أبشع أن يصير البيت أتون نار تغلي فيه عواطفنا ومشاعرنا، ونهرب من جحيمه بحثا عن السعادة في الطرقات.

وأخيرا، ينبغي للزوجين أن يكونا على قناعة تامة بأن الهناء الأسري نعمة وفرصة ربما لا تمنحها الأقدار على الدوام، ولذلك فالتمتع به والارتواء من نبعه عين الكياسة، والحفاظ على أسبابه من مقتضيات التعقل والفطنة، بل إن من دوام استمرار النعمة شكر المنعم، فليتدارك كل منهما نفسه، ويصحح مساره كي تدوم أسباب الوصل، ويستمتع بمباهج حياة أسرية مستقرة بدلا من النفرة التي لا مبرر لها على الإطلاق.

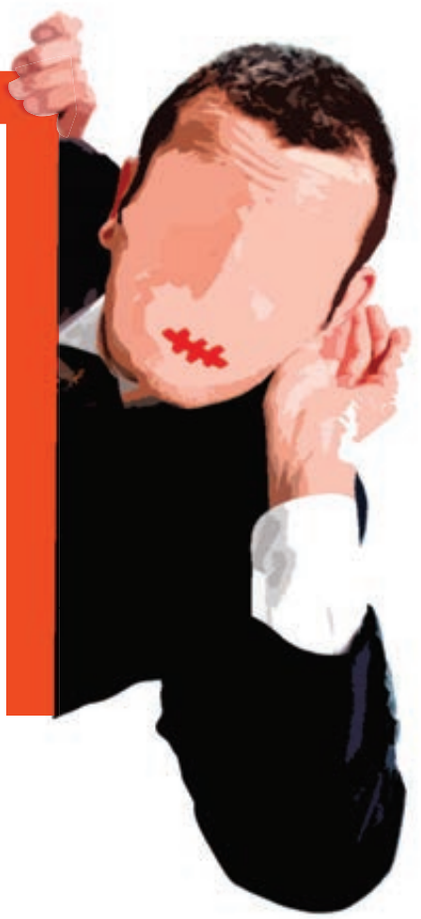

الخادمات وأسرار البيوت

القاهرة : منير أديب

خادمة مصابة بداء التلصص وثانية تكشف الأسرار للجيران وأخرى: لا أسمع لا أرى لا أتكلم

تستمع الخادمة أثناء تنقلها في غرف المنزل للأحاديث التي تدور بين أفراد العائلة الواحدة دون تحفظ، وتتعرف من خلال تعاملهم مع بعضهم على طبيعة العلاقة بينهم، وتكشف من خلال مكالماتهم ما يدور في حياتهم من أسرار، وتتعامل الخادمة في العادة مع كل ما تحصده من معلومات بأساليب مختلفة، تتفاوت بين البوح بها لخادمة أخرى، أو الوشاية بها للزوجة أو الزوج لإثارة المشاكل أو المساومة عليها مع أي فرد من أفراد العائلة، كي لا تخبر بها أحدا، ولهذا أثر عكسي لا يدركه البعض.

نتعرف من خلال هذا التحقيق على طبيعة تصرف الخادمة عند سماعها لسر من أسرار العائلة، وطبيعة المشاكل التي تتعرض لها بعد الحديث عن هذه الأسرار مع الغير، والطريقة التي تحافظ بها الزوجات والأزواج والأبناء على أسرارهم، وهل يزعجهم الاطلاع على أسرارهم، فإلى نص التحقيق:

تقول أم حسن: أعمل خادمة منذ ٢٠ عاما، ولذلك أستطيع أن أقدر حساسية ما تعرفه الخادمة، ورد فعل الأسرة في حال استخدمت هذه الأسرار في الحديث مع الآخرين.

ثم تضيف: من عشر سنوات كنت أحكي بفطرتي مع خادمة أخرى في المنزل المجاور عن أمور تتعلق بمن أعمل معهم، فأفضت هذه الخادمة بهذه الأسرار للجيران، فحدثت مشكلة كبيرة، وعندما علموا أنني من سربت هذه الأسرار كانت النتيجة طردي من العمل عندهم.

وتضيف: الأمر كان جد خطير؛ حيث كان أحد أفراد العائلة متقدما لخطبة ابنة العائلة الثانية وقد نوى فسخ الخطبة، فعندما تسرب الخبر أثار أزمة بين الأسرتين قبل أن تفسخ الخطبة.

تقول محاسن عمر: أعمل «وأذن من طين وأخرى من عجين»، كما يقول المثل الشعبي، حتى لا أقع في فخ القيل والقال، وبالتالي لا أسمح لنفسي بمجرد استخدام هذه

المعلومات حتى بين أفراد الأسرة.
وتضيف: إن هذه الطريقة تحفظ لي استمراري في العمل، ولذلك أنا أعرف أشياء كثيرة من الأولاد والأحفاد وعن الزوج والزوجة لا يعرفونها عن بعضهم البعض، وهم يأتمنونني عليها.
ثم تقول: كل أفراد الأسرة يعرفون ذلك، فكلهم يصبون أسرارهم عندي وأنا أرفض أن أفصح عن أسرار بعضهم للبعض الآخر سواء داخل البيت أو خارجه.
تقول حلاوتهم أبو فايق: نقابل نماذج كثيرة من أسر نضطر أن نتعامل معها بشكل مختلف، فأنا أعمل لدى أسرة مفككة عن بعضها البعض، ولذلك عندي أسرار كثيرة، أكون مضطرة لاستخدامها عندما أجد بعضهم يتجاوز معي في علاقته.
وتضيف: أنا مضطرة للحفاظ على لقمة العيش، فأنا لا أريد ترك العمل ولا أسمح لأحد بالتعامل معي بطريقة سيئة، ومعها أضطر مرغمة لمساومته على أسراره وتهديده مثلا بفضح أسراره لوالده، وكذلك أقوم بتهديد الزوج بفضح أسراره لزوجته.
وأردفت: هذه الطريقة لا أستخدمها مع كل البيوتات التي أعمل فيها، لأنها قد تأتي بنتيجة عكسية تكون نتيجتها الطرد من البيت الذي أعمل فيه.
يقول إمام عمر، طبيب: مشكلتي الوحيدة في الخادمة، فهناك نوعان من الخادمات، واحدة تتلصص والأخرى تتعرف على أسرار البيت بحكم وجودهن المستمر، وكلاهما خطر لأثره السلبي على الأسرة بأكملها.
ويضيف: هناك خادمات سيئات للغاية، أكون مضطرا في كثير من الأوقات للاحتفاظ بهن، حتى أحتفظ بالأسرار التي حصلن عليها بفعل وجودهن المستمر في المنزل.
وأفاد أنه قد يضطر لطرد بعض الخادمات لنفس السبب من البيت، عندما يحاولن السير في طريق الابتزاز، أو يقمن بتسريب هذه الأسرار لخادمة أخرى في مكان آخر، فوجود هذا النوع خطر على الأسرة بأكملها، والتخلص منه مطلوب بأقصى سرعة حتى لا تتفاقم المشكلة.
تقول كريمان صادق، مدير بنك: حاولنا معالجة قصة الأسرار التي قد تطلع عليها الخادمة بأننا حددنا لها مواعيد، وأبلغنا بعضنا داخل الأسرة بهذه المواعيد، وحذرنا الجميع أن يصدر من أي منا ما يجعلها تعرف أكثر عن الأسرار.
وأضافت: إنها تختبر أي خادمة تعمل عندها، وأول اختبار يتركز في فكرة الحفاظ على الأسرار ومدى حرصها على معرفة أسرار العائلة، خاصة أن هناك خادمات مصابات بداء التلصص على من يعملن عندهم، لمجرد أنهن يردن معرفة أخبارهم.

اختبارات نفسية

يقول الدكتور، أحمد عكاشة، الخبير النفسي: لابد أن يدرك رب البيت أن هناك أسرارا قد تتسرب إلى الخادمة مهما كان حريصا، ومهما كان البيت منضبطا في انفعالاته، ولذلك من المهم اختيار الخادمة بعناية شديدة، وأن تخضع لعدة اختبارات للتأكد من مدى التزامها بأسرار البيت.
وأضاف: هناك أضرار نفسيه تقع على الأسرة جراء خوفها من وجود خادمة قد تنقل الأسرار، وإذا حدث ونقلت الخادمة أسرار البيت، فإن ذلك يسبب مشكلة في التعامل معها، وقد يسبب لها مشكلة في استمرارها في العمل من الأساس.
وذكر أن هناك نوعية من البشر تحب دائما الاحتفاظ بأسرارها حتى عن أقرب الناس إليها، وهذه النوعية عندها مشكلة في استمرار الخادمات في العمل، لأنهن يصلن إلى أسرار بدون قصد بحكم وجودهن وقتا أطول في البيت.
ولفت، إلى أن الضرر النفسي الذي يقع على الأسرة عندما تكتشف الخادمة سرا من أسرارهم أنهم يشعرون أنهم مقيدون وأنهم يقعون تحت رحمة الخادمة حتى لا تفضحهم أو تلوك ما توصلت إليه بدون قصد..
ومن هنا تتغير المعاملة.. فهناك من يتعامل مع الخادمة قبل أن تخرج أسراره بطريقة سيئة، ثم يضطر بعد ذلك للتعامل معها بطريقة أفضل، والعكس صحيح.
تقول الدكتورة، حنان زين، مدير مركز السعادة للاستشارات الأسرية: لابد أن تنتبه الأسرة جيدا للخادمة لأنها قد تسبب للأسرة أزمة كبيرة، فتقلب أفراد العائلة على بعضهم، وقد تنقل أخبار البيت لخارجه.
وأضافت: بعض الأسر قد تبذل مجهودا في اختيار خادمة جيدة بينما تنسى هذه الأسر الانشغال بأمر آخر أكثر أهمية، ألا وهو حفاظ الأسرة على أسرارها، لأن الخادمة في النهاية بشر قد تستخدم وتستغل هذه الأسرار بشكل غير لائق.
وأضافت: قد يكون استخدامها للأسرار بابتزاز الأقل سنا في الأسرة، حتى لا تسرب هذه الأسرار للوالدين، فتعلمهم الكذب والنفاق وصفات سيئة أخرى، وبالتالي فالأفضل هو الحيطة.
وأنهت كلامها بالقول، إن تحقيق ذلك يكون من خلال إبلاغ الأسرة بعدم كشف أي معلومة أمام الخادمة، وتخصيص غرفة تكون موجودة فيها طيلة الوقت، أو تحديد أوقات للعمل لا تكون موجودة في غيرها، حتى يتلافى أفراد الأسرة فكرة معرفتها لأسرارهم.

د.عكاشة: لابد أن تخضع لدراسات نفسية قبل قبول طلبها للعمل

التدرج الهرمي للعنف الأسري.. المشكلة والعلاج

كمال عبدالمنعم
باحث في الشؤون الأسرية

الأسرة معناها في قاموس العربية: الدرع الحصينة، وهي المجموعة التي يربطها رباط وثيق لدرجة «الأسر»، وهو ما اشتق منه لفظ الأسرة أيضا، فكل فرد فيها لابد أن يلتزم التزام الأسير تجاه آسره، والآسر هنا ليس عدوا في حرب، وإنما القيم الفاضلة والمثل العليا التي أرشدنا إليها الكتاب والسنة في ديننا الإسلامي الحنيف.

ونبت الأسرة من بدايته- أعني الزوجين- قام على أساس من الحب والود والقبول المتبادل، ليحقق أركان الأسرة الناجحة التي بينها الله تعالى في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم: ٢١)، وأكدت الأحاديث الشريفة على تلك الأركان، وما يوصل إليها، روى ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»، ولكن مع مرور بعض الوقت- قد يطول أو يقصر- من هذه الحياة الأسرية، نجد المشكلات تطفو على سطح تلك الحياة، وغالبية تلك المشكلات قد تكثر في أول سنة من هذا الزواج، ويرجع ذلك إلى أسباب، منها اختلاف طباع الزوجين اللذين لم يتوافقا بعد لقصر المدة التي جمعتهما، وقد يكون الخلاف بسبب مشكلات عالقة بينهما لم يتم حسمها قبل إتمام عقد الزواج، كعمل الزوجة مثلا، ومخالطة الزوجة لأهل الزوج في المعيشة من عدمه، وزيارة الزوجة لأهلها، وتوقيت ذلك، وكيفية إدارة الشؤون الاقتصادية لتلك الأسرة الوليدة، وغير ذلك مما يجدّ من أحداث قد تحتاج إلى المشورة من كلا الطرفين وإبداء الرأي، ويمكن أن يكون هناك طرف ثالث سوى الزوجين يُسهم في ظهور تلك المشكلات، ويكاد يتفق الجميع على أن الحماة (أم الزوج أو أم الزوجة) لها النصيب الأكبر في إذكاء روح الشقاق والخلاف في كثير من الأسر في مجتمعنا، ونتيجة لكل هذا يبدأ سلوك جديد في الطفو على سطح هذه الحياة الأسرية، ألا وهو سلوك العنف الذي قد يكون من طرف واحد، وفي الغالب يكون من الرجال، أو قد يكون متبادلا من الطرفين، حسب طبائع الأشخاص وما جبلوا عليه.

وإذا كان الكلام على العنف تحديدا في هذه السطور، فإنه يبدأ بالكلام الخشن، والوجه العبوس، والصوت العالي الذي يتبادله الزوجان، أو قد تكون الغلبة لأحدهما، ويتطور بعد ذلك إلى الشتم والسب واللعن والإهانة والإحراج، كل هذا في نطاق منزل الزوجية الذي قد يسمع به أهل الزوجين، أو ينجح الزوجان في جعله داخل جدران بيت الزوجية، وإن تم الأمر الأخير، فإن حل هذا الإشكال يكون سهلا، والعودة إلى الهدوء تكون أسرع، والندم على ما حدث يكون متبادلا، ويعتذر الطرفان، وتسير الحياة بطبيعتها في طريق البناء والاستقرار، أما إذا أفشيت الأسرار، وذاع خبر تلك المشكلات وهذا النزاع، فإن الخرق يتسع على الراقع، ويصعب رأب الصدع، ويحدث ما لا يحمد عقباه، لأن كل متلق لهذه الأخبار يتفاعل معها بطبيعته هو، وبالتالي تتعدد الرؤى ووجهات النظر، وردود الأفعال، والحلول المقترحة، وبالتالي يصعب الاتفاق على رأى واحد.

وقد يتصاعد العنف درجة في هذا الهرم، حينما يسيطر العناد على الطرفين، وبالتالي تتوتر تلك العلاقة، فتتخذ قرارات فردية أغلبها من الزوج، فيحرم زوجته من زيارة أهلها،

ويلزمها بيت الزوجية فترة أطول، وبالتالي تتقطع أواصر المودة والمحبة بينهما، وتقطع صلات الأرحام، وكل هذا لم يأمر به ديننا الحنيف، فالزواج ينشئ علاقة «المصاهرة» التي من معانيها انصهار الأسرتين ليصيرا أسرة واحدة، تربطهما علاقة حميمة وقوية، فكيف نسعى لتفريقهما، وقطع العلاقات بينهما؟

إن بعض الرجال يتصف بالتسلط، وفرض الرأي بالقوة والعنف، بحجة أنه القوام على زوجته، سواء كان محقا، أو غير ذلك، ولا ننكر القوامة لأنها في دين الله وشرعه، ولكن ما مفهوم القوامة التي يحتج بها بعض الرجال من أجل إذلال الزوجة وحرمانها من حقوقها؟

قد يظن بعض الرجال ممن قل فهمهم في دين الله تعالى أن القوامة التي منحهم الله سبحانه إياها سيف مسلط على رقاب نسائهم، للتحكم فيهن تحكما قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى ظلمهن وهضم حقوقهن، ولا ينكر أحد أن القوامة شرع من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ (النساء: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وقد روى أحمد وابن ماجه بسند حسن أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، ورغم كل هذا فقد أمر الله تعالى الأزواج بحسن عشرة زوجاتهم فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم»، والمسلم الصادق الملتزم بأحكام دينه الحنيف يستخدم هذه القوامة كسبيل إلى حسن المودة والعشرة بينه وبين زوجته، فيحسن التوجيه، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصون عرضه، ويجنب أهله أماكن الفسق والفجور، ويحثهم على التستر والعفاف والوقار، كل ذلك في إطار من الرفق واللين والقول الحسن، حتى تؤتي النصيحة ثمارها، وتنفع الموعظة، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

وإنك لتعجب ممن تمتد يده إلى زوجته بالعنف، فيضربها ضربا مبرحا، لدرجة الإيلام والإيذاء، هذا لا يرتضيه عقل ولا دين، فإن المسلم ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء، وروى الإمام أحمد- رحمه الله- في مسنده عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال رسول الله ﷺ: «حرثك، ائت حرثك أنى شئت، غير أن لا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت، وأطعم إذا أكلت، واكس إذا اكتسيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض، إلا بما حل عليها».

هذا العنف الذي يعتري الحياة الأسرية، يتأثر به الأبناء سلبا عند وجودهم، فلا يرى الأبناء والديهم إلا في شجار وعراك، وعنف متبادل، يصابون على أثره بالخوف والرعب والقلق، وقد يصل العنف إلى قمة هرمه بتفكك الأسرة وتشتتها، وانفراط عقد الزوجية والوصول إلى الطلاق الذي تنشأ معه المشكلات الموازية التي تخص الأبناء، فيعانون من غيبة المربي والناصح، خاصة إذا بحث كل من الزوجين عن شريك جديد لحياته، عله يعوض ما فات، أو يحقق معه سعادة غابت عن كل منهما في زيجة جديدة.

وإذا أردنا الإسهام في تجنب هذا العنف الأسري حتى لا نصعد إلى قمة هرمه، فلابد أن نذكر بأن البعد عن تعاليم ديننا، وغيبة الثقافة الدينية بشأن الأسرة، لهو السبب الأكبر في حدوث ذلك، ويعجبني الرجل الذي يلجأ قبل الزواج إلى عالِم يطلب منه النصح بشأن كيفية التعامل مع التي ستكون زوجته عما قريب، وما هي حقوقه وواجباته تجاهها، وماذا يفعل إذا حدث في الحياة مشكلة.. وما هي أقرب الطرق لحل المشكلات، وكذلك الزوجة لابد أن تبحث عن ناصح أمين لها، لتستقيم حياتها، ولتكون مهيأة لتلك الحياة الجديدة.

ولما كانت المشكلات الأسرية ظاهرة في المجتمع، فلابد للوعظ الديني أن يكون له دور، والإعلام له دور مماثل في ذلك، كذلك يمكن أن تتوافر بعض المراكز الأسرية الأمينة على الأسرار كي يلجأ إليها الزوجان عند تعثر الوصول إلى حل لمشكلة ما، بعيدا عن أهل الزوجين، ودرءًا لشبهة الميل وعدم الحيادية من أحدهما عند طرح بعض الحلول للمشكلات محل النزاع.

إن الوصول إلى قمة هرم العنف الأسري سهل، ولكن النزول منها يحتاج إلى وقت كبير، وإن نزل الطرفان (الزوج والزوجة) من هذه القمة لا ينزلان سالمين، بل لابد أن يكون لهذا العنف أثر كلما تناقش الطرفان في أمر ما.

وما أجمل خفض الجناح، والإعذار، وإقالة العثرة، والعفو، واللين، والمودة، والرحمة من أجل بقاء الجو الأسري خاليا من أي شائبة وعنف.

وأختم بما نصح الله به ورسوله حينما يصيب الإنسان وسواس شيطان يدفعه إلى الغضب والشر، وتكدير صفو الحياة، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ (فصلت: ٣٦)، وفي الصحيحين عن سلمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان وأحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد» فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: «تعوذ بالله من الشيطان...».

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.. اللهم آمين.

أغذية الخمول والكسل

منى الموجي - القاهرة
دار الإعلام العربية

يلعب الطعام والنظام الغذائي دورا مهما في حياتنا اليومية، فإما أن يؤدي دورا محوريا مهما يعزز النشاط والحيوية، وإما أن يجعلنا نشعر بالخمول والكسل والإعياء من أقل مجهود، فكم من مرة تناولت غذاءك، ثم اكتشفت بعدها عدم قدرتك على القيام بعمل كنت تقوم به قبل تناول الطعام؟.. الواقع أن هناك علاقة بين الأمرين، وهذا ما يؤكد عليه عدد من المختصين التقتهم «الوعي الإسلامي»؛ ليكشفوا أسباب الشعور بالخمول والكسل وعلاقتها ببعض الأطعمة.. فإلى التفاصيل.

بداية، توضح استشارية التغذية العلاجية والسمنة بجامعة القاهرة د. وفاء وافي، أن شعور الإنسان بالخمول والكسل، قد يكون الطعام الذي نتناوله سببا من أهم أسبابه، لكن قد يعود السبب في هذا الشعور إلى إصابة الإنسان بالأنيميا، أو بأحد أمراض الكبد، أو مشكلات طبية أخرى، وعندما يتناول المصاب بهذه الأمراض الطعام يتضاعف إحساسه بالخمول والكسل، وعدم القدرة على أداء عمله بالنشاط المعهود.

الأكلات المشبعة بالدهون

وتضيف: أما بالنسبة للإنسان الطبيعي وغير المصاب بهذه الأمراض، فيتسبب الطعام المحمر والأكل المشبع بالدهون، أو الطعام المطهي بالسمن في إصابته بالخمول والكسل، وكذلك الطعام الذي يحتوي على سكريات والمليء بالنشويات، وهناك عادات غذائية اعتاد عليها البعض مثل الطعام المسبك والدسم، وهذه الأكلات ترهق المعدة، وتتسبب في الشعور بالخمول والإرهاق وفقدان الحيوية والنشاط، لاسيما عند تناولها بكثرة.

أيضا، الإكثار من الأكل في حد ذاته حتى لو كان الطعام صحيا ١٠٠٪ يتسبب في الشعور بالتثاقل والخمول، ولهذا يحثنا ديننا على عدم الإسراف في تناول الطعام كما جاء في الحديث الشريف: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن؛ بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه؛ فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» وهذا أقوم لاعتدال الجسد وخفته؛ لأنه يترتب على الشبع ثقل البدن الذي يورث الكسل.

وتشير إلى أن جميع أنواع الطعام من الممكن أن تتساوى في قدرتها على إصابة الإنسان بالخمول والكسل حتى في حال تناول السلطات، وذلك عند تناول كميات كبيرة منها، فامتلاء معدة الإنسان سبب رئيسي في هذا الشعور.

وتضيف وفاء قائلة: إن كلمة وخم تعني انسحاب الدم من الأطراف إلى المعدة فلا يصل للمخ، لذلك نشعر وقتها بالرغبة في النوم نتيجة تناول طعام صعب هضمه، أو نتيجة تناول الطعام بكميات أكبر مما ينبغي.

وأشارت إلى إحدى النقاط المهمة، والتي يغفلها البعض، وهي أن الشخص المصاب بالسمنة يرتفع لديه احتمالية الإصابة بالسكر، إذ يرتفع الأنسولين في الدم، ويتسبب الجلوكوز في شعوره بالوخم والكسل، فالسمنة نذير خطر يجب التخلص منه.

الإفراط في الطعام والوجبات السريعة وقلة تناول الخضروات والفاكهة والمياه أبرز الأسباب

السمنة ترفع الأنسولين في الدم وتسبب الكسل

وأكدت على أن الاهتمام بتناول الأطعمة المشوية والنصف مطهية، والأطعمة التي تحتوي على ألياف، يزيد من امتصاص الجلوكوز بالدم، ويساهم في شعور الإنسان بالنشاط، ويدرأ عنه الوخم والكسل، ومن الأطعمة التي تحتوي على ألياف: الفول، وطبق السلطة عندما نضيف إليه الذرة أو الفاصوليا، مشيرة إلى أهمية الالتفات إلى كمية السعرات الحرارية التي يحتاجها الجسم مع ممارسة الرياضة بشكل منتظم كأسلوب للحياة، وليس لفترة كما يفعل البعض لينقطع عن الممارسة فيما بعد.

وفي النهاية تنصح الدكتورة بأن يكون تخفيض الوزن تدريجيا، مع الحرص على أن يكون طعامنا قليل الدهون والسكريات، مع الإقلال من استخدام السمن والأجبان، وكذلك الإقلال من تناول المخبوزات والمعجنات، وفي مقابل هذا يتم التركيز على تناول كميات أكبر من الخضروات والفاكهة.

إفراط

ويشير الأستاذ بالمعهد القومي للتغذية الدكتور مجدي نزيه، إلى أن الشعور بالتخمة والكسل يأتي من خلال الإفراط في تناول الطعام، أو من خلال تناول الأطعمة التي تحتوي على نسبة عالية من الدهون، مثل الوجبات السريعة مع قلة المتناول من الخضروات والفاكهة والمياه، ما يتسبب في إرهاق الكلى وشعور

الإنسان بالخمول والكسل.
ويتابع نزيه قائلا: إن فقدان الجسم للمياه سبب من الأسباب التي ينتج عنها الشعور بالخمول والكسل، إضافة إلى حرص البعض على تناول المياه الغازية رغم أنها لا تفيد الإنسان بل تضره، بما تحتوي عليه من سعرات حرارية تصيبه بالسمنة وترهق الجهاز الهضمي؛ فتجعله يشعر بالكسل وعدم الراحة.

أسلوب حياة

أما استشاري التغذية العلاجية وعضو الجمعية الأميركية للسمنة والنحافة د. سمير نيروز، فيؤكد على أن الطعام هو المسبب الأول لسعادة الإنسان أو تعاسته، فهو مسبب للرشاقة القادرة على تحسين أية علاقة زوجية، وهو مسبب للسمنة القادرة على القضاء على أية علاقة سوية.
فالكثير من العلماء أكدوا على أن للغذاء فائدة عظيمة؛ لإكساب الجسم الصحة والرشاقة والجمال، كما أكدوا على مدى أهمية التغذية بجميع أشكالها ومكوناتها.
وأشار إلى أن كثيرا من السيدات لا يستطعن التفريق بين اتباع نظام غذائي بهدف تخفيف الوزن، وبين نظام غذائي يحافظ على الوزن الحالي، فلا يجب أن نتبع نظاما قاسيا قائما على حرمان الذات، فإنكار حاجة الجسم للغذاء أمر غير مقبول، ويترتب عليه عواقب سيئة، إذ ينتج عنه ضعف دائم في الصحة وانخفاض في الوزن، يؤثر على نشاطك وتفاعلك مع الأسرة،

لا تحرم نفسك من الأصناف المحببة بشكل كامل بل تناولها بكميات محدودة

نشط جسمك وذاكرتك بتناول الأسماك

يؤدي إلى إهمالك لشؤون منزلك، وأولادك وزوجك، وهو أمر لا يقل ضررا عن أضرار الإكثار من الطعام عن الحد المسموح به.
مضيفا: لابد أن يكون طعامنا قائما على أسلوب حياة، فلا ننخدع بأسماء وأشكال وألوان الأطعمة التي تهدم الرشاقة وتسبب السمنة، وتقودنا إلى تحميل أجسادنا أوزانا تؤرق وتهدد صحتها وتنال من رشاقتها.
وينصح بعدم البعد عن الأصناف المحببة بشكل كامل، بل الإقلال من تناولها بكميات محدودة، بحيث تكون الكمية التى تدخل الجسم لا تضره بأي حال من الأحوال؛ لأن الامتناع عنها يجعلك دائما في حالة مزاجية غير متزنة، ويجعلك دائم البحث عنها، وأكلها بشراهة أكثر من مما سبق.
ويلقي باللوم على الإعلام والدعاية للوجبات السريعة التي يعتبرها مسببا حقيقيا للتعاسة، سواء على المستوى الاقتصادي أو الصحي؛ لأنها تحتوي على كثير من السعرات الحرارية التي تتسبب في زيادة الوزن وتنال من الرشاقة، ناصحا بضرورة جعل الطعام أسلوب حياة متبع قائم على تناول جميع أنواع الأطعمة، لكن بشكل متوازن قادر على تحقيق النشاط والرشاقة المنشودة.

عليك بالأسماك

إلى ذلك، يؤكد الشيف إسلام حسن، الذي حصل على العديد من الدورات المتخصصة في مجال المطبخ، أن السمك يحتوي على «أوميجا ٣» – وهي مجموعة من الحوامض الدهنية غير المشبعة– التي تساعد في تكوين المخ، كما تقل نسبة الدهون في الشرايين عند آكلي السمك عن غيرهم، ما يساعد في عملية ضخ الدم للمخ بشكل أفضل، وبالتالي، أداء أفضل لوظائف المخ، إضافة إلى احتواء السمك على نسبة كبيرة من فيتامينات (ب) التي تعطي الجسم النشاط والحيوية، وتساعد على تنشيط الذاكرة.
كما تحمي وجبات الأسماك من الروماتيزم، وتقلل الإصابة بالبرد، وتحمي من أمراض القلب وأمراض الأوعية الدموية، وتحافظ على التوازن الغذائي في الجسم، كما يحتوي السمك على الحديد الحيواني الذي يمتصه الجسم بشكل جيد، فضلا عن احتوائه على كميات كبيرة من الأملاح المعدنية، مثل الفسفور والكالسيوم، إضافة إلى الزنك والنحاس، وهما العاملان الرئيسيان في نمو الجسم، إضافة لزيوت الأسماك التي بها كمية كبيرة من فيتامينات (أ) و(د).
كما يؤكد على أن السمك يحافظ على رشاقة الجسم؛ لأنه يحتوي على قليل من الوحدات الحرارية والشحوم والدهون، وغني بالبروتينات والمواد الغذائية الضرورية للجسم، ويقدم مجموعة من النصائح تبدأ بعملية شراء السمك، فينصح بقياسه من وجهتين، أولا: لمعان العين، ونشوفية الجلد، حمرة الخياشم بجانب الرائحة والشكل، وعند تقشير السمك يتم تقشيره بسكين، وتأخذ من الذيل إلى الرأس ويقص الزعانف بمقص، وتفتح البطن بسكين، وتنظف تحت ماء جار، ثانيا: التخزين بأن تحفظ الأسماك جافة، وتغلق جيدا ببلاستيك، وتوضع بالفريزر تحت درجة حرارة سالب ١٨م، كما ينصح بعدم فك السمك بعد تجميده في الهواء الطلق، لكن يفك بتركه في الثلاجة؛ وذلك للحفاظ عليه من هواء الجو، ولعدم نمو البكتريا، ولكي يحتفظ بقيمته الغذائية.

التقليد المهلك

رشيد ناجي الحسن
باحث في وزارة الأوقاف الكويتية

يروى أن طائرة محلقة في الهواء كان فيها ببغاء وحمار، فكان الببغاء يضغط على زر الطوارئ، وحين يأتي المضيف يقول له: كنت أمزح معك، ويضغط الببغاء عدة مرات ويحدث معه نفس الأمر، قلده الحمار وضغط على الزر، فذهب المضيف لقائد الطائرة وأخبره بما حدث، فقال له قائد الطائرة: افتح باب الطوارئ وارمهما من الطائرة، وفعلا فتح المضيف لهما باب الطوارئ، ورماهما، وهما واقعان في السماء قال الببغاء للحمار: هل لك جناحان لتستطيع الطيران مثلي؟ فقال الحمار: لا، فقال الببغاء فعلام إذن تقلدني؟

وهناك مقولة تقول: (عندما يتفق اثنان في كل شيء، فأحدهما زائد لا ضرورة له).

ومما لا شك فيه أن الإنسان يتأثر بمن حوله وبما حوله من أشخاص وأحداث وأشياء.

والإنسان المتوازن يؤثر ويتأثر.. وهذا يعني أن التقليد يمكن أن يكون طبيعيا، حيث يتأثر الإنسان بالأشخاص من حوله بأفكارهم وسلوكهم وتصرفاتهم وثيابهم.. وغير ذلك. وهذا يساهم في قبوله في الجماعة التي ينتمي إليها ويعزز مكانته فيها. ويعتبر ذلك نوعا من التكيف الاجتماعي الناجح.. لكن إن تجاوز التقليد حده.. فإنه يلغي شخصية المقلد..

والتشبه بالآخرين قد يكون سلبيا، وقد يكون إيجابيا، فتقليد الصالحين من أهل الذوق والأدب في سماتهم وأعمالهم إيجابي، وتقليد الفاسدين العصاة في هيئاتهم وأفعالهم سلبي.

والتقليد هو أحد الدوافع الاجتماعية المكتسبة عند الانسان، على اعتبار أن الدافع هو القوة التي تجعل الإنسان يقوم بسلوك معين، لتحقيق رغبة معينة. ودافع التقليد هنا هو الذي يحمل الكائن الحي على محاكاة غيره، ويكون هذا التقليد في أبسط درجاته عفويا، ويتطور ليصبح مقصودا. والطفل أكثر تأثرا من البالغ الراشد، وهو يقلد أكثر لأن معلوماته وخبراته قليلة، وعندما يكبر يصبح أقل تأثرا وتقليدا، وأكثر تأثيرا واستقلالية.

والمقلد عموما شخصية تشكو من النقص وعدم الثقة بذاتها.. ولا يمكنها أن تحقق ذاتها وأن ترضى عنها من خلال أعمالها العادية وسلوكها واستقلاليتها وإنتاجيتها.. وهي قلقة وغير مستقرة، وتبحث عن ذاتها من خلال الآخرين فقط. ولا يمكنها أن تنظر في أعماقها لتكتشف مواقع القوة والضعف، بل تهرب إلى التفكير السطحي والكسب السريع والإطراء من الآخرين..كما أنها أقل نضجا وتماسكا وفعالية.. وهي تتأثر بسرعة وتتقلب، وتفتقد إلى القوة الحقيقية والعمق والنجاح.

لقد رأينا ما يكفي لكي نعلم أن حال أمتنا في تدهور مستمر بسبب التقليد الأعمى، فبعض الشباب والفتيات -هداهم الله- لم يتركوا شيئا من الغرب لم يتشبهوا به، إلا العلم النافع الذي لم يبالوا به، بل لهثوا وراء الموضة والأزياء، حتى اللغة العربية يخجلون من التكلم بها أمام الأهل والأصدقاء، ويفتخرون بالتحدث باللغات الأجنبية: hi، ok، by.

وحتى لا يكون كلامي هذا ضربا من القيل والقال، أو تلاعبا بالأقوال، هلم إلى شارعنا الإسلامي لنلقي الضوء على شواهد ظاهرة وخواطر شاهدة على انسياق بعض بني جلدتنا خلف تقليد الكفار والتشبه بهم، فمنها:

- تبرج النساء والافتتان بهن، وهذا وربي من أفتك الأمراض الخلقية التي تبتلى بها الأمم، وتنهار بسببها

الحضارات.

-ومنها: الاحتفال بأعياد غير المسلمين، وكذا أعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية، وعيد الحب، وهو من آخر ما ابتليت به أمة الإسلام، حيث يحتفي به قطاع من شباب الأمة وفتياتها، يرتدون فيه الملابس الحمراء ويتبادلون الورود الحمراء.

ومنها تقليدهم بلباسهم، وهذا بحر لا ساحل له، ألوانه شتى، ونماذجه هنا وهناك، نرى بأم أعيننا محاكاتهم وتقليدهم فيها. إنك لتأسى أشد الأسى ويكلم فؤادك عندما ترى عددا من شباب الأمة الذين هم أملها يرتدون ملابسهم، بل يشهرونها ويعدونها تحضرا ومدنية وأناقة وتقدمية. انظر إلى قبعاتهم التي يرتدونها على رؤوسهم، بل حتى مع الثياب، انظر إلى قمصانهم التي تعج بالكلمات الأعجمية، وقد يكون منها ما هو دعوة للزنا أو الحرام وهو لا يعلم، بل يعلق بعضهم على صدره صور أهل الشذوذ الجنسي، والعفن الخلقي. وإليك عزيزي القارئ بعضا من معاني تلك الكلمات الأجنبية التي كتبت على قمصان بعض شبابنا، وهم لا يعلمون معناها، مما هو منتشر في منطقتنا العربية، فمثلا:

كلمة Vixen مكتوبة على أحد القمصان: ومعناها: المرأة سيئة الخلق.

أما كلمة Nude وهو اسم عطر فمعناه: العارية، والعياذ بالله، وهذه كلمة لها انتشار واسع في مجتمعنا.

وكلمة Whore معناها الزاني

وكلمة Lusts شهوات

وكلمة Eccentricity شذوذ

وكلمتا Spell، Charm تعويذة يستخدمها السحرة

و Sprint مشروب روحي كحول

وFlirt يغازل، وتوجد هذه الكلمة على الأقلام.

أما كلمة N I K E والتي تكاد تملأ الآفاق فهي كلمة إغريقية معناها إله الحب عند الإغريق، وهو صنم يعبد من دون الله. وكذلك:

Kiss me قبلني

Take me خذني

Follow me اتبعني

Buy me اشترني

Sow خنزيرة

Pig خنزير

Pork لحم خنزير

Vice رذيلة

Charming ساحر

Cupid إله الحب

Dram كأس خمر

Brew مشروب مخمر

Brandy مشروب مسكر

Mason ماسوني

Tippler مدمن خمر

Adulterer فاسق أو زاني

Adultery زنا

Bawdy سفيه

Athirst ملحد

بل إن قصة غريبة حدثت يوما بسبب مثل هذه الكلمات، فقد استوقف أحد الأجانب يوما سائحا عربيا بصحبته طفل صغير، وسأله: ما سعر هذا الطفل؟ فتعجب الأب من هذا السؤال، فما السبب الذي دعا الأجنبي ليسأل هكذا سؤال؟

والجواب: إنها جملة أجنبية كتبت على قميص الطفل، دون علم بمعناها من قبل الأب وهي:

Baby For Sale ومعناها طفل للبيع!

وإن بعض شبابنا أراد أن يثبت لنفسه التمدن الحضاري والتطور، فلبس البنطال الممزق يمسح به الأرض، ينزل حزامه إلى أسفل سرته، ترك شعره مسدلا وراء ظهره، وإذا سألته: لماذا؟ قال: هي الموضة، وأنا حر، وذاك الذي لم يحمد الله على ما أنعم عليه من اقتناء أفضل السيارات، ومضى يحرقها (بالتفحيط والتقحيص)، وذاك وذاك... والله المستعان...

جميل أن يهتم الشاب بمظهره وأناقته..ولكن ليس بهذا الشكل الذي وصل لحد اللا أخلاق..

تنافس خطير..سيؤدي إلى كارثة..

فيا ليت شبابنا أعفوا أنفسهم من هذه القشور، وأراحوا عقولهم من هذه التفاهات، واتجهوا إلى حياة الجد والعمل والمثابرة.

لماذا الارتماء في أحضان الغير؟ والاستخذاء للآخر! ونحن أصحاب أعظم رسالة عرفها الكون، وأحفاد من أسس أروع حضارة شهد لها التاريخ، ومن كان في شك من ذلك فليسأل بطاح مكة، ومنابر بغداد، وميادين دمشق ومقاصير القاهرة، ومتاحف الزيتونة والقيروان، ومغاني الزهراء والحمراء.

يوم من الدهر لم تصنع أشعته

شمس الضحى بل صنعناه بأيدينا

التشبه بالكافرين

من دعاء المؤمنين في الفاتحة أن يهديهم الله الصراط المستقيم، المخالف للكفار من اليهود والنصارى، وهو الدعاء الذي يدعو به كل مسلم في صلاته، والذي تضمنته أعظم سورة في القرآن، والتي لا تصح الصلاة إلا بها، وهذا الدعاء هو قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾(الفاتحة:٦-٧) قال ابن كثير: وهما طريقة اليهود والنصارى. قال ابن كثير: «أخص أوصاف اليهود الغضب، وأخص أوصاف النصارى الضلال. والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد حكمه في التشبه واضحا جليا، ألا وهو النهي عن التشبه بالكفار بصيغ مختلفة وطرق متعددة، فمرة ينهى الله تبارك وتعالى عن التشبه عموما في مواضع، وأخرى عن اتباع أهواء الكفار في مواضع أخرى، وينهى أحيانا عن التشبه بهم في الاستمتاع بالشهوات المحرمة، وقد ينهى عن موافقتهم فيما هو جائز أحيانا أخرى، سدا لذريعة التشبه، وينهى عن التشبه بهم في الحكم بين الناس بالباطل، ويبرئ نبيه

ﷺ منهم تبرئة تامة، يقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾(الجاثية:١٨) وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾(البقرة:١٢٠)، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾(المائدة:٤٩)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

– **وأما موقف السنة النبوية**، فقد جاء لافتًا لنظر الباحث إلى خطورة التشبه بالكافرين؛ حيث نجد النبي ﷺ قد سلك كل طريق ممكنة لبيان أهمية المفاصلة الكاملة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وعمل بكل ما يقطع المشابهة بين من رضي بالله معبودا وإلها، وبين من عبد الطاغوت وكفر بمن حق له أن يكون معبودا وإلها، فلم يترك أمرا يزيد المباينة بينهما إلا أمر به، ورغب فيه، ولم ير شيئا يقيم الصلة بينهما إلا نهى عنه وحذر منه. فمن الأحاديث ما جاء النهي فيها عن التشبه بالكفار نهيا صريحا، دون ذكر سبب النهي، ومن الأحاديث ما جاء النهي فيه عن التشبه بهم مع التعليل بالمخالفة لهم، ومنها ما جاء فيه نسبة المتشبه بهم إلى الجاهلية، ومنها ما جاء فيه التحذير من التشبه بهم لأن ذلك ملحق بهم، وحكم المتشبه بهم كحكمهم، ومن الأحاديث في السنة النبوية ما جاء فيه الترهيب من التشبه بهم لما حصل لهم من عقوبة الله، ومن الأحاديث ما ورد فيه النهي عن التشبه بهم على صيغة الإخبار عن حال المسلمين في المستقبل، وانجرافهم وراء التشبه الأعمى بالكفار.

– فمنها التي جاء فيها النهي عن التشبه بالكفار نهيا صريحا مجردا عن ذكر سبب من الأسباب: فقد جاء عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم رسول الله – ﷺ – المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (ما هذان اليومان؟)، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فوجه الدلالة: أن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ، ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: (إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين)، والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه.. فقد وضع رسول الله ﷺ قاعدة جليلة من خلال هذا الحديث، حيث استبدل ذانك اليومين بيومين آخرين، دون ذكر سبب ظاهر، وهذا يدل على أن مخالفة الكفار من مقصود الشارع أصلا، فسكوته عن ذكر سبب الاستبدال يشعر بكون المخالفة لهم مما لا نقاش فيه، وأنه مما عرف من طريقة الشارع.

ومما جاء فيه النهي عن التشبه بهم في جانب العادات كذلك: ما ورد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب) رواه البخاري ومسلم، ومن ذلك أيضا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم). رواه البخاري ومسلم. قال صاحب كتاب عون المعبود: «والحديث يدل على أن العلة في شرعية الخضاب هي مخالفة أهل الكتاب، وبهذا يتأكد استحباب الخضاب. ومن ذلك أيضا ما جاء عن الشريد بن سويد قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا – وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على ألية يدي – فقال: (أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟!)، رواه أبو داود، والمراد بالمغضوب عليهم: اليهود كما تقدم، قال شيخ الإسلام: «وهذه مبالغة في مجانبة هديهم»، وفي هذا الحديث نجد النبي ﷺ قد نهى عن مجرد جلسة تشبه طريقة جلوسهم، هذا مع أنه يحتمل أن الصحابي لم يكن يعلم أن هذه طريقتهم في الجلوس، كما أنه لم يكن يقصد التشبه بهم بلا شك، فهذا موقفه ﷺ ممن هذا حاله، فما هو عسى أن يكون موقفه إذا رأى من يتشبه بهم وهو يقصد ذلك ويتكلفه.

ومن ذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره (أي: يرسله ولا يضم جوانبه)، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم (والفرق: قسمة شعر الرأس من المفرق)، وكان أهل الكتاب يسدلون، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه) رواه البخاري ومسلم، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يقدم مخالفة المشركين على مخالفة أهل الكتاب فيما لا يمكن العمل فيه، إلا بأحد أمرين: إما موافقة للمشركين، فيكون بذلك مخالفا لأهل الكتاب، وإما موافقة أهل الكتاب، فيكون بذلك قد خالف المشركين، فكان يختار في ذلك مخالفة المشركين، ولو كان في ذلك موافقة لأهل الكتاب؛ لأنه وإن كان أهل الكتاب على ضلال، فإن المشركين أبعد عن الحق وأضل.

كما نهى رسول الله ﷺ عن التشبه بهم في جانب العادات الشخصية معللا ذلك بالمخالفة: فقد ورد عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة)، رواه البخاري ومسلم.

فيا إخوة الإسلام، علينا أن نعيش مع شباب الأمة تربية وتوجيها وتعليما وتأديبا، وفطرة الخير ما زالت، ولكن أين من ينميها ويحييها؟ واحذروا من هذا التقليد الغبي الأعمى، وخافوا الله، وكونوا كالقابض على الجمر في زمن عاد الإسلام فيه غريبا.

متحف الفن الإسلامي في قطر..

بين عبق الماضي واستشراف المستقبل

استطلاع وتصوير:
عبادة نوح - خالد خلاوي

تطل على ضفاف خليج الدوحة القطرية تحفة معمارية تمزج بين عبق وروح العمارة الإسلامية القديمة وبين فنون العمارة المعاصرة، وتضم بين جنباتها روائع من مقتنيات الفن الإسلامي، إنه متحف الفن الإسلامي.. وهو مبنى مؤلف من خمسة طوابق، يتربع على واجهة الخليج في العاصمة القطرية، وتبلغ مساحته ٣٣,٥ ألف متر مربع.

في ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٨م افتتح الشيخ حمد آل ثاني أمير دولة قطر المتحف بالتوقيع على أولى صفحات الكتاب الذهبي الخاص به، حيث كتب فيها: «لقد قدم العالم الإسلامي للحضارة الإنسانية تراثا فنيا وثقافيا وعلميا ومعماريا نعتز به، يضم هذا الصرح الشامخ الذي نفتتحه اليوم بعضا من لمحاته، نأمل أن تجعله مركزا للاستنارة والتعريف بحضارة عريقة عميقة الجذور».

مبنى المتحف

صمم مبنى المتحف المعماري العالمي آي إم بي، الحائز على جائزة بريتزكر، وبحسب موقع المتحف على الإنترنت (mia.org.qa)، استلهم تصميمه من «نافورة الوضوء» التي أنشئت خلال القرن الثالث عشر في مسجد أحمد بن طولون في القاهرة، الذي يعود تاريخه إلى القرن التاسع الميلادي.

ويلاحظ زائر المتحف أن الحجر الكلسي القشدي اللون يستقطب تغيرات الضوء، ويعكسها بظلال مختلفة على حوائط المتحف من الخارج مع تقدم ساعات النهار، أما داخل المتحف فلا تقل روعة عن بنائه الخارجي.. فالجزء الأوسط من الردهة يتألف من درج دائري يؤدي إلى الطابق الأول، فوقه تتدلى ثريا معدنية دائرية تتناسب مع شكل الدرج الملتف.

وتأسر فتحة في قمة الردهة الضوء وتعكسه على القبة المتعددة الوجوه، أما الواجهة الزجاجية التي ترتفع على الجانب الشمالي للبناء بطول ٤٥ مترا، وتغطي الطوابق الخمسة كلها فتقدم منظرا بانوراميا أخاذا يطل على الخليج، بينما تزين الأنماط الهندسية الإسلامية فضاءات المتحف، بما في ذلك سقوف المصاعد، كما يخلق التنوع في القوام والمواد الخشبية والحجرية بيئة فريدة تتناسب ومقتنيات المتحف الفنية.

المقتنيات

يضم المتحف أكثر من ٨٠٠ قطعة فنية، والتي توثق لفترة ١٤٠٠ سنة من تاريخ الفن الإسلامي، جمعت من أوروبا وآسيا، ويتراوح تاريخها فيما بين القرن السابع الميلادي وصولا إلى القرن التاسع عشر.. وتتراوح المعروضات ما بين الكتب والمخطوطات وقطع السيراميك والمعادن والزجاج والعاج والأنسجة والخشب والأحجار الكريمة إلى القطع النقدية المصنوعة من الفضة والنحاس والبرونز، والتي يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل الإسلام، وبالتحديد إلى العهد

الساساني، وترجع أحدثها إلى العهد الصفوي، مرورا بالعصرين الأموي والعباسي.

وشكلت الخزفيات قسما أساسيا من المتحف، بدءا بأواني المطبخ البسيطة وصولا إلى البلاطات المنمقة، وهذه البلاطات ما هي إلا انعكاس للتأثيرات الخارجية والإبداعات الداخلية التي منها استلهم هذا التصميم الجميل منذ اثني عشر قرنا.

وتضم مجموعة مقتنيات متحف الفن الإسلامي بعضا من أشهر قطع الزجاج الإسلامي التي تتدرج من القطع القديمة الدقيقة إلى مصابيح المساجد الملونة، والأقداح والمزهريات التي تعود إلى العصور الوسطى، بالإضافة إلى مجموعة من المشغولات المعدنية.

كان الحرفيون المهرة يصنعون الأواني من البرونز أو النحاس أو الفولاذ، ثم يزخرفونها بالذهب والفضة، وتتنوع ما بين الأسلحة والدروع والأدوات العلمية إلى القطع المنزلية، وتعتبر مجموعة مقتنيات المتحف من المشغولات المعدنية من أفضل ما صنع في العالم الإسلامي من القرن السابع إلى زمننا الحديث.

كما تضم المجموعة أكثر من ٨٠٠ مخطوطة تندرج ضمن المخطوطات القرآنية التي تعود إلى القرن السابع، وإلى أعمال عثمانية من القرن التاسع عشر، ومن أمثلة المخطوطات النادرة المصحف العباسي الأزرق الكبير، ويعتبر من أجمل وأندر المخطوطات في العالم الإسلامي، حيث يعرض المتحف صفحتين من أصل خمس صفحات معروفة فقط، تعود لأكبر مصحف في العالم، والمعروف باسم مصحف بيسونغور التيموري.

وتحوي مقتنيات متحف الفن الإسلامي بعضا من أجمل نماذج السجاد والأزياء، ومجموعة واسعة من الأقمشة التي كانت تصنع للنخبة في العالم الإسلامي.

مكتبة المتحف

ومن أركان المتحف المميزة المكتبة التي تضم ١٠٠٠٠ كتاب من الكتب

المتخصصة والدراسات حول الفن الإسلامي، ومراجع فنية، وكتالوجات للمعارض والمقتنيات الفنية، ودوريات حول الفنون، بما فيها كتالوجات المزادات.

وتضم المكتبة أيضا مجموعة من الكتب النادرة تزيد على ٢٠٠٠ كتاب باللغتين العربية والإنجليزية، معظم هذه الكتب غير متوفرة في أي مكان آخر في المنطقة، وتم تحويل معظم هذه الكتب إلى الشكل الرقمي، ويمكن الاطلاع عليها من خلال كتالوج المكتبة.

وتتوفر بالمكتبة غرف للبحث والدراسة، كما تتوفر أجهزة كمبيوتر وخدمات النسخ والتصوير الضوئي، لكن نشجع الباحثين على استخدام حواسيبهم المحمولة الخاصة.

الجناح التعليمي

ويضم المتحف أيضا الجناح التعليمي الذي يحتوي على قاعات للمحاضرات، ومكتبة مجهزة، وغرف للعمليات والمرئيات التي تعزز جوانب التعليم والبحث في مجالات الفن الإسلامي،

حيث يقدم باحثون وأمناء عالميون محاضرات دورية حول مقتنيات متحف الفن الإسلامي، إضافة إلى بعض المواضيع ذات العلاقة، وتقدم مجموعة متنوعة وشيقة من المحاضرات والبرامج للشباب، بدءا من الورش والفعاليات الفنية، وصولا إلى المحاضرات التي يقدمها كبار الباحثين والأمناء.

وتقدم مجموعة مقتنيات المتحف فرصة فريدة لاستخدام أعمال الفن الإسلامي التاريخية لاستكشاف مجموعة من مواد المنهج الدراسي في كل مناحي التعليم، وتدعم المناهج المعتمدة من قبل المجلس الأعلى للتعليم، حيث تقدم برامج تعليمية ممتعة ومواد للمجموعات المدرسية من كافة الأعمار.

وتعتبر إدارة المتحف أن التعلم في متحف الفن الإسلامي رسالة حضارية، وفي هذا الإطار قالت الشيخة المياسة بنت حمد رئيسة مجلس أمناء هيئة المتحف: إنهم في قطر يأملون في أن يكون المتحف منارة علم للدارسين والباحثين من الدول القريبة من قطر، وكذلك البعيدة عنها.

ويعتبر متحف الفن الإسلامي بيئة ثرية يستطيع الأطفال فيها اختبار طرق مختلفة للتعلم، من خلال القطع والتحف الفنية، وبذلك يكون التعلم في المتحف تتمة طبيعية للتعلم في الصفوف، حيث يوفر المتحف جلسات تدريبية للمدرسين خاصة بهذا المنحى الفريد من التعليم، بالإضافة إلى غرف مخصصة لورش وندوات وصفوف المجموعات المدرسية، وكل هذه الجلسات مجانية.

ويستمتع عشاق الفن الإسلامي عند زيارة المتحف بالورش والدورات الفنية، وورش الخط العربي، وكلها مصممة من أجل أن يطلع من خلالها زوار المتحف على مقتنيات الفن الإسلامي، ويصنعوا تحفا فنية خاصة بهم، بالاستلهام من قطع تاريخية ترجع إلى الحضارة الإسلامية العريقة.

(أسست ١٢٩٠هـ) كواحدة من أوائل المدارس العربية النظامية في بلاد الحرمين

المدرسة الصولتية

د. محمد سعيد صمدي
مركز تكوين المعلمين والمعلمات ـ طنجة

يقول العلامة المؤرخ الشيخ محمد عمر رفيع: «المدرسة الصولتية أنجبت من العلماء والفضلاء من عينوا قضاة في المحاكم، سواء في العهد الهاشمي، أو في العهد السعودي»(١).

ولما زار الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله المدرسة سنة ١٣٤٤هـ برفقة زمرة من العلماء قال عنها قولته الشهيرة: «إن الصولتية هي أزهر بلادي».

مكة المكرمة.. البلدة العتيقة التي يحج إليها المؤمنون من كل فج عميق، وحرمها هو أول حرم تشد إليه الرحال، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(البقرة:١٢٥)، والمثابة هي الموضع الذي يثاب إليه، أي يرجع إليه مرة بعد أخرى.

شرفت مكة بهذا البيت العتيق الذي اختاره الباري تعالى رمزا لتمحيض العبودية وتوحيد الألوهية في الأرض تحت سقف البيت المعمور.. ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الحج:٢٦).

هكذا اقتضت حكمته تعالى أن يجعل من هذه البقعة الطاهرة مكانا محبوبا للمثابة، أي زيارته والعودة إليه تطهيرا وتقربا وزلفى.

قال تعالى:﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(القصص:٥٧)؛ وقال الرسول الكريم ﷺ: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»(البخاري).

الحرم المكي وظهور المدارس التعليمية

الناظر في تاريخ المسجد الحرام يجد أن هذه الروضة الطاهرة، إلى جانب رديفتها المنورة، الروضة النبوية، ستؤسسان لأول فضاءات الحلقات التعليمية العلمية التي ستظهر وتتطور مع البواكير الأولى لبروز الإسلام والحضارة التي ستبنى بعد هذا الظهور. وسيصبح للحرم المكي حلقات منتظمة لتحفيظ القرآن الكريم ومعاهد للدراسة، وإلى الآن مازالت تشتغل بعض هذه المعاهد مستفيدة من طرائق التدريس المعاصرة، محافظة على خصوصية التعليم الشرعي وأصوله.

وبنيت مكتبات وخزانات داخل الحرم لتكون المصادر قريبة من المتعلمين المنتظمين بمعاهد الحرم، ومازالت بعض المكتبات إلى

الآن خارج باحة الحرم، كـ«مكتبة الحرم المكي الشريف» التي أوقفها السلطان عبدالمجيد، و«مكتبة مكة المكرمة» التي جعلها الملك عبدالعزيز بذكائه وبعد نظره في المكان المبارك الذي ولد به المصطفى ﷺ، وليوظف الموقع توظيفا حضاريا ويستغل علميا وروحيا، بعيدا عن الأباطيل والأفاعيل المنافية لجوهر الرسالة المحمدية، وبالمناسبة لابد من مزيد اهتمام بمحيط هذه البناية الذي يلاحظ عليه الإهمال وغياب الرونقة.

وستظهر بعض المدارس خارج المسجد الحرام بالأحياء المجاورة، نظرا لعدة اعتبارات من أهمها: تكدس الطلبة المقيمين والآفاقيين . خاصة من مسلمي آسيا وإفريقيا. على معاهد الحرم مما اقتضى واضطر إلى التفكير في إيجاد مثل هذه المدارس التي اشتهرت داخل الحجاز وخارجه وذاع صيتها.

أبرز المدارس

ومن أبرز المدارس الشرعية التي ظهرت بمكة المكرمة «المدرسة الغياثية» أو مدرسة الملك المنصور التي بناها المنصور غياث الدين سنة ٨١٣هـ وأوقف عليها أموالا كثيرة، و«مدرسة قايتباي» وهي أكبر ما أنشئ للدراسة بجوار المسجد الحرام، أنشأها السلطان المملوكي «محمد قايتباي المحمودي» في القرن التاسع و«المدارس الأربعة» التي بناها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٢٧هـ، وأوقف عليها أموالا طائلة لتدريس المذاهب الأربعة، و«المدرسة الخيرية» التي أسسها العلامة محمد حسين بن يوسف الخياط المغربي المكي، والمدرسة العلمية الصامدة إلى الآن مدرسة «الصولتية»، كما أنشئت مدارس أخرى على غرار هذه الأخيرة، منها مدرسة الفلاح التي أسسها محمد زينل علي رضا سنة ١٣٣٠هـ(كانت أول مرة بالقشاشية ثم انتقلت إلى الشبيكة سنة١٣٦٨هـ)، يقول العلامة المؤرخ الشيخ محمد عمر رفيع عن هاتين الأخيرتين: «قد كان لكلتا المدرستين أطيب الأثر في تخريج ناشئة متعلمة كانت الدعامة الأولى للدوائر الحكومية عندما مست الحاجة. كما أن سابقتها المدرسة الصولتية أنجبت من العلماء والفضلاء من عينوا قضاة في المحاكم سواء في العهد الهاشمي، أو في العهد السعودي»(٢). وسنخص هذا التحرير بمدرسة الصولتية التي قدر الله لنا زيارتها موسم حج سنة١٤٢٧هـ.

مؤسس المدرسة

هو الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الذي ينتهي نسبه إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولد بقرية كيرانه التابعة لدلهي سنة ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٨م من أسرة تنتمي لأحد أشهر البيوتات الهندية المسلمة التي اشتهرت بالعلم والطب والمناصب العليا في عهد السلطنة المغولية المسلمة، وله باع طويل في تنظيم الجهاد ضد المستعمر الإنجليزي؛ بنفس المستوى الذي عرف به في محاججة المنصرين ومناظرتهم، ومن أشهر ما صنفه في الرد على شبهاتهم باللغة العربية والأردية والفارسية التآليف التالية:

١ . إزالة الأوهام ٢ . إزالة الشكوك ٣ . إعجاز عيسوي

٤ . أحسن الأحاديث في إبطال التثليث ٥ . البروق اللامعة

٦ . البحث الشريف في إعجاز النسخ والتحريف ٧ . معدل اعوجاج الميزان

٨ . تقليب المطاعن ٩ . معيار التحقيق ١٠ . إظهار الحق في الرد على المسيحيين والمبشرين.

وكلها طبعت بالهند، ماعدا البروق اللامعة، وتقليب المطاعن، وآخر كتبه «إظهار الحق» ألفه في إحدى زياراته للقسطنطينية بأمر السلطان عبدالعزيز خان.

خرج رحمه الله من الهند بسبب جور المحتل الذي كان يتربص به ويترصد خطواته بسبب ما كان يقوم به من دور في كفاح الاحتلال، وتحكي كتب ترجمته أن جيش الإنجليز فتش قريته «كيرانه» والقرى التي مر منها بيتا بيتا، وانتهب كل ممتلكاته الكثيرة التي ورثها عن أسرته وباعها بالمزاد العلني. خرج وعمره واحد وأربعون عاما، واستمرت رحلته إلى البلد الحرام سنتين كاملتين.

تعرف على الشيخ أحمد بن زيني دحلان، الإمام والخطيب بالمسجد الحرام وقتئذ، وبعد أن أدرك الشيخ دحلان مكانة الرجل العلمية ودقة فتاويه على المذهب الحنفي، أجازه إجازة التدريس بالحرم المكي، وسجل اسمه في السجل الرسمي لعلماء الحرم، وأذن الشريف عبدالله بن عون بن محمد أمير مكة المكرمة في عهد السلطان عبدالعزيز خان بالتدريس في المسجد الحرام.

مارس التدريس بالحرم لمدة تزيد على العقد من الزمان، وتبين له ضرورة إحداث تغييرات على النمط التقليدي الذي تدار به حلقات العلم، فسعى إلى تأسيس أول مدرسة منظمة على نفقته داخل الحرم سنة ١٢٨٥هـ على غرار مدارس الهند الإسلامية وغيرها.

روى عنه جمع غفير من الشرق والغرب، وبعد عمر حافل بالعطاء حيث عمر خمسا وسبعين سنة؛ توفي الشيخ ليلة الجمعة ٢٢من رمضان سنة ١٣٠٨هـ، وأكرمه الله بمجاورة قبره لقبر السيدة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بمقبرة

«المعلاة» التاريخية ببلد الله الحرام.

المدرسة في عهدها الأول.

التأسيس:

بدأ الشيخ رحمت الله تنفيذ تصوره التعليمي والتربوي داخل الحرم الشريف، إلا أن تزايد أعداد الطلبة من المكيين والآفاقيين. ومن الأسيويين بخاصة. كان يحول دون تحقيق ما يطمح إليه الشيخ المدرس، لذلك بدأ يفكر في ضرورة إيجاد مدرسة خارج الحرم، خاصة لما كان يسببه وجود أعداد كبير من الطلبة من تضييق على الحجاج والمعتمرين. فانتقلت المدرسة إلى دار أحد المحسنين من أثرياء الهند بدار السقيفة بمحلة الشامية، واشتهرت وقتها باسم «مدرسة رحمت الله» أو «المدرسة الهندية»، واضطر مرة أخرى أن يعيد الطلبة الحفظة للدراسة بالحرم الشريف بسبب الازدحام، وكان دائما يدعو الله أن يحقق أمنيته بإنشاء بناية مستقلة لمؤسسته.

فاعلة خير:

إذا كان جامع القرويين كأقدم جامعة إسلامية. بالمغرب الأقصى يرجع فضل بنائه إلى امرأة هي السيدة فاطمة الفهرية(٣)، فإن امرأة مؤمنة أخرى من ثريات الهند تدعى السيدة «صولت النساء بيغام» هي التي ستحقق رغبة الشيخ محمد رحمت الله، وستتشرف ببناء هذه المدرسة التي يعتبرها الدارسون أول مدرسة عربية نظامية بالبلد الحرام، وبالحجاز كله.

قدمت هذه الفاضلة سنة ١٢٨٩هـ من مدينة «كلكتا» حاجة بيت الله الحرام، وكانت ترغب في إنشاء رباط تقفه على الحجاج، وكان هذا النوع من الرباطات من أهم وأشهر الأوقاف المعروفة حينئذ، لكن الشيخ سيصرف نظرها عن ذلك لكثرة الأربطة مقنعا إياها بأهمية وأسبقية المدرسة، وكانت صولت النساء تسمع بابن بلدها الشيخ رحمت الله قبل مجيئها إلى الحج، خاصة في مجال محاججة ومناظرة المنصرين؛ فبادرت السيدة بالتبرع بمالها وفوضت الشيخ بشراء الأرض والإشراف على البناء بمحلة الخندرسة (وهو الموقع الحالي خلف شارع جبل الكعبة الممتد من ميدان الشبيكة في اتجاه التنعيم شمال مقبرة الشبيكة، وهو لا يبعد بضع دقائق من باب الملك عبد العزيز).

وضعت اللبنة الأولى لهذه المدرسة سنة١٢٩٠هـ، وتم افتتاح المدرسة وانتقال الطلبة إليها يوم ١٢ شعبان ١٢٩١هـ؛ وقرر الشيخ رحمت الله أن يطلق اسم مدرسة «الصولتية» وفاء لذكرى المرأة.

مرافق المدرسة:

بعد انطلاق الدراسة بالمؤسسة ستتوسع مرافقها رويدا رويدا، وسيغتنم الشيخ وجود ركام من الحجارة التي كانت تبنى بها مكتبة داخل الحرم قامت بهدمها الحكومة العثمانية لقربها من بئر زمزم الذي غطي الآن ولمضايقتها للحجاج، فعمل على حيازة هذه الحجارة تبركا بها فبنى بها مسجدا أمام المدرسة مازال إلى الآن عامرا بطلبة المدرسة، كما عمل الشيخ على بناء سكن خاص بالطلبة الفقراء والوافدين. وأنشأ مكتبة خاصة بالمؤسسة، ظلت تتسع وتكبر إلى الآن من خلال التحبيس والشراء والإهداء، وقد ضاقت الآن جنباتها، ونسأل الله أن يمنح المؤسسة فضاء أرحب لهذه المكتبة العامرة.

الرقم ٢٧١/٢٩٥٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية
إدارة البحوث الإسلامية

لمن يهمه الأمر

يعتبر حملة الشهادات الثانوية وشهادة أتمام الدراسة بالقسم العالي بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة، حاصلين على الشهادة الثانوية لمعهد البحوث الإسلامية (نظام قديم) ولهم الحق في الالتحاق بالكليات النظرية بجامعة الأزهر، طبقا لقرار لجنة معادلات الشهادات الأجنبية بالشهادة الثانوية الأزهرية في جلستها السابعة المنعقدة في ١٨/٧/١٩٦٤ م

هذه الشهادة تحرر لحاملها بناء على طلبه بدون أي مسئولية قبل الأزهر.

مدير
البحوث والنشر
(دكتور عفيفي عبد الفتاح)

٢٩ من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ ....
٢٠ من مارس سنة ١٩٦٦ م ....

المدرسة الصولتية
في
مكة المكرمة
(تأسست عام ١٢٩١هـ)

بسم الله الرحمن الرحمن

تشهد ادارة المدرسة الصولتية ان طالب العلم (... الح بن محمد زعزوع) المولود بمكة المكرمة عام ١٣٢٩هـ حواحد ابناء السنة الثاني بالقسم الثانوي وقد ادى الاختبار النهائي لعام ١٣٦٢ هـ ونجح في الدرجة الثالثة فاجابة لطلب ولي امره وبهذا الدرجة تحصيله اعطيت له هذه الشهادة وكان المذكور مثال النشاط وحسن السلوك .

وترجوله ادارة المدرسة من الله التقدم ، ورخ ١٩/٥/١٣٦٢هـ

مدير المدرسة

وضياء صاحب الزيادة

صالح زعزوع

إلى جانب جهود الشيخ رحمت الله في إرساء أركان المدرسة والبحث عن مصادر التمويل والإشراف على شؤون الإدارة والتسيير كان يمارس دوره في التدريس، إلى جانب العلماء الذين تناوبوا على العمل بمؤسسته.

وقد تتلمذ على يده جمع غفير ممن ساروا من أعيان وأعلام مكة كالشريف حسين بن علي أمير مكة، والشيخ عبدالرحمن سراج مفتي الحنفية، والشيخ أسعد دهان قاضي مكة سابقا، والشيخ محمد الخياط المغربي المذكور آنفا، والشيخ حسين المالكي مفتي المالكية بمكة، وغيرهم كثر من مدرسي المسجد الحرام. أما أشهر خريجي المدرسة من المتأخرين فنذكر منهم:

- العلامة الشيخ حسن بن محمد المشاط(ت ١٣٩٩هـ).
- العلامة محمد زين الدين الأنفناني مؤسس مدرسة «نهضة الوطن الدينية الإسلامية للبنين والبنات»(ت ١٤١٨هـ).
- العلامة محمد ياسين الفاداني المكي(ت١٤١٠هـ).
- العلامة السيد محمد علوي بن عباس المالكي(ت ١٤٢٥هـ)..

وغيرهم.

وبعد وفاة الشيخ رحمت الله تناوب على تسيير شؤون المدرسة أحفاد شقيقه «علي أكبر» إلى الآن، وهم على التوالي الأشراف:

- الشيخ محمد سعيد بن علي أكبر(ت ١٣٥٧هـ).
- الشيخ محمد سليم بن محمد سعيد(ت١٣٩٧هـ).
- الشيخ محمد مسعود بن محمد سليم(ت ١٤١٢هـ).
- الشيخ ماجد سعيد بن محمد مسعود، وهو يدير المدرسة إلى الآن، بارك الله في عمره، وقد شرفني باستقبال حافل ينم عن أصالة هذه الأسرة وعراقتها، ويلاحظ الزائر السهر والصيانة اللتين تسهر عليهما هذه الأسرة حفاظا على هذه الأمانة، إلى جانب التطوير والتجديد مسايرة للمستجدات والحاجة العلمية.

صور شعرية في مدح المدرسة:

تتميز مثل هذه المدارس العلمية بالشعور الحميم الذي يسم الجو العام للدراسة وما يتخللها من مناسبات واحتفالات اختتام الكتب أو السنة الدراسية، وفي مثل هذه المناسبات تجود قرائح الشعراء بما يعبر عن نورانية هذه الفضاءات وإشعاعها الروحي، ويجمل بنا أن نختم تعريفنا بمعلمة الصولتية بالمقتطفات الشعرية التالية:

قال الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي رحمه الله:

أم المدارس لا برحت عظيمة
بالنور يبزغ من سناك وينشر
قد خلد التاريخ عنك مآثرا
يزهو بها العلم الصريح ويفخر
قد كنت أول معهد باهت به
أم القرى وهفا إليه الأكثر
وتثقفت فيك الرجال على التقى
والشرق في فوضى الهوى يتدهور
فامضي إلى الأهداف واسعة الخطى
فلأنت أحرى بالثناء وأجدر

وقد تغنى شاعر طيبة الشيخ محمد ضياء الدين الصابوني، في قصيدة طويلة بمناسبة الحفل السنوي لختم الكتب، بالمدرسة وإدارتها وطلابها فقال أواخر سنة١٤٢٤هـ:

جئنا نهنئ والعواطف ثرة
أبناءها المتفوقين فحيهلا
والفرحة الكبرى تعم قلوبنا
وتزيدنا أملا بطلاب العلا

حيوا مدير «الصولتية» ماجدا
قد كان في دنيا «الإدارة» مشعلا
هي معهد قد شع في أم القرى
فلقد تبوأ في المعاهد منزلا
العلم في أرجائها متألق
ولقد أصاب من الجهالة مقتلا
يا طالبا في «الصولتية» جاهدا
فعليك بالتقوى تصير مبجلا
تقوى الإله سعادة وتجارة
فإذا اتقيت الله فزت بها على...

وفي احتفالات آخر سنة ١٤٢٦هـ قال أيضا في قصيدة طويلة:

الجد بالجد، لا باللهو والكسل
فاربأ بنفسك أن تلفى مع الهمل
يأيها الطالب المحمود سيرته
ثابر على الدرس والتحصيل والعمل
أنت الذي جعل التعليم غايته
فأنت حقا ملء السمع والمقل
في «الصولتية» طلاب جهابذة
تحصنوا بسلاح العلم والمثل
إني طربت وهزتني عواطفكم
فرحت أختال مثل الشارب الثمل
يا «ماجد» وله في الفضل منزلة
أحي مآثرها وحل من عقل
إني أشارك إخواني بفرحتهم
فهذه ساعة الأفراح والجذل
وكم لنا ذكريات حلوة معهم
وأروع الذكريات ما رأت مقلي

ويوصي الشيخ إسماعيل الزين رحمه الله خيرا بهذه المدرسة والحفاظ عليها في قصيدة نظمها سنة ١٤٠٢هـ قائلا:

إنها «الصولتية» بوأها الله
بأم القرى مقاما جديرا
رحمت الله مبتداها أساسا
فكفاها بذاك فخرا فخورا
وسعيد من بعده فسليم
قد رعوها وجانبوا التقصيرا
وهي الآن حظها السعد بمسعود
وبنجله ماجد ظهيرا
شرع مجدها بماض وبالحا
ضر وآت لا تقبل التغييرا
أيها القائمون دوموا على العهد
الذي صار فيكم مذكورا(٤).

الخاتمة

وما ينبغي أن نختم به هذا الحديث، هو: إذا كانت «الصولتية» منذ نشأتها قد أنجبت علماء كبارا خدموا المملكة في قطاعات مختلفة، فإنها ومنذ أمد تعنى وتحرص أشد ما يكون الحرص على مد الثغر الإسلامي الآسيوي. الإندونيسي والباكستاني بخاصة. بهذه الزمرة من الخريجين الذين يعودون إلى بلدانهم وقد تشبعوا بالمعرفة الإسلامية من أطيب بقعة.

وتبقى ملاحظة يجب تسجيلها هنا وتتعلق بغياب تدريس بعض اللغات الأجنبية الأساسية حتى يستطيع المتكون المتخرج من التواصل والتفاهم إذا ما كتب له أن يمارس دوره الإشعاعي في بلدة غير عربية من هذا الكون، وخاصة أن المدرسة تستقبل من المسلمين العجم الكثير. وقد علمت من خلال لقائي السريع مع العالم الأستاذ الفاضل الذي يدير هذه المؤسسة أنه يتقن أكثر من لغتين، مما يحقق له تواصلا أوسع وتعريفا أكبر بهذا الإرث الذي يسهر على صونه وتسييره.

رحم الله السيدة «صولت النساء بيغام» وأثاب الشيخ «محمد رحمت الله» الثواب الحسن، وبارك الله في جهود الخلف من القائمين عليها، الذين يواصلون ويقاومون إكراهات الحفاظ على هذا الإرث العلمي الصامد، الذي ولد في بطن الحرم وكتب له العيش خارجه بما يقل عن ميل واحد، ويعلم الله أن المدرسة لو بقيت كما كانت في عصرها الأول داخل الحرم لكانت الآن مما يقرأ في كتب المصادر والتاريخ والآثار فقط، ولا ذكر لها عند أهل هذا العصر.

الهوامش

(١) مكة في القرن الرابع عشر الهجري: ٢٠٣، الطبعة ١، مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شيدت السيدة فاطمة الفهرية جامع القرويين بفاس سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م)، وكانت تصوم طوال مدة البناء، وكان الإمام المولى إدريس بن إدريس المؤسس الأول لدولة الإسلام بالمغرب الأقصى قد اشتهرت دعوته في أول خطبة جمعة له بفاس بمناسبة إنشاء هذه المدينة قائلا: «اللهم إنك تعلم أنني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد فيها، ويتلى كتابك وتقام حدودك، وشرائع دينك، وسنة نبيك ﷺ ما بقيت الدنيا...».

(٤) القصائد مثبتة في المجلة الصولتية التي أصدرتها المدرسة بمناسبة اختتام السنة الدراسية لموسم ٢٥. ١٤٢٦هـ، أهداني نسخة منها الأستاذ المدير ماجد سعيد حفظه الله.

المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره

التقْتيشُ والتَّصْنيفُ ونَقْدُ الأُصُولِ

د. أحمد خليل الشال
عضو لجنة السيرة والتاريخ الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف - مصر

تكلمنا في الحلقة السابقة عن مقدمة عامة ينبغي للباحث في التاريخ الإسلامي أن يعتني بها، قبل الخوض في دراسة تاريخ هذه الأمة، وننتقل الآن إلى الخطوط العريضة التي ينبغي أن يسير عليها منهج البحث فيما يخص دراسة التاريخ الإسلامي.

أولا: الجمع والتقميش

وتلك أولى خطوات المنهج في رأيي، لمن أراد الخوض في دراسة أية حقبة من تاريخ الإسلام، إذ إن تراث هذه الأمة- في مصادرها ومروياتها- جمع المتناقضات أحيانا، وفيه الغث والسمين.. مما يعني وجوب الاستيعاب، من أجل ألا يفوت الباحث شيء قد يكون له أهميته في اكتمال صورة بعينها، أو في منهج دراستها، من حيث قبول الخبر أو رده من جهة، ومن حيث التفسير من جهة أخرى.

وتلك سنة اتبعها أكثر المتقدمين، حتى ظهرت في مقولة بعضهم: «إذا كتبت فقمش، وإذا حدثت ففتش»(١)، ومعناه عندهم كما يقول السخاوي: «يقولون: إذا كتبت فقمش، أي جمع ما وجدت، وإذا حدثت ففتش، أي تثبت عند الرواية»(٢).

وتتمثل هذه الخطوة في عملين اثنين:
الأول: جمع المصادر والأصول قدر الطاقة، فإن النقص في جمع المصادر قد يؤدي إلى التقصير في بنيان صورة حدث بعينه، بفقدان بعض جوانبه.
الثاني: حصر مرويات الخبر على وجه الاستيعاب، وذلك من أجل قيام عملية التمحيص على الوجه الأمثل.
ويدخل هذان الأمران عند المتقدمين فيما يعرف بجمع الباب، وهو أمر مهم جدا، وإهماله سيؤدي إلى نتائج قاصرة، بل أحيانا غير صحيحة. وقد ورد في ذلك(٣) قول علي بن المديني: «الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه». وقال عبدالله بن المبارك: «إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضه ببعض». وقال يحيى بن معين: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه»، أي لم يدرك موضع الخطأ من الصواب. وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: «كل حديث لا يكون عندي من مائة وجه، فأنا فيه يتيم». يريد طرقه وعلله واختلاف ألفاظه.
وقال أبو بكر الخطيب: «السبيل إلى معرفة علة الحديث أن يجمع بين طرقه، وينظر في اختلاف رواته، ويعتبر بمكانهم من الحفظ، ومنزلتهم من الإتقان والضبط». وقال مسلم: «فبجمع هذه المرويات ومقابلة بعضها ببعض يتميز صحيحها من سقيمها».
قلت: ذلك أني وجدت أن الاعتماد على مجرد التصديق المطلق للرواية، أو الراوية، أو المصنف، سيؤدي إلى قبول القول ونقيضه، والشيء وضده.
وليس معنى الباب عندي هو ما يظنه بعض المعاصرين بأنه ذلك الجمع للطرق والمتابعات والشواهد للرواية الواحدة، بل صورته عندي أن أعمد إلى واقعة بعينها هي محل الدراسة، فأقرأها كلها من مروياتها الخاصة بها، ثم أدرس كل رواية من تلك المرويات التي تخص تلك الواقعة على حدة، ثم أصنف ما ظاهر إسناده الصحة على حدة، وما ضعف إسناده على حدة، ثم لا أكتفي بذلك حتى أقرأ ما يتصل بها من حوادث وقتها- حتى وإن كانت تلك الحوادث ليست من موضوع الواقعة التي أبحث فيها- وما ذلك إلا لكي أستكمل الصورة الصحيحة للمشهد التاريخي عند التفسير والتأويل لواقعتي محل الدراسة، أبتغي من وراء ذلك الاستفادة من تلك الإشارات الموجزة غير المقصودة- التي كانت تلمح بها المرويات الصحيحة هنا وهناك في وقائع أخرى- لشيء في واقعتي محل الدراسة.. ومن ثم الحكم عليها بمقتضى ما ينبغي في ضوء تلك القراءة الجامعة، فإذا ثبت لي يقينا صحة الرواية إسنادا ومتنا، ظاهرا وباطنا، أدخلتها فيما أسميه عندي بمرويات الباب، وهو ما قطعت بصحته، وجعلت ما دون ذلك فيما لم يصح من الروايات، وما أشق هذا الأمر وأصعبه!
وهذا في الحقيقة منهاج لم أبتدعه، وإنما هو منهاج الرعيل الأول من فحول علم الرواية والنقد، وجدت كثيرا من المتأخرين يعرض عنه لما يحتاجه من مشقة وصبر وجلد، فكان يستعاض عنه بالحكم على إسناد رواية بعينها فقط، والمجد منهم يتوسع فيما يعرف بجمع المتابعات والشواهد، الأمر الذي أدى إلى قصور شديد في كثير من الدراسات المعاصرة.
وتتمثل أهمية هذا المنهاج في أنه ينتج للباحث ميزانا- يتمثل فيما أطلقت عليه مرويات الباب- يقيس به كل مرويات الواقعة، سواء التي وقف عليها أو التي لم يقف عليها في حينها. كما أن من أهم ثمراته وفوائده دفع الاضطراب والتناقض الذي رأيته عند بعض المعاصرين، بسبب اعتمادهم آحاد الرواية أصلا عند النقد والاحتجاج، الأمر الذي كان يؤدي إلى قبول المتناقضات أحيانا في الباب الواحد.
وعلى أية حال، فإن أهمية هذه الخطوة تتمثل في كونها خطوة سابقة، وسبيلا ممهدة للخطوة التالية.

ثانيا: ترتيب الأصول والنصوص

وتتمثل صورة الترتيب في أمرين اثنين أيضا:
الأول: الترتيب الزماني (التاريخي) للمصادر والروايات، ولذلك أهميته من حيث معرفة أصل الخبر، ثم مراحل انتقاله وأطواره، ثم انتهاؤه.
الثاني: الترتيب المكاني (الجغرافي) للمصادر والروايات، إذ إن في ذلك تحديد مسارات الخبر عند انتقاله، ومدى تأثير المكان وأهله في محتواه. فإن لأهل كل مصر اختصاصهم أحيانا في مروي بعينه، ناهيك عن أثر أهواء أهله ومذهبهم في الرواية.. ومعلوم مدى تأثير الأهواء في بناء الخبر.
ولعل فيما سبق من مقولة لسفيان بن عيينة خير معبر عن ذلك حين قال: «من أراد المناسك فعليه بأهل مكة، ومن أراد مواقيت الصلاة فعليه بأهل المدينة، ومن أراد السير فعليه بأهل الشام، ومن أراد شيئا لا يعرف حقه من باطله، فعليه بأهل العراق».

ثالثا: تصنيف الأصول

وفي هذا المعترك وبه، تتباين دراسة عن أخرى، وباحث عن آخر، والتقصير فيه خطير، وترجع دقة التصنيف لمدى درجة تمكن الباحث ومهارته في معرفة أحوال الرواة والمصنفين.
ومن ثم، فإن هذا الأمر يتمثل في:
١- معرفة توجهات وميول أصحاب الأصول.
٢- معرفة الجرح والتعديل لرواة الأخبار والنصوص.

وكلاهما أمر أدركه القدماء تمام الإدراك، فيسروا السبيل فيه لمن بعدهم تمام التيسير، بما صنفوه في هذا الباب من كتب الرجال، والجرح والتعديل.

رابعا: نقد الأصول

ونقد الأصول يعني التمحيص عن طريق السبر والاعتبار، وهو- أعني طريق الاعتبار والسبر- منهج يقوم على تتبع مرويات الباب الواحد وجمعه بالاستقراء الكامل قدر الطاقة، ثم سبرها بعرض بعضه على بعض، لكشف مواضع الاتفاق والاختلاف، وبذلك يتم تشخيص الداء الذي يتم التعامل معه، وفق قاعدته المصطلح عليها عند أهل هذا الفن.

لذلك كان الاعتبار عندهم ميزان الرواية الذي به يستبين المحفوظ والصحيح والثابت، من الغريب والمنكر والشاذ والباطل والموضوع.. وسبيل ذلك عندهم- كما في لسانهم- جمع الباب.. وهذا أمر- أعني جمع الباب- سبق توضيحه.

ومظنة تطبيق هذا المنهج في الرواية التاريخية، إنما يكون في أمرين اثنين، إسناد الخبر، ومتنه.. فإنه كما سبق وأشرت أن النقد يقوم في أصله عند أصحاب هذا التاريخ الذي ندرسه، على الجمع بين نقدين: نقد للإسناد، وهو ما اختص به المحدثون في زماننا. ونقد للمتن، وهو ما يقوم عليه المنهج التاريخي في دراساتنا المعاصرة.. ولا ينبغي تقديم واحد على الآخر ما دمنا في حقل الرواية، تاريخية كانت أو حديثية، أو أخبارية.

أولا: نقد الأسانيد، ويكون ذلك وفق المنهج المعتبر به عند أهله، وهم هنا أهل الحديث، فهم أصحاب هذا المنهج الدقيق، الذي به نصل به إلى قبول متن الخبر- محل الاستشهاد- أو رده، وتحكيم أي منهج آخر غيره لا يقيم دراسة صحيحة بحال، ما دمنا نبحث في حقل الرواية الإسلامية.

ولكن بحكم وقوع دراسات التاريخ والأخبار في الدراسات المعاصرة في ميدان قسم التاريخ، سيكون أمام الباحث حجر عثرة، وهي تلك النظرة لمنهج الدراسات المعاصرة التي تفصل دائما بين علوم وعلوم بزعم التخصص! وهذا أمر لم يعرفه أكثر القدماء عند نظرهم في علومهم التي ندرسها الآن، وخاصة المؤرخين منهم، فهم كما كانوا مؤرخين، فقد كانوا أيضا محدثين، وفقهاء، وأدباء .. وهم حين كتبوا تاريخهم لم يكونوا بمعزل عن هذه العلوم التي أثرت تأثيرا واضحا فيما كتبوه أصلا وغاية، فكيف ندرس تاريخهم بعد ذلك مجردا من هذه السمة التي غلبت عليهم؟!

ذلك أن التاريخ والأخبار في صدر الإسلام إنما هما جزء من علوم الرواية، ومن ثم فلم يفصل المسلمون الأول بينهما وبين غيرهما من علوم الرواية الأخرى، من حيث منهاج العرض والنقد.. ذلك أن من نقل إلينا الحديث نقل أيضا التاريخ والأخبار والأدب.. ومن ثم فإنه لا يجوز لنا بحال عند الحديث عن أي علم يدخل عند المسلمين في هذا العلم العام- علم الرواية- أن نفصل بين بعضه البعض، بمنطق التخصص المعاصر الذي لم يعرفه القدماء.. فالتاريخ والأخبار والسنن والقراءات والشعر.. كلها أجزاء داخلة في أرومة هذا العلم العام، نشأت فيه، وأحيطت بسياجه، وعوملت بمنهاجه، وإن تفرعت أبوابه.. وعليه، فإن أي فصل بينها عند الحديث عنها في هذا الزمان المبكر سيؤدي إلى نتائج مغلوطة.

وأما ما يزعمه البعض وذكر آنفا: أنه لو طبق هذا المنهاج- منهاج علم نقد الرواية كما هو عند أصحابه الأول- على التاريخ ما بقي في أيدينا شيء يعتد به. فأقول: إنه تأكد لي أن دراسة تاريخنا الإسلامي عامة، وفترة القرون الثلاثة الأولى خاصة، بغير منهاج نقد الرواية المعروف الآن عند المحدثين، تعني نقصا شديدا في منهج الدراسة، واضطرابا مخلا في نتائجها، بل إني أذهب إلى أبعد من ذلك، وهو وجوب اعتماد هذا المنهاج ما دامت الدراسة في ذلك العصر، إذ بدا لي أن الرواية التاريخية تحتاج في نقدها إلى منهاج أشد من منهاج المحدثين إن وجد! ذلك أن معنى تساهل المتقدمين في الرواية التاريخية الأخبارية دون الحديثية أوقعهم في رواية مرويات من الوهن بمكان، تحتاج في تمحيصها إلى شدة وصرامة لا تقل شأنا عن تلك التي تعامل بها مرويات الحديث، زاد في ذلك سكوتهم عنها غالبا- وهذا من باب التساهل في الرواية التاريخية الذي صرح به القدماء- عن مثل هذه المرويات؛ لعلمهم بحالها في هذا الزمان المتقدم، فأخذها اللاحقون عليهم فاحتجوا بها.

ثانيا: نقد المتون، وفيه تعترك العقول والأفهام، إذ إنه يختلف- لا شك- من باحث لآخر، وذلك تبعا لمنهجه في دراسة الإسناد، ثم تبعا لدرجة تحكمه في أهوائه ونوازعه، وهذا القسم هو مظنة التفسير دائما للحدث المخبر عنه في هذا المتن أو ذاك.

وآخر ما بقي في باب النقد هو التنبيه على وجوب اجتهاد الباحث في الأحكام على المرويات رأيه ولا يألو، فإذا وافق الحق مضى، وإلا خالف بالدليل والحجة والبرهان، إذ لا شيء أبغض إلى نفسي من العصبية والتقليد اللذين قد يوردان صاحبهما المهالك.. وهذا أمر لاحظته في كثير من الدراسات المعاصرة، الأمر الذي كان يؤدي إلى تراكم الأخطاء بعضها فوق بعض، طبقة بعد طبقة، باتباع اللاحق فيها للسابق، وكم يفتح ذلك علينا مصارع أبواب ينفذ أعداؤنا منها ونحن لا نشعر.

الهوامش

(١) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع، برقم ١٦٧٠.

(٢) فتح المغيث ٤١٩/٢.

(٣) راجع كتابي: علم التاريخ عند المسلمين، ص٢٠٣.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
الباحث بوحدة البحث العلمي
-إدارة الإفتاء-

الفتوى والتيسير ورفع الحرج (٣/٢)

يعتبر الإفتاء منصبًا كبيرًا، وعملا خطيرًا، يتولى صاحبه تعليم الناس أحكام دينهم، وتوضيح طريق الشرع لهم، وبيان الحلال والحرام، والجائز والممنوع، ويقوم فيهم مقام النبي ﷺ في وراثته لعلم الشريعة، وتبليغها للناس.

ولذا تورع كثير من السلف عن الإفتاء، وتدافعوا الفتوى بينهم، كل يود أن يكفيه أخوه مؤنتها ويقوم بواجبها. بل كانوا يتورعون عن التصريح بالحرمة والحل أحيانًا كما قال الأعمش رحمه الله: «ما سمعت إبراهيم النخعي قط يقول حلال ولا حرام، إنما كان يقول: كانوا يتكرهون، وكانوا يستحبون» «سنن الدارمي» (٦٤/١).

ومن هنا؛ فإن العلماء وضعوا للمفتي شروطًا عدة لا يتقلد الإفتاء إلا بتحققها فيه؛ كالعلم، والعدالة، والورع، والتثبت، وغيرها، ووضعوا للتيسير فيها ضوابط يجب الالتزام بها حتى لا تخرج عن المعهود الشرعي، والقصد الإلهي.

وقبل الحديث عن ضوابط التيسير في الفتوى لا بد من مقدمات أربع ممهدة للموضوع هي:

١ - الدين يسر: ففي الحديث أوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن فقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» (متفق عليه).

وقد أخبر الله تعالى أنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾(البقرة: ١٨٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن دين الله يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه» (متفق عليه).

ومن هنا تميزت سيرة سلف الأمة بهذا

الرغبة في الوقف دون الجزم به

(٣٤٦/٤٣٦/١)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي:

لي عمة أبدت لي رغبتها قبل وفاتها بسنة واحدة بأن توقف بيتها على مسجد، وطلبت مني أن أذهب إلى وزارة الأوقاف لأعرض عليهم هذه الفكرة، إلا أنني انشغلت عن إتمام هذه المهمة، والآن وقد تم بيع البيت وأخذ الورثة نصيبهم من هذا البيت.

والسؤال الآن هو: ما مصير حصتي من هذا الإرث، هل تعتبر وقفًا؟ مع العلم أن عمتي ليس لها أولاد.

أجابت اللجنة بما يلي:

إنه إذا قالت له وهي في مرض موتها: (وقفت بيتي هذا على مسجد من المساجد) نفذ هذا الوقف من الثلث، أما إن قالت هذا وهي في صحتها نفذ في الكل وصار وقفًا لا يحل له تملكه.

أما إذا قالت كما ورد في الاستفتاء (أرغب أو أود) فإن هذا لا يعتبر وقفًا، ويعتبر تركة يحل له أن يتملك نصيبه منه. والله أعلم.

تعديل شروط الوقف بعد وفاة الواقف

(٧٣٨٤ /١٤٧/٢٣)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي:

هل يجوز للناظر أن يغير أو يبدل بشروط صيغة الوقف بعد وفاة الواقف؟ أفيدونا أفادكم الله تعالى.

أجابت اللجنة بما يلي:

الوقف الخيري يصبح لازمًا بوفاة الواقف ولا يجوز الرجوع عنه ولا تعديل شروطه الصحيحة. والله أعلم.

وقف أكثر من ثلث التركة بعد الموت للورثة أو غيرهم

(٤٠٦٣ /١٥٩/١٣)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي:

من كان له ورثة يجوز له أن يوقف جميع تركته لغير ورثته زمن حياته، ويستمر الوقف بعد وفاته، لكن هل يجوز وقف أكثر من ثلث التركة بعد موت المورث للورثة أو لغير الورثة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان الواقف عاقلا رشيدًا صحيحًا غير مريض مرض الموت؛ فإن وقفه صحيح قضاء بشروطه، ولو استغرق المال كله، أما من حيث الديانة؛ فإن أراد به مضارة الورثة أثم رغم صحة الوقف، وإلا لم يَأْثَمْ، أما المريض مرض الموت إذا كان عاقلا رشيدا؛ فإن وقفه صحيح على غير الورثة بشروطه، ولكن في حدود ثلث ماله فقط، وأما إذا زاد عن الثلث فموقوف على إجازة ورثته بعد موته، وإلا بطل؛ لأن الوقف نوع تبرع وهو في حال الصحة جائز مطلقًا، أما في مرض الموت فإنه

المنهج النبوي حتى قال عمر بن إسحاق: «لما أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم؛ فما رأيت قومًا أيسر سيرة ولا أقل تشديدًا منهم»، «سنن الدارمي» (٥١/١).

٢ - المجتهد مصيب ومخطئ: ويدل على ذلك حديث النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب؛ فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ؛ فله أجر» (متفق عليه).

فالاختلاف بين أهل العلم في المسائل العملية واقع معروف؛ فكل مسألة لم يوجد فيها نص قاطع، ولا إجماع معتبر، ونزلت بالمسلمين؛ فإن حكمها عند الله عز وجل واحد، يوفق الله من شاء من عباده له، وإذا وقع فيها خلاف؛ فأحدهما على الحق، والآخر ليس كذلك، وإن ارتفع الإثم عنه.

٣ - حكم تتبع الرخص: أمر الله تعالى باتباع الحق، ونهى عن اتباع الهوى؛ فقال تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢٦﴾﴾ (ص:٢٦). فالواجب على المفتي في مسائل الخلاف أن ينظر بعين الباحث المنصف، والمستدل المجتهد، لا أن يتخير من غير نظر في الدليل والترجيح.

قال ابن القيم رحمه الله: «لا يجوز للمفتي أن يعمل بما شاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح، بل يكتفي في العمل بمجرد كون ذلك قولا قاله إمام، أو وجهًا ذهب إليه جماعة فيعمل بما يشاء من الوجوه والأقوال؛ حيث رأى القول وفق إرادته وغرضه عمل به؛ فإرادته وغرضه هو المعيار وبه الترجيح، وهذا حرام باتفاق الأمة»، «إعلام الموقعين» (٢١١/٤).

٤ - كل ما عارض النص فهو غير معتبر: أمر الله تعالى بتقديم كتابه وسنة رسوله ﷺ على ما عداهما، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴿١﴾﴾ (الحجرات: ١). وأمر بالرد إليهما عند النزاع؛ فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴿٥٩﴾﴾ (النساء: ٥٩).

وقد قرر أهل العلم قواعد فقهية لهذا الأصل؛ كقولهم: (لا اجتهاد مع النص)، و(الاجتهاد لا ينقض بمثله وينقض بالنص)، و(لا مساغ للاجتهاد في مورد النص)، إلى غير ذلك من القواعد.

فإذا تقررت هذه المقدمات، سهل على المفتي أن يتقرب إلى الله تعالى في التيسير على المستفتين في فتواه، وسهل على المستفتي أيضًا فهم مبدأ التيسير في الشرع؛ ولنتحدث لاحقًا عن ضوابط التيسير في الفتوى...

...يتبع

يعطي حكم الوصية، فينفذ في الثلث ويتوقف فيما زاد عن الثلث على إجازة الورثة.

أما وقف المريض مرض الموت على الوارث؛ فإنه موقوف على إجازة الورثة، سواء كان ضمن الثلث أو أكثر منه على سواء؛ لأن له حكم الوصية والوصية للوارث موقوفة مطلقًا، أما وقف المجنون والصغير وغير الرشيد فباطل مطلقًا لنقصان أهليته. والله أعلم.

انتقال الوقف الذري إلى خيري

(١٣/١٦٠/ ٤٠٦٤)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي: أوقف مسلم جميع ماله حال حياته لورثته، ولم يعين مدة الوقف، ومات جميع فروعه وأصوله، ولا يوجد أحد منهم؛ فهل يقع ماله فيئًا للمسلمين؟ وما العمل إذا وقف على فعل خيري ثم انقرض هذا الفعل؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إذا لم يعين الواقف لوقفه فترة كان وقفًا مؤبدًا يتعاقب عليه المستحقون بحسب شرط الواقف، فإذا انقرض الموقوف عليهم المنصوص عليهم في صك الوقف انتقل الوقف الذري إلى وقف خيري ينفق ريعه في وجوه البر والخير، فإذا كان خيريًا من أصله انتقل الريع إلى خيرات أخرى مقاربة للأولى، ولا يكون فيئًا في كل الأحوال. والله أعلم.

الاقتراض من مال الوقف

(١/٤٢٩/ ٣٣٧)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي: بشأن الإسهام من أموال الوقف الخيري في صندوق القرض الحسن بطريقة الوقف بقصد الإقراض.

أجابت اللجنة بما يلي:

إنه لا مانع من ذلك؛ لأنه من وجوه البر، ويفضل أن يكون مما اشتمل فيه شرط الوقف على وجوه الخيرات بدون تقييد. والله سبحانه وتعالى أعلم.

المقصود بعمارة الوقف

(١٨/٢٤٤/ ٥٦٨٣)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي: الرجاء إفادتنا عن المقصود شرعًا بعمارة الوقف؟

أجابت اللجنة بما يلي:

المقصود بعمارة الوقف أن يصرف على عين الوقف بقدر ما يبقيها على الصفة التي وقفت عليها في زمن الواقف، ولا تجوز الزيادة عليها إن لم يشترط الواقف ذلك، فإن اشترط الواقف الزيادة عليها لزمت. والله أعلم.

تاريخ الأمم والملوك للطبري

إعداد : خالد خلاوي

جمع كتاب «تاريخ الأمم والملوك» بين دفتيه أضخم عمل تاريخي، قائم على جمع الروايات التاريخية من مختلف المصادر التي تجمع تاريخ البشر، منذ بدء الخليقة حتى عام ٣٠٩ هـ، مما جعله أهم مصدر للتاريخ الإنساني عامة، والتاريخ العربي والإسلامي خاصة، وسار الطبري في كتابه على طريقة المحدثين، والتي تتمثل في أن يذكر الحوادث المروية، ملحقا إياها بالسند حتى يتصل بصاحبه، لا يبدي في ذلك رأيا في معظم الأحيان، وهذه الطريقة التي سلكها في معظم الكتاب، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب فيصرح باسم الكتاب أو ينقل عن المؤلفين من غير تعيين الكتاب الذي نقل عنه.

وقد اعتمدنا في التعريف بالكتاب في السطور التالية على بحث الأستاذ محمد خليفة التونسي، ضمن سلسلة «تراث الإنسانية»(١).

تعريف بالإمام الطبري

هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبوجعفر الطبري (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ - ٨٣٩ - ٩٢٣م)، مؤرخ ومفسر وفقيه، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ.

ولقد بلغ في عدة علوم شرعية وأدبية وكونية غاية ما يبلغ المختص في كل منها على حدة، مع سعة اطلاعه على غيرها، قال عنه مواطنه وكاتب سيرته عبدالعزيز بن محمد الطبري: كان أبوجعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة، وكثير من فنون أبواب الحساب، وفي الطب، وأخذ منه قسطا وافرا يدل عليه كلامه في الوصايا... وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي كان لا يعرف إلا الفقه، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها.

ومن أهم كتبه الأخرى: تفسير الطبري المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن، وكتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة، واختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، وصريح السنة، والفصل بين القراءات، وآداب القضاة، وآداب النفوس، وآداب المناسك.

محتويات الكتاب

يبدأ الكتاب بخطبة (مقدمة)، يليها تمهيد، ثم التاريخ، ويشمل تاريخ الخلق منذ بدأ حتى سنة ٣٠٢، وهو شطران يفصل بينهما الهجرة النبوية، وسنجمل فيما يلي كل قسم من أقسامه الأربعة، ونهجه الخاص به:

أ- الخطبة:

وهي تقع في ثلاث صفحات، وتبدأ باسم الله وحمده بما هو أهله من قدم وبقاء ووحدانية وقدرة، وتجرد عن المكان ولطف عن الإدراك، ثم شكره على فضله والإقرار بوحدانيته، ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وعبوديته لله الذي أرسله فنهض برسالته، ثم شرح حكمة الخلق، كما لخصناها حين وضحنا نظرة المؤلف التاريخية ودلالتها على طبيعته، ثم إشارة إلى موضوع الكتاب، وهو ذكر من انتهت إلى المؤلف أخبارهم منذ بدء الخلق من الرسل والملوك والخلفاء، مع جملة من حوادث الأمور في كل عصر منهم «إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر، وتطول به الكتب» ثم أشار المؤلف إلى أنه سيعهد لذلك بالكلام على ما هو أولى، وهو الزمان «ما هو، وكم قدر جميعه وابتداء أوله، وانتهاء آخره، وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شيء غيره، وهل هو فان، وهل بعد فنائه شيء غير وجه المسبح الخلاق تعالى ذكره، وما الذي كان قبل خلق الله إياه، وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه، وكيف كان ابتداء خلق الله تعالى إياه، وكيف يكون فناؤه، والدلالة على أن لا قديم إلا الله.. بوجيز من الدلالة غير طويل، إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك، بل لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضية وجمل من أخبارهم.

ثم أشار إلى أنه سيتبع ذلك بتاريخ النبي وصحابته وتابعيه ومن بعدهم.. ومن حمدت روايته أو رفضت وسبب ذلك، ثم أشار إلى أنه أدى ما وصل إليه كما وصل، لأن الأخبار تعرف بالنقل لا باستنباط الفكر والحجج العقلية، ويبرأ من عهدة ما ينقله من خبر قد يستنكر أو يستبشع، وأن العهدة في ذلك على الرواة لا عليه.

ب- تمهيد في الزمان وبدء الخلق:

يقع التمهيد في نحو خمسين صفحة، وفيه يوضح الزمان ما هو، فيعرفه بأنه ساعات الليل والنهار، وأن من معانيه المدة الطويلة أو القصيرة، ويحتج لهذه التعريفات بكلام العرب، وهي تعريفات عالم فقيه لغوي لا تعريفات فيلسوف، ثم يتكلم عن مقدار الزمان من بدئه إلى نهايته ويذكر الأقوال فيه.

ج- التاريخ البشري حتى الهجرة:

يبلغ هذا القسم نحو خمسمائة صفحة، وهو يستوعب بقية الجزء الأول وجميع الجزء الثاني إلا خمسين صفحة، وفيه يذكر المؤلف خروج آدم أين كان، وما تزود به في خروجه، وما وقع في عهده من أحداث، أهمها ما نسلته له حواء من بنين وبنات، فيذكر عددهم وتزويجه

هـؤلاء بـهـؤلاء، ليبقى النسل وتعمر الأرض، ويذكر اختلاف الرواة في ابني آدم اللذين قتل أحدهما الآخر، وسبب نزاعهما، وزمنهما، وهل هما ممن ولدت حواء لآدم أم هما من بني إسرائيل.

والمؤلف في تأريخه حريص على ذكر الحوادث المتعاصرة معا، ولو اختلفت موضوعاتها، ولم تكن لإحداها صلة بالأخرى إلا المعاصرة التي هي أقوى صلة بينها عنده، وهو على هذا المنهج يجري هنا، فيذكر عصر ملك فارسي أو أكثر، ويطيل في سيرته ويتبعها بحوادث عصره في الأمم الأخرى، فإذا فرغ من ذلك ذكر عصر ملك فارسي آخر أو أكثر من ملك، فيفعل مثل ذلك وهكذا.

د- تاريخ الإسلام منذ الهجرة حتى سنة ٣٠٢هـ:

هذا القسم أطول أقسام الكتاب وهو يستغرق أكثر من ثمانمائة وألفي صفحة، هي الصفحات الخمسون في آخر الجزء الثاني ثم صفحات الأجزاء التالية، من الثالث حتى الحادي عشر، وأساس توقيت هذا القسم هو التأريخ الإسلامي بالهجرة النبوية، على وفق السنوات الهجرية، فهو يذكر في سنة ما وقع فيها من حوادث، فإذا فرغ من أخبار سنة انتقل إلى غيرها، ويبدؤها بقوله مثلا: ثم دخلت سنة كذا، وفيها وقع كذا وكذا، وحين يشير إلى حادثة يذكر روايات عدة فيها، بأسانيدها مهما طالت، وقد تتداخل الروايات في الحادثة الواحدة في السنة الواحدة إذا كان في جزء منها أكثر من رواية، فهو يذكر الرواية في هذا الجزء، ثم يذكر رواية أخرى أو أكثر فيه أيضا، فإذا استوفى روايات هذا الجزء ذكر روايات جزء آخر على هذا النحو، ولو كانت بعض أسانيد الجزء الأول هي أسانيد الجزء التالي له، فإنه يبدأ روايات الأجزاء التالية بقوله مثلا: «عاد الحديث إلى رواية فلان» فترى رواية الراوي الواحد في أجزاء الحادثة الواحدة في السنة الواحدة مختلطة برواية غيره في هذه الأجزاء، مع أنها وقعت داخل سنة واحدة.

وفي هذا القسم -ولاسيما سنوات القرن الأول- يكثر المؤلف من رواية الخطب والأشعار والرسائل والمناظرات والكلمات البليغة، مما جعل كتابه جزءا مهما من تراثنا الأدبي، كما هو جزء من تراثنا التاريخي، وتأخذ هذه النصوص الأدبية في الضعف والقلة كلما اقتربنا مع الزمن من عصر المؤلف، حتى تتلاشى في سنواته الأخيرة، مما يدل على ضعف أساليب الحكام الذين يعنى المؤلف بأخبارهم، وأساليب المؤلفين الذين ينقل عنهم رواياته.

تقدير الكتاب وأثره

ليس في كتاب المؤرخين حتى اليوم ما يضارع هذا الكتاب في موضوعه، من حيث الأمانة والسعة والإحاطة بالوجهات المختلفة للروايات ورواتها، فهو في موضوعه عمدة المؤرخين في قسميه القديم والإسلامي، مع كل ما فيه من مآخذ ألمحنا إلى بعضها آنفا، فهو مرجع قيم لا يستغنى عنه في موضوعه، ولم يهمله فيه إلا من قصر عنه.

وهذا الكتاب مرجع لا نظير له في تاريخ الفرس الأقدمين، من أبعد عصورهم الغامضة حتى أحدثها، فلا غنى لمن يؤرخون عنه، ولقد عول عليه كل عارف به فيمن كتبوا في تاريخهم من القدماء والمحدثين، شرقيين وغربيين، وزاد في تقديره عند الغربيين نظرهم إلى الفرس نظر الأبناء إلى الآباء في أرومتهم الآرية، واعتدادهم بهذه الأرومة في الصراع العنصري، وبخاصة في القرون الأخيرة التي كثر فيها بينهم البحث عن الأصول البشرية، وتسلموا قيادة العالم، وطمعوا في تسخير سائر الأمم لمصالحهم القومية.

وكما عني سابقونا بالنقل عنه وباختصاره على ما فعل ابن الأثير، عنوا بتكميله، فوصله كثير منهم بين المشارقة والمغاربة، ومن هذه الصلات كتاب «الصلة» الذي ألفه عبدالله بن أحمد بن جعفر الفرغاني، وقد نقل عنه ياقوت، وكتاب الصلة الذي ألفه عريب بن سعد القرطبي، فانتهى به إلى سنة ٣٦٥، وتلاه محمد بن عبدالملك الهمذاني بكتابه «الصلة» فانتهى به إلى سنة ٤٨٧.

ولا نجد بعده كتابا ذا قيمة خلال تاريخنا القديم والحديث يعرض لتاريخ الإسلام وأهله وصلاته بجيرانه في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة -وهذا بعض موضوع الكتاب- إلا وجدناه يعول عليه كأوثق مصدر له وأوسع، ولا وجدنا مؤرخا قديما أو حديثا عرض لتقديره إلا زكاه وعظمه كيفما كانت مآخذه عليه، وفي بعض هذا برهان واضح على قدر الكتاب بين القدماء والمحدثين في أمم مختلفة، وعلى أثره في مؤلفاتهم التاريخية والأدبية، وهذا حسبه في عظمة القدر والأثر الذي يتجدد على اختلاف الأمصار والأعصار.

المصدر:

- محمد خليفة التونسي، تاريخ الأمم والملوك للطبري، ص ٧٤٥ وما بعدها بتصرف، سلسلة تراث الإنسانية، ط المؤسسة المصرية العامة

وجدتها..!

استيقظت هذا الصباح متأخرا.. إنها الحادية عشرة صباحا، أسندت ظهري للحائط ودفء الفراش يشدني، عيناي ذابلتان، جسدي مرتخ يطرح عنه أحلام الليل رويدا، مازلت أتذكرها جيدا، لقد كنت معها نمشي فوق رمال الشاطئ، أستعيذ بالله وأقوم لقضاء صلاة الصبح، اللهم اغفر لي، اللهم تقبل.

بعد تناول فطور ثلاثي من خبز وشاي وزيت (بلدية) لا أنفك أفكر ما العمل؟ لا أجد كتابا مشوقا يذهب عني حس الملل، ولا رواية في المتناول تنزعني من الواقع.. القنوات لم تفلح في تسلية مزاجي، فكلها تفاهات وترهات تعافها عقول وأذواق من قبيل ما أحمل في روحي. أصعد الدرجات إلى السطح، أتفحص عدم وجود جار مقتحم لحرمة سطحنا ثم أقوم ببعض الحركات الرياضية أسلي عن نفسي، وأنشط دورتي الدموية. وبدون سابق إنذار، تصطدم الأصبع الأخير من قدمي بباب السطح الحديدي، فأزم على شفتي لئوان ثم أنطق بلغات لم أفهم مخارجها ولا معانيها إلى اليوم، «تفووووو» قلتها وأنا أعود القهقرى نازلا تلك الدرجات، أتمدد فوق فراشي الذي تركته كما كان مذ استيقظت، استلقيت على ظهري أحدق في زخرفات السقف الجبسية، تعود إلي أحلام من الأيام الأولى للجامعة.

كانت السنة الأولى سنة نحس ومرض وشح في تحصيل الدرجات، ومعاناة في السكن، لكني أتذكرها بلذة وأضحك.

أتذكر أيام حمل السواطير والسيوف (الأقلام والمساطر) ونحن ندافع عن أفكار وأيديولوجية نرى أننا المصطفون لإدخال الناس إليها، أطلق مجددا ضحكات متتالية ساخرا تارة ومفتخرا تارة.

أتذكر يوم حملت شهادة الإجازة بين يدي، كنا نسميها «كرتونا» لشح قيمتها الوظيفية، لكني أحسست بالفخر وأنا أقرأ ما كتب فيها، وبأني صرت شخصا جديدا.

أتذكر الفرص التي ضيعتها فأتحسر عليها، أتذكر لحظة هي التي جعلتني من المصطفين.

أتذكر جيدا يوم امتنعت عن الغش في أحد الامتحانات وأنا في حاجة ماسة له؛ لم أغش، ورسبت في المادة. خلق ذلك نوعا من الكره والحقد في نفسي تجاه شيء ما.. لا أعرفه بالتحديد! لكني جد راض الآن. لا أعرف السبب المادي وراء ذلك، لكني سعيد جدا بما فعلت.

ارتفعت دقات قلبي وأنا مستلق أتذكر كل شيء، فانتفضت من فراشي طاويا إياه في لحظات لأتجه صوب الحاسوب، وأضع أصابع يدي فوق أزرار الكتابة، وأنقرها بدموع مقهورة وأحاسيس متضاربة:

لماذا لا أجدك أمامي حين أكون بحاجة ماسة إليك..؟ ثم تنهمر الدموع المقهورة جارية فوق لحيتي الخفيفة، وتتناسق أحاسيسي في قالب من الحب، وتتدفق دقات قلبي، وتسكن أطرافي خاشعة للموقف، وترتفع روحي مزيحة ستار الغم عن المكان، وتبدد خيوط الشمس المتسللة ما تبقى من الخوف الخائف، وتتوقف عقارب الساعة إجلالا للمقام.

لأصيح في أرجاء المنزل مناديا: وجدتها.. وجدتها..!!

محمد أكروح

الجوائز الربانية للتسامح

إذا كانت الأمم المتحدة قررت أن يكون يوم ١١/١٦ من كل عام يوما للتسامح بين شعوب العالم فإن الإسلام بتشريعاته قد رسخ هذا المفهوم في نفوس المسلمين.. وإن الحضارة الإسلامية كانت ولاتزال تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، لأن من أولويات الإسلام التسامح.

ومن الأمثلة البارزة للتسامح في الحضارة الإسلامية:

- ذلك العفو الشامل الذي أصدره النبي ﷺ عن أهل مكة الذين آذوه هو وأتباعه بشتى ألوان الإيذاء.

- في القرن الحادي عشر (عام ١٠٩٩م) سقطت مدينة بيت المقدس في أيدي الصليبيين، وأخذ المسلمون يفرون في الشوارع، فانقض عليهم الصليبيون وأخذوا يذبحونهم في الشوارع، فسالت الدماء حتى بلغت كما يقول المؤرخون ارتفاع اليد!! وبلغ عدد الذين قتلوا في هذه المذبحة نحو ٧٠ ألفا تقريبا، وبعد الانتهاء من القتل حرقوا ونهبوا بيوتهم..

وحين فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس في القرن الثاني عشر (١١٨٧م)، وتنفيذا لأوامره ما من بناء للأعداء نهب وما من إنسان أصابه أذى، بل أطلق سراح الأسرى المسيحيين.

إن الجوائز الربانية للتسامح هي:

١- المغفرة للمتسامح ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(النور: ٢٢).

٢- محبة الله للمتسامح ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة ١٣).

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

مؤلفات مقترحة

■ شاءت إرادة الله أن أقتني بانتظام ومنذ سنوات مجلة «الوعي الإسلامي».

ومما دفعني لاقتنائها التصميم الجيد للمجلة، والمواضيع القيمة الواردة بها، ثم ثمن بيعها الذي بدا لي زهيدا نسبيا «دينار تونسي واحد».

وقد تضمن العدد الأخير «٥٨٠» وفي مسك الختام مقالا موجزا ومهما لمحمد صديق باحث دراسات إسلامية حول «مالك بن نبي» وأسئلة الاستعمار والنهضة.

وإني أريد بالمناسبة أن أشكركم على المواضيع المطروحة، وأثني على ما تبذلونه من جهد وحرفية في العمل، لإنجاز المجلة وإخراجها بالمظهر اللائق والممتع؛ شكلا ومضمونا.

وإني على يقين من أن المجلة تساهم بنجاح في نشر المعرفة الإسلامية الصحيحة والهادفة، وإتاحتها في متناول النخب المثقفة، وإزالة بعض غبار الانحطاط الحضاري والاستعمار الفكري عن الثقافة الإسلامية.

وإني أدعو الله لكم ولفريق العمل بالتوفيق وحسن الجزاء.

هذا وأتمنى فرصة مكاتبتكم لمدكم بمشروع يصب، في نظري، في مجرى مقاصد جهدكم ومجلتكم، ويتعلق بدعم نشر معارف الإسلام والحضارة الإسلامية لدى النخب المثقفة والشباب العلمي، والذي يمثل فكرة حديثة العهد، أردت إحالتها عليكم وعلى بعض الإخوة مثلكم، قصد المشورة والإثراء والانتفاع بخبرتهم وحكمتهم.

وسنمدكم لاحقا بإذن الله، وعن طريق البريد بنسخة من بعض المؤلفات المقترح دعمها ونشرها ضمن المشروع.

وفي الختام، وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه الخير والسلام

● **أخوكم علي الجبالي/ مهندس متقاعد من وزارة الفلاحة والموارد المائية التونسية.**

المحرر: أخي الكريم سعدنا بكم وفي انتظار المؤلفات لدراسة اقتراحك بعد الاطلاع عليها، ونفع الله بكم الأمة وجعل مجهودنا خالصا لوجه.

الاهتمام بالتعليم

■ تحياتي لكم ولمجلة «الوعي الإسلامي» هذه المجلة الراقية ذات المواضيع المتنوعة، وخصوصا الاهتمام بالتعليم في العالم العربي، وغيرها من المواضيع الثقافية، تحية خاصة لرئيس التحرير الأستاذ/ فيصل العلي.

● **وليد عبدالرحمن - اليمن**

المحرر: جزاك الله خيرا، جعلنا الله عند حسن ظن جميع القراء، وكما قلتم فالتعليم محور مهم في عالمنا العربي، علينا جميعا الاهتمام بقضاياه.

٣- يحرم النار على المتسامح، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل»(رواه الترمذي).

وإن عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح أكثر من أي وقت مضى، فالتعصب يغذي نار الكراهية بين الأمم والشعوب، وكلما بعدت الأمة عن التسامح عانت من الأمراض الاجتماعية والحضارية، كالتسلط والتراجع والنهب والتأخر عن باقي الأمم.

إن فتح آفاق التسامح يعني فتح الأمل وآفاق التطور والحياة الطيبة..

نعيم السلاموني

قفزة واجبة!

الأستاذ فيصل يوسف العلي المكرم

رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اقتنيت اليوم العدد رقم ٥٨٣ لشهر صفر ١٤٣٥هـ، والحقيقة أني وجدت قفزة مميزة في مواد هذا العدد.. مما دفعني لاشعوريا لأن أمسك القلم فأخط لكم كلمة الشكر والتقدير، متمنيا لكم دوام التقدم والازدهار.. والله الموفق..

● **قيس محمد تيسير ظبيان**

مدير عام مجلة الشريعة

المحرر: نسعد بكم وبتعليقاتكم ونقدكم البناء، وإذ نشكر هذه اللفتة الكريمة فيكم، لنؤكد على أن صميم واجبنا هو تحقيق مثل هذا التطور الذي وصفتموه بالقفزة المميزة.. جزاكم الله خيرا.

التحقيق

التحقيق هو إخراج نص معين في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه اعتمادا على المقارنة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب، وهو مصطلح حديث، وأول من استعمله أحمد زكي باشا الذي حقق كتاب «الأدب الصغير لابن المقفع» عام ١٩١١م، وهو أول كتاب جاءت في صدره كلمة «بتحقيق».

(**مصطلحات الكتاب العربي المخطوط**، ص٦٠)

الوصف والموصوف

يجب أن يكون الوصف معلوم الانتساب إلى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له، ومن هاهنا قالوا: إن الصفات قبل العلم بها أخبار، والأخبار بعد العلم بها أوصاف.

(**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود**، ٢/ ٩٦)

ذم البروز وحب الظهور

قال ابن محيريز: صحبت فضالة بن عبيد رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، فقلت: أوصني رحمك الله، قال: «احفظ عني ثلاث خصال ينفعك الله بهن:

١. إن استطعت أن تَعرف ولا تُعرف فافعل.

٢. إن استطعت أن تسمع ولا تتكلم فافعل.

٣. إن استطعت أن تَجلس ولا يُجلس إليك فافعل».

(**الحلية لأبي نعيم**، ٢/ ١٦٨)

عليك بالصدق

قال العلامة ابن الصلاح رحمه الله تعالى: وقد قرأ عبدالرحمن بن منده جزءا على أبي أحمد الفرضي، وسأله خطه ليكون حجة له، فقال له: يا بني عليك بالصدق، فإنك إذا عرفت به لا يكذبك أحد، وتُصدّق فيما تقول وتنقل، وإذا كان غير ذلك، فلو قيل لك: ما هذا خط الفرضي ماذا تقول لهم؟

(**تدريب الراوي**، ٢/ ٩٠)

كتاب في أربعمائة مجلد

الحافظ محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي المروزي الأرزي الزاغوني، ذكره السمعاني وقال: كان صالحا، خشن العيش، قانعا باليسير، عارفا بالحديث وطرقه، اشتغل بطلبه وجمعه طول عمره، وجمع وصنف، كان عارفا باللغة، كثير الكتب، ورحل إلى هراة، وسمعت منه وبقراءته، وجمع كتابا كبيرا أكثر من أربعمائة مجلد يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة، سماه: «قيد الأوابد»، توفي سنة ٥٥٩هـ.

(**تذكرة الحفاظ**، ٤/ ٣٣٧)

احترام العلم والعلماء

قال أحمد بن سنان رحمه الله: كان عبدالرحمن لا يُتحدث في مجلسه، ولا يُبرى قلم، ولا يقوم أحد، كأنما على رؤوسهم الطير، أو كأنهم في صلاة.

(**تذكرة الحفاظ**، ١/ ٣٣١)

القلوب أربعة

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «القلوب أربعة:

١. قلب أغلف، فذلك قلب الكافر.

٢. وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق.

٣. وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن.

٤. وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القيحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب».

(**الحلية**، ١/ ٢٧٣)

السيئة وأخواتها

قال عروة بن الزبير رضي الله عنه: إذا رأيت الرجل يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات.

(**تهذيب التهذيب**، ٧/ ١٨٢)

هجران أخلاق السوء

إذا أردت أن تهجر إخوان السوء فاهجر- قبل أن تهجرهم- أخلاق السوء، فإن نفسك أقرب إليك، والأقربون أولى بالمعروف.

(روائع الدرر)

قالت العرب

- أطيش من فراشة.
- المكاثر كحاطب ليل.
- من قنع بما هو فيه قرّت عينه.
- من طلب شيئا وجده.
- النفس مولعة بحب العاجل.
- ظن العاقل خير من يقين الجاهل.

(الحديقة لمحب الدين الخطيب، ٣/ ١٣١٦)

المؤمن يستر ولا يفضح

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: «المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي».

(الحلية، ٣/ ١٤)

يقرع باب الملك

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له».

(صفوة الصفوة، ١/ ١٩٠)

إن نافرت الناس نافروك

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إذا نافرت الناس نافروك، وإن تركتهم تركوك، فأقرضهم من عرضك ليوم فقرك، وكفى بك ظالما ألا تراك مخاصما»

(طبقات ابن سعد، ٤/ ٨٨)

إياس بن معاوية

قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلا بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي، وقال: أغزوت الروم؟

قلت: لا.

قال: فالسند والهند والترك؟

قلت: لا.

قال: أفتسلم منك الروم والسند والهند والترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟!

قال: فلم أعد بعدها.

(البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ١٢١)

كل ما في يدك ليس لك

سأل هارون الرشيد مالكا في يمين فقال: صيام ثلاثة أيام.

فقال الرشيد: لم؟! أأنا معدم؟ وقال الله: ﴿فمن لم يجد﴾ فأقمتني مقام المعدم!

قال مالك: نعم يا أمير المؤمنين، كل ما في يدك ليس لك، فعليك صيام ثلاثة أيام.

(المدارك، ٢/ ١١١٢)

عموم العقوبة

عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى قال: «كان يقال: إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم».

(موسوعة ابن أبي الدنيا، ٢/ ٣١٢)

استغلال الوقت

قرأ الخطيب البغدادي بمكة الصحيح في خمسة أيام.

(تذكرة الحفاظ، ٣ /١١٣٨)

خطر الفتوى

قال ابن عباس رضي الله عنه: «إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله».

وقال القاسم بن محمد رحمه الله تعالى: «ما نعلم كل ما نسأل عنه، ولئن يعيش الرجل جاهلا بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه، خير له من أن يقول ما لا يعلم».

وقال ابن وهب: «لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك بن أنس «لا أدري»، فعلت».

(عيون الأخبار، ٢/ ٥٢٤- الحلية، ١/ ٣٥٣)

مكونات الإمام العادل

عثمان إسماعيل
كاتب مصري

المتأمل لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف الخاصة بالإمام العادل، يدرك المكونات والقدرات النفسية التي ينبغي أن يتمتع بها دون غيره، مساهمة في خلق صورة خاصة متفردة تتفق ومهامه الجسيمة، لمَ لا؟ وهو ممن تَزَّين بهم الأرض زهوا وفخرا؛ لأنه يقيم الشرع، شرع السماء الذي نزل نظاما لبشر هذا الكون ومخلوقاته.

والقول الفصل في المكونات النفسية للإمام العادل أنها تخضع لأصول وثوابت، أساسها التقوى والخوف من الله، التقوى التي هي سنام الأمر وعموده في هوية الإمام العادل، حيث تتوقف عليها مدى فاعلية التعامل بتلك القدرات والإمكانات، التزاما وممارسة. والتقوى بما فيها من خشوع وورع وخوف، هي التي جعلت من رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة.. لم لا؟ وقد علمه ربه فأوحى إليه ما أوحى، كي يكون مبشرا ونذيرا.

ونلمس الصرامة والقوة في تطبيق العدل في قوله ﷺ «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

إنها النفس التي طهرها الله لتقيم العدل فلم تعرف -حاشا لله- ميلا ولا هوى ولا محاباة ولا مجاملة، بل وضعت نصب أعينها الورع والخوف من الله تعالى وحسابه.

إنها التقوى مفتاح شخصية الإمام العادل، والتي جعلت من الفاروق عمر رضي الله عنه الرجل الفرد العلم على العدل في تاريخنا الكبير، فإننا «لا نكاد نعرف نفسا امتنعت عن الغرور وتكسرت أمام حصونها المنيعة كل محاولاته مثل نفس هذا الرجل الفرد (عمر)، فمن زين له هذا؟، إن عمر يرد إلى الله وإلى الدين الذي انتهج نهجه كل ما معه من فضائل وهوى واقتدار، حتى إنه يكاد يذوب ويتحلل كلما هومت حوله من بعيد ومضة من ومضات ذي الجلال والإكرام».

هذه أصول المكونات النفسية للإمام العادل المتمثلة في الخشية الضاغطة والحياء الداهم من الله عز وجل، ليجعله يعيش رعدة ورعشة القلب لتلقي به إلى عالم الصراعات والتساؤلات بينه وبين نفسه: «ماذا تقول لربك غدا يا عمر؟».

ومن المؤكد أن تلك الصراعات وهذه التساؤلات كانت تزلزل أركان عمر وتقتحم نفسه لتقوده إلى تأنيب الضمير، محاورا ذاته «لماذا فعلت هذا يا عمر؟!».

هكذا تكون قدرات الإمام العادل النفسية عندما تتخطى ذاته إلى عالم الشفافية ورجاجة العقل وحصافة الرأي، مما يكسبها القدرة -بقوة إيمانها- الفراسة في تفهم الأمور والبصيرة النافذة في إدراك القرار وإصداره والحكم على الأشياء، ومن هنا استطاع العقاد أن يقتحم أغوار العالم النفسي للفاروق رضي الله عنه حين قال «العدل يفتقر إلى شجاعة وشرف، وهما خصلتان مطلوبتان، أما الشجاعة في الرجل العادل فتحميه أن يحابي الأقوياء؛ وهو جبن، وأما الشرف فيحميه أن يجور على الضعيف؛ وهو خشية.. ولا تناقض بين هذه الخصال».

إن المكونات النفسية للإمام العادل أساسها خشية الله وتقواه التي هي أصل وأساس ما يتمتع به من سمات ينتصر بها على نفسه، ويظفر برضا الله وحب الرعية، ويقتل بها شهوات النفس ونزوات الدنيا ومطامعها، ويصعد بها إلى عالم الوقار والرهبة واحترام الذات والآخر؛ محاولا تجديد وتثبيت التقوى شعورا وسلوكا، التقوى التي تقود إلى إرساء وترسيخ مبادئ الأمن والاستقرار، وتقوية الروابط الإنسانية بين البشر.